

مسرحدات يحى حقى المترجمة

كنوك

تأليف: جول رومين

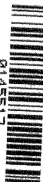
الطائر الأزرق

تأليف: موريس ميترلينك



دار المعارف

0145517



Bibliotheca Alexandrina

مَسْرُومِيَّاتُ عَجَبِي عَقَبِي
المُتَرْجِمَةُ

كنوك أو انْتِصَارُ الطَّبِّ

تأليف: جول رومين

الطَّائِرُ الْأَزْرَقُ
أَجْهَوْتُهُ مِنْ عَالَمِ السَّحْرِ

تأليف: موريس ميترلينك

١٨٦٢-١٩٤٢



The Ayoubi Library (QAL)



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ح.م.ع.

كنوك أوانتصار الطب

تأليف : جول رومين

«متلت هذه المسرحية لأول مرة في
باريس على مسرح كوميدي سانتليزيه يوم
١٥ من ديسمبر ١٩٢٣ بح إدارة حاك
هبرنو، وتولى لويس حوفيه الإخراج
والديكور. وقام بأداء أدوار النساء: كوتان
لامبير - إرمابيرو - إيزا رينار - ماج
بيروبيه - ي تيسيران. وقام بأدوار الرجال:
لويس جوفيه - أ. هيرو - انفرييف -
جولتيه، بن دانو - ساليس - مامي -
سانت أيل...»

مقدمة

مسرحية كنوك.. والهزلية الجيدة

بقلم: الدكتور محمد مندور

مسرحية «كنوك أو انتصار الطب»، هي بإجماع النقاد وأساتذة الأدب خير ما كتب مؤلفها الكاتب الفرنسي المعاصر «جيل رومان»، بل هي المسرحية التي يقوم عليها الجانب الأكبر من مجد مؤلفها، فيها عرف وذاع صيته في العالم كله، وذلك بالرغم من أنه ساعر وفصاص وفيلسوف لا كاتب مسرحيات فحسب، وكل ذلك بالرغم من أن كثيراً من أساتذة ونقاد الأدب المسرحي وبخاصة في العالم الأنجلوسكسوني بسمون هذه المسرحية فارس Farce أى هزلية، فهي تسميه - إذا صح إطلاقها على هذه المسرحية الجيدة - جديره بأن تجعلنا نغير حكمنا العام على هذا النوع من المسرحيات الذي ننظر إليه دائماً نظرة تضعه في أسفل السلم بالنسبة للأنواع الأخرى من المسرحيات، فالهزلية، بمعناها الدارج، مسرحية لا تستهدف إلا الإضحاك، ولما يؤدي فيها

الضحك وظبفه جاده ويكفيها أن تسرى عن مساهديها، وذلك في حين تعمر مسرحية كنوك بالحفائق النفسية والاجتماعية العميقة مغلفة في روح السخريه المرة والتهكم اللاذع اللذين يمتاز بهما مسرح حيل رومان، وإن يكن وقائع المسرحية تبدو مبالغاً فيها إلى حد يكاد يبعدها عن الواقع، وبالتالي عن المعقولة وإمكانية الحدودت وهما شرطان يتوفران عادة لما نسميه الملهاة النفديه أو الكوميديا الاجتماعية، وهذه قضية سننظر فيها نظرياً وتطبيقياً بعد أن نقدم أولاً المؤلف جيل رومان إلى القراء.

ولد لويس فاريجول رومان وشهرته جبل رومان في قرية سان حوليان سنايتيل بفرنسا سنة ١٨٨٥، ولا يزال حياً حتى الآن، وبعد إتمامه لمرحلة التعليم العام فاز في مسابقة مدرسة المعلمين العليا وهي مدرسة لا يتلقى فيها الطلبة دراساتهم العليا ولا يحصلون منها على درجات علمية، بل يدرس طلبتها في الجامعة مع غيرهم من الطلبة، وما هي إلا بمائة قسم داخل يقيم فيه الطلبة المتفوفون الذين يجتازون مسابقتها بعد إعداد أنفسهم لهذه المسابقة على إثر حصولهم على البكالوريا والانتها من مرحلة الدراسة الثانوية، وهم مقيمون في هذه المدارس مجاناً بل ومنحون مكافأة شهرية، وفي هذه المدارس مكاتب كبيرة يستفيد بها طلبتها. واجتياز مسابقة مدرسة المعلمين العليا أمر شاق، ولذلك يعتبر الفائزون في مسابقتها صفوة السبان وبطل كل واحد منهم، يعتز طول حياته بقبوله فيها. وبعد أن حصل جبل رومان

على ليسانس الدولة في الفلسفة من السوربون، أخذ يعد نفسه للتقدم لمسابقة الأستاذية (الأجرجاسيون)، وهي مسابقة ضخمة عنيفة تعدها الجامعة كل عام ليتقدم إليها الطلبة بعد التحضير لها لمدة عامين كاملين. والغاية منها هي اختيار السبان النابغين الذين يصلحون للتدريس بالمدارس الثانوية، ومن يفوز في هذه المسابقة لا يعتبر مدرساً، بل يعتبر أستاذاً بكل معاني الكلمة. ولقد فاز حيل رومان في هذه المسابقة سنة ١٩٠٩ فأصبح بذلك أستاذاً في الفلسفة.

ومع ذلك لم ينظر حيل رومان حصوله على لقب الأستاذية لكي ينادى بمذهب فلسفي اجتماعي جديد سماه مذهب «الكلية» Unanisme الذي أعلنه منذ سنة ١٩٠٣ وهو مذهب أو منهج يرمى إلى تصوير الروح الموحدة التي يحرك كل مجتمع بسري، وقد أوحى إليه بهذه الفكرة تعاليم أساتذته علم الاجتماع الذين تلقى عنهم العلم في السوربون. من أمال رائد علم الاجتماع الحديدي العالم الكبير «دركايم» وزملائه من كبار الأساتذة مثل: «ليمي بريل» وغيره.

وبالرغم من دراسة حيل رومان للفلسفة بفروعها المختلفة وتخصسه فيها، فإن مواهبه السعريه والأدبية، قد أخذت تظهر منذ وقت مبكر، إذ رأيناه يسترك مع عدد من شبان جيله الأدباء والسعراء أمال «سنفير» و «ديهاميل» و «فيلدراك»

و«أركوس» في تأسيس ما يعرف في تاريخ الأدب الفرنسي المعاصر: بـ«دير كورتيل»، ولهذا الدير قصة أدبية تاريخية بالغه الطرافة خلدها أحد أعضاء الدير وهو رينيه أركوس في صفحات شعرية جميلة نثبتها هنا لطرافتها بالرغم من سبق نشرنا لها في المقدمة التي كتبناها لترجمتنا لكتاب «دفاع عن الأدب» لمؤلفه جورج ديهاميل.

يقول رينيه أركوس: «كنا في أوائل خريف سنة ١٩٠٦ في يوم أحد مطير عندما اكتشفنا - فيلدراك وزوجته وأنا - الدار التي أصبحت «الدير»، داراً ممحوة الطلاء لم يسكنها أحد منذ سنين ولكنها جلييلة المظهر بشرفاتها وواجهتها ذات الطوب الأحمر ونوافذها الخضراء. كانت محاطة ببستان أشعث جمع أشجاراً من كافة العناصر، وبأقصى البستان حديقة فواكه فيها عدد كبير من الأشجار (لقد اتخذنا من الفواكه غذاءنا صيفاً بأكمله)، ثم حشائش وكوخ، وطرق عمت مسالكها الأعشاب المسرفة. وكانت مئات من الطيور قد آوًى إلى هذا المنزل المهجور منذ زمن طويل. وبعد هذه الزيارة بخمسة عشر يوماً كان عقد الإيجار الذي جعلنا سادة «الدير» قد وقع. وهذه الوثيقة الحزينة التي لا تزال بين يدي تحمل خمسة إمضاءات لمؤسسي الدير: رينيه أركوس، جورج ديهاميل، ألبير جريز، هنري مارتان، شارل فيلدراك، ولقد أضفنا في قلوبنا اسم «لينار» الطبايع الذي علمنا مهنتنا والذي قاسمنا حتى النهاية أيام نعيمنا وأيام بؤسنا.

وكان من أول حرصنا عليه أن «سمرنا» على المدخل
 «يافطه» كان المارون يستطيعون أن يقرأوا عليها أبيات ربليه:
 هنا. ادخلوا. ادخلوا على الرحب والسعة
 ادخلوا تجدوا مأوى وحصنا.
 يقى من الخطأ الأليم الذى طالما احتال
 بأسلوبه الكاذب فسمم العالم.
 ادخلوا لندعم هنا الإيمان العميق.

ونخت هذه المقطوعة كتبنا المقطوعة الأخرى التى تمول:
 هنا لا تدخلوا أيها المتزمتون
 أيها القروء العتاق.
 أيها الأقدار المنبعجون.

وهنرى مارتان، السياسى الساب الذى كنا قد تعرفنا إليه
 والذى أعجبته مشاريعنا، هو الذى حصل لنا على أدوات الطباعة
 ووضعها تحت تصرفنا. وفيلدراك الذى كان متزوجاً وأباً لأسره
 أتى بعائلته كلها ووضع كل منا فى غرفة الانتظار - التى كانت
 غرفتنا المشتركة - أعز ما مملك من أناث.

نم تعلمنا مهنتنا، مهنة الطباعة، فى سرعة أدهست «لينار»،
 والمجلدان الأولان اللذان حملا سارتنا كانا. «أساطير ومعارك»
 لخررج ديهاميل، «مأساة الأمكنة»، لرينيه أركوس. ولقد نشر
 «الدير» ما يقرب من عشرين مجلداً، ثم إن روبير دى مونتسكيو

لكى يظهر لنا عطفه، عهد إلينا بدوان شعر له «بارسملورا»، ولكنه طلب إلنا الكبر إذ حملنا على إعادته طبعه أكر من مرة، وفى النهايه ظهر أن هذه الصفقة كانت من أسوأ الصفقات الى عمدناها.

وكان الكبر من الفنانين السبان يأتون إلى الدر ضوفاً بضاحه كورنيه، كابوا يأتون بوم الأحد جماعات. لقد أصبح دارنا هدفاً للنزعه وكان يزورنا أيضاً أسخاص عجبون، كان من بينهم رجال ذوو فمضان حمراء وأخرى سوداء، ونباتيون وكائنات من هنا وهناك، ونساء دميمات ذريبات اللسان يدعوننا إلى أن نعيش وفقاً للمذهب. أى مذهب؟ ذلك ما لم نعلمه فط على وجه التحقيق. وأراد أحد الإسراقين أن يحملنا على ناء عده أكواخ خشبية ببستاننا، بلا ريب لكى نربى فيها جيلا من التلاميذا وذاب صباح أتنا على دراجة ساب فوى عضلات الأرجل ذو عينين فى لون السماء هو حيل رومان الذى كان إذ ذاك طالباً بـ مدرسة المعلمين العليا (النورمال)، أتى حاملاً مخطوطة «الحياة الكليه» Vie unanime التى قرأناها فى نفس المساء بصوت مرتفع. يالها من حماسه! وإن تكن الصباغة، ونسريه الدبوان، قد حملتا بعضنا، من لحظة إلى لحظة، على أن يقطب حاجبيه، إلا أننا أحسننا جميعاً أن ساعراً قوى الأصالة، نادر البكورة قد ولد. وحمل الربيع إلى «الدير» مستأجرين جدداً: مرسير ووزوجته

أتنا من موسكو حيب نزوجا، وبرتولدمان، ودومار، وألبر
دوبان وزوجه، وبعض الأصدقاء الآخرين. وكان الموسيقيون
يأتون ليلعبوا فيه موسيقاهم، والمصورون ليعرضوا لوحاتهم،
والشعراء لسمعوا شعرهم ينشده مملون ومملات، ولقد أصبحت
إحداهن فيما بعد (بلانس ألبان) زوجة لديهاميل، ودامت المغامرة
أربعة عسر شهراً. وبعد سناء آخر فاس اضطررنا إلى أن نفترق،
وأن نترك «الدير» الذي لم نعد نستطيع أن نعس فيه.

يجب أن بعزى الفصل إلى حدثنا قبل كل شيء. لقد كان
ينفصنا النظام، إذ كنا لاننصت لغر هوانا. سم إتنا كنا نتابع
غايات مختلفة، غايات لم نكن قد انتهينا كلنا إلى تحديدها على
وجه دقيق.

بقيت لدى كلمات فللة هي: أن الدير لم يكن فط مدرسه
شعريه. لقد كان مجرد جماعة من الرجال يريدون بعملهم أن
يعيسوا معاً في حباه حرة، وإذا كنا قد أظهرنا عندئذ عطفاً نحو
كل الشعراء والكتاب الذين لاحوا لنا موهوبين، فإن ذلك لم يكن
لعرض خفى في أن نجندهم تحت راية ما. لم يكن لنا مذهب
مسترك، بل لقد كان يتفق أحياناً أن سخر بعضنا من بعض، بل
أستطيع أن أقول مع فلدراك أوديهاميل، أنه قد لاح لنا أن فلاباً
من رفاننا كان ينكلم ويكسب بلغة غرييه عن لغتنا.

لقد أظهر التفاد كثيراً من القرابات الدقيقه بن فلدراك

ورومان وديهاميل ويبنى، ولن مخطر ببال أحد منا أن ينكرها. بل إنها بلا ريب قد امتدت إلى شعراء آخرين: جوف وسنمير، وديرتان... إلخ، ولكنه لم تكن هناك مدرسة أصلاً، لقد كنا جميعاً نبغض أشد البغض روح التجنيد.

ورينيه أركوس على حق فيما يقرره من أن جماعه الدير لم تكون مدرسة أدبية متفقه فيها بينها على فلسفة إنسانية أو فنه، وذلك بالرغم من سيطرة شخصية: جيل رومان، ومحاولة فرضه مذهب الكلية على الجماعة كلها، ولقد أوضحت في مقدمتى لكتاب «دفاع عن الأدب» كيف أن جورج ديهاميل مثلاً، كان ينفر كل النور من فلسفه حيل رومان، وبخاصه عندما كانت تتطرق الى السلوك الأخلاقى والاجتماعى على نحو ما يحس من بعض عبارات حيل رومان الخارجه مثل قوله: «لا تفر من المزواجه، بل احذر أن تكون أحد اثنين على نحو دائم» أو «إن الأسرة والزواج أحجار عمره تقوم فى سبيل الكلية». ومع كل ذلك، فإن طرف النفيض من ناحيه الفلسفه الأخلاقيه الاجتماعيه وهما جورج ديهاميل، وحيل رومان، هما اللذان اكتسبا شهرة عالميه واسعه بضخامه إنتاجهما وجودة الكثير منه.

ونقصر حديثنا هنا على حيل رومان، فنذكر أن مؤلفاته الكبيره تتوزع بين ثلاثه فنون أدبيه كبيره:

١ - القصة الطويلة مثل: «الفريه الى بعث» سنه

١٩٠٦، و«سلطات باريس» سنة ١٩١١، و«موت إنسان» سنة ١٩١١، و«الأصدقاء» سنة ١٩١٣، و«دونو جوتونكا» سنة ١٩٢٠، وثلاثية: «الروح أو لوسيين» سنة ١٩٢٢، و«إله الأجساد» سنة ١٩٢٨، و«عندما السفينة...» سنة ١٩٢٩، ثم سلسلة: «الرجال الطيبون» التي تعتبر أشهر قصصه.

٢ - دواوين شعر مثل: «روح الناس» سنة ١٩٠٤، و«الحياة الكلية» سنة ١٩٠٤: ١٩٠٧، و«أباتيد وصلوات» سنة ١٩١٣، و«أغنية عسر سنوات» من سنة ١٩١٤: ١٩٢٤، وقد نشرها سنة ١٩٢٨ كما ألف مع ستقير سنة ١٩٢٣ كتاباً عن «نظم الشعر»، عرض فيه منهجه في موسيقى الشعر التي يراها في تكرار صوت بسيط قد يكون صائناً أو صامتاً وليس من الضروري أن يأتي في آخر البيت.

٣ - سلسلة من المسرحيات مثل: «الجيس في المدينة» سنة ١٩١١، و«كوميدير العجوز» سنة ١٩٢٠، و«السيد تروهاديك مأخوذاً بالدعارة» سنة ١٩٢٢، و«كنوك أو انتصار الطب» سنة ١٩٢٣، و«زواج السيد تروهاديك» سنة ١٩٢٥، و«البراقه» سنة ١٩٢٥، و«الديكتاتور» سنة ١٩٢٥، و«ديميتريوس» سنة ١٩٢٦، و«أميديه» سنة ١٩٢٦، و«حان سيئ الصراحة» سنة ١٩٢٦، وفي سنة ١٩٢٩ اشترك مع ستيفان زفايج في اقتباس مسرحية «فولوني» عن الشاعر الإنجليزي بن جونسون، وهي

المسرحية الى عرض على جمهور القاهرة باسم «عبيد الذهب»، ثم مسرحية «حان موس» سنة ١٩٣٠، و«دولوجو» سنة ١٩٣١، و«الملك المفتح» في نفس العام.

وأما في مجال التفكير الفلسفي فله فضلاً عن نظريه «الكلية»، نظريه أخرى تقول إن بعض الأشخاص يستطيعون أن يبصروا دون الاسعانة بالأعين. وقد بسط هذه النظرية في كتابين سمي أحدهما: «الرؤية الخارجة عن الحدوث» أي اللاحدثه، وسمى الآخر «حاسة الرؤية بلا عين».

ويجمع النقاد على أن تفوق جيل رومان الحق، إنما كان في مجال المسرح، وذلك بفضل روحه الفكاهة اللاذعة، وسخريته النافذة في نقد الأخلاق، كما يجمعون على أن مسرحيه «كنوك أو اسصار الطيب»، هي رائعتة الفذة التي عرف بها في العالم أجمع، ومن الواضح أن الروح الفكاهة اللاذعة لا بواتيها من السعر، وبخاصه إذا كان صاحبها مكوناً تكويناً فلسفياً يحمله على التحليل النظري الذي لا يتسع له عادة وعاء السعر، وقد تصلح له القصة، ولكن مجاله الحق هو الحوار المسرحي، وهو ما نبغ فيه حيل رومان، أكثر من نبوغه في فن القصة أو في فن السعر، حيث يغلب على دواوينه التفكير الفلسفي الجاف، بل المنعسف أحياناً فضلاً عن التزوير الى تدهب بطلاوة السعر وجماله.

كنوك وفن الهزليات

ننغدد الإجماع على أن هذه المسرحية من الروائع العالميه، ومع ذلك لاحظ أن الأساتذة، والفاد الأنجلوسكسونين نسمونها هزله Farce، على نحو ما ورد في الموسوعه الأبجدية لأكسفورد المعروفه باسم: المرشد إلى الأدب الفرنسي Companion to Grench Literature، فيلى أى مدى ينطبق عليها هذا الوصف؟.

نلخص هذه المسرحية فى السحرية اللاذعه من الطب والأطباء، وهو موضوع من مواضيع الكوميديا التقليديه وبخاصه منذ عصر مولبر الذى طالما سخر من الأطباء من مرصى الوهم، ولكن مسرحية «كنوك» لا ننقد واقعاً فعلياً أو ممكن الوجود، بل تفترض فروضاً مسرفه وإن يكن هدفها النهائى طبعاً، هو نقد حل بعض الأطباء لجمع المال من طريق الإلهام بالمرض.

فالدكتور باربالد عمل فى عياده بقرية «سان مورس» سنين طويله قد بلغ الربع قرن، ومع ذلك لم يصب نجاحاً، ولا جمع ثروة مما اضطره إلى البحث عن مسر لهذه العياده لكي ينقل للعمل فى مدينه كبيره هى ليون، واهتدى إلى كنوك لبيعه هذه العياده، بل وببيعه أيضاً السارة العتقة الى كان سسخدمها فى نفلانه بالريف. وبحس من احتال باربالد على إقناع كنوك

بصلابة السيارة المستهلكة وتفضيلها على الساراب الجديده الى يزعم أنها مصنوعة من الصفيح - نحس بأن بارباليد هو الآخر رجل محتال، بل وأن زوجته وسائق عربته يتآمران معه في هذا الاحتيال، وتبدأ المسرحية ذات الفصول اللانه بمشهد العربه العتيقة وقد ركبها الدكتور بارباليد وزوجته وكنوك ليصعدوا الجبل إلى قرية سان موريس، وكلما أصاب السيارة عطل اجتهد بارباليد وزوجته في إيهام كنوك بأن السائق يريد إراحة السياره بعض الوقت، بل ومحاولان صرفه عن ملاحظة ما يجريه فيها السائق من إصلاح، حتى إذا وصلوا إلى القرية الجبلية، سلم بارباليد العيادة إلى كنوك وحرر معه عقد البيع للعيادة والسياره، على أن يدفع كنوك ثمنها أقساطاً على فترات محددة.

وفي القرية يعلم كنوك أن سبب فشل بارباليد يرجع إلى أنه لم يكن يتكالب على مهنته، بل كان ينفق الكثير من وقته للنزهه، أو في ألعاب التسلية بفندق القرية، كما كان يهون على المرضى خوفهم، ويصف لهم أبسط الأدوية وأرخصها ويدعوهم إلى النفه بقدرة الجسم على المقاومة الذاتية حتى ضج صيدلى القرية من كساد بضاعته، بل وانصرف أهل الناحية جميعاً تقريباً عن الطبيب وعيادته، مما دعا كنوك إلى أن ينتهج نهجاً مضاداً استخدم فيه كافة الحيل والوسائل الجهنمية لابتزاز المال، فانتدأ بأن استدعى الصيدلى وأفنعه بأن العمل سينشط في صيدليته وأوصاه بأن يجلب إليها الأدوية الغاليه الثمن كما استدعى المسيو برنار

معلم الفرية واتفق معه على أن يزوده بمجموعه من الأمراض على أن يعرضها في محاضرات يلقيها بمهر المدرسة على الجمهور عن ستي الأمراض وبخاصه الأمراض المحلية، موضحاً المعلومات الى يقدمها إليه كنوك بالصور التي يعرضها بالفانوس السحري. واستدعى أيضاً منادى المدينة لكي يكلفه بأن يطوف بالفريه والقرى المجاورة معلناً أن طبيب الفريه الجديد، قد قرر أن يفتح عيادته مجاناً يوم السو من كل أسبوع وهو يوم الانين لفحص جميع سكان المنطقة وطمأنتهم على حالتهم الصحيه. وما إن أتم كنوك ترتيباته الجهنمة حتى أخذ جميع أهل المطفه يتوافدون على عيادته للفحص المجاني يوم الانين. وابتداءً من هذه اللحظة غمر أماما طائفه من المساهد المضحكة اللاذعة التي يرى فيها عدداً من الرجال أو النساء يدخلون عياده كنوك وهم أصحاء، أو على الأقل بادی الصحه ويخرجون منها مرضى أو مؤمنين أنهم مرضى بعد أن أوهمهم كنوك بكل ذلك وأمرهم بأن يخرجوا من عيادته إلى منازلهم ليأووا في فراشهم على أن يعودهم فيه، ويطب لهم، بحسب يتولد في نفوسنا إحساس واضح بأن أهل الفريه وضواحيها قد لرموا جميعاً الفراس، بل وبحل موعد القسط، ويصل الدكتور بارباليد إلى سان موريس لسلّم من كنوك هذا القسط، ويعلم بارباليد وهو في الفندق بالنجاح الفظيع الذي أحرره كنوك حتى صعب على بارباليد أن يحذ غرقه خالبه بالفندق الذي يحول إلى سبه مستسفى، لولا توسط كنوك لدى

إدارة الفندق. ويندهس باربالد بما يرى وسمع، ولكنه لا يكاد يلقى بكنوك ويدور بيها الحذب وسمع إلى فلسفه كنوك الى يزعم أن الأصحاء لسوا إلا مرضى غافلين حتى ساوره هو الآخر السك في أنه مريض، ولكن كنوك بعذر بكبره اعماله ومواعيده عن فحص باربالد فوراً ويعده بإجراء هذا الفحص بعد الظهر. وهنا تنتهى المسرحيه، أى بعد أن أسعربا المؤلف بأن كنوك لم ينجح في إلزام جمع أهل القرية وصواحبها فراس المرض فحسب، بل ونجح في إيهام الدكتور باربالد نفسه بأنه مريض غافل عن مرضه.

وسخضية «كنوك» هى الى يعطى المسرحيه طابع الهزليه.

فنحن نعلم منذ الفصل الأول ومن الحوار الذى مجرى بين كنوك والدكتور باربالد، أن كنوك لم يدرس الطب في جامعه، ولم يحصل على مؤهل، وإنما زاول المهنة احتيالا وها هو الحوار السق اللاذع الذى نعلم منه ذلك:

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم.

كنوك : بالعكس هى مسأله فى غايه البساطه، ومنذ عشرين سنه مضت تخليب مضطراً عن دراسة الاداب واشتغلت بائعاً فى قسم «الكرفانات» فى مسجر كبير بمرسيليا، ثم فقدت عملى وأخذت أسكع فى المساء وقرأت إعلاناً عن سفينه حولتها ١٧٠٠ طن مسافره

إلى الهند يطلب مسرفاً صحياً، ولا تسترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتوراه، فماذا تفعل لو كنت
مكافئ؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعه الحال.
كنوك : أفهم هذا منك، فأنت لا تعنى مهنة الطب، أم أنا
فقد تقدمت، وإذا كنت أعتد الموافف المريبه - فقد
أعلنتهم منذ دخولى فائلا: «أيها السادة كنت أستطيع
أن أزعم لكم أنني دكتور ولكنى فى الواقع لست
دكتوراً، بل أصرح لكم بما هو أدهى - إننى
لا أعرف فى أى موضوع سأكتب رسالى»، فكانت
إجابتهم أنهم لا ينسكون بلقب دكتور، وأن موضوع
رسالى لا همهم فى سىء، فرددت على الفور: مع
الاعراف بأننى لست دكتوراً فإننى أود - لأسباب
ننعلو بالكرامه وحسن النظام - أن بطلق على فى
السفينة لقب دكتور»، فقالوا إن هذه المسألة طبيعیه،
ومع ذلك لبت مدى ربع ساعه أشرح لهم الحجج التى
زحزحتنى عن التمسك بالصدى والأمانه وحملتتى على
المطالبة بلقب لاحق لى فيه ولا یرضاه ضمیرى.
وهكذا أطلت الحديد حنى لم یبق أمامهم سوى ثلاث
دقائق لللب فى تحديد مرتبى.
الدكتور : ولكن أصحیح أنه لم یكن لديك أى إلمام بالطب؟

كنوك : افهمنى ! إبنى كنت منذ طفولتى أقرأ بسغف فى الصحف كل إعلان عن علاج طبى أو دواء، وإذا اشتري أبواى علبة حبوب أو زجاجة دواء سائل، نزعنا الورقة الملفوفة عليها وفرأت سرحها لطيفة الاستعمال، فما بلغت التاسعة من عمرى حتى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوصاً طويلة عن عوارض الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكرة نص خطاب بديع أرسله الأرملة : م.ع. من مدينة بروج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى ينتج دواء ضد الإمساك اسمه : «الأعشاب السحرية الأكيدة المفعول». أريد؟..!

الدكتور : لا تتعب نفسك إبنى أصدقك. وإذن فكنوك لس طبيباً بل محتالاً، ابدأ سلسلة احتيالاته باللعب على لفظه دكتور لوهم أنه طبيب، وإن لم يحصل على درجه الدكتوراه. وهذا هو جانب الهزل فى المسرحية، ولكن أبيع لنا ذلك تسمية المسرحية كلها فارس Farce ؟ ولبست المسألة مسألة اصطلاح أو خاتنة نضع فيها هذه المسرحية أو ننقلها إلى خاه أخرى، بل مسألة فنيه هامة، لأن وصف مسرحه بأنها هزلية يخرجها من الأدب الرفيع إلى الأدب الرخيص. وللب فى ذلك بوضوح أولاً مدلول لفظه هرله وباريخ فن الهزلاب فى إيجاز. لقد اصطلاحنا فى لعبا العربيه اخدمه على ترجمه نقصه

كوميديا بلفظة ملهاة، وأما لفظه فارس Farce فنمترج ترجمتها بلفظة هزليه، ميمزاً لها عن الملهاة أى عن الكوميديا.

ولفظه فارس Farce، معناها الاستمافى فى اللغة الفرسيه «الحسو» الذى يحسنى به ورو العنب أو «الكوسه» مثلاً! وقد تطرقت هذه اللفظه إلى لعه المسرح منذ القرون الوسطى إدا أطلقت على مناهد هزليه كانت تعرض فى فترات الاستراحه بين كل فصل وآخر من فصول المسرحيات الدينيه الى كانت منتهره فى القرون الوسطى، وسيئاً فسيئاً أخذت تلك المساهد الهزليه تستقل بذاتها لتكون فناً مسرحياً قائماً بنفسه، وبذلك نساب المسرحيه الى تسمى الآن بالفارس، أى الهزليه، وهى مسرحيه لا هدف لها عر الإضحاك. وفى الغالب تعتمد فى ذلك على النكات اللفظيه والحركات البهلوانيه والمواقف غير المعقوله الخاليه من كل دلالة. وفن الهزله كبيراً ما يصعب تميزه فى تاريخ الأدب الدرامى عن أنواع أخرى من المسرحيات الفكاهيه الخفيفه، السطحيه الهدف، مثل ما عرف فى إيطاليا، وانتقل منها إلى البلاد الأوربيه الأخرى باسم الكوميديا الفيه، وهى كوميديا كان الممثلون يربجلونها؛ ومن أشهر هؤلاء الممثلن السيد «بنطلون» والسيد «سكاراموش»، ثم نوع آخر ازدهر فى أحد وديان فرنسا وعرف باسم هذا الوادى وهو فن «الودفيل».

والآن هل نعتبر مسرحيه «كنوك» كوميديا نفذ اجتماعى وأخلاقى؛ أى «ملهاة» أم نعتبرها هزليه لا تستهدف غير

الإضحاك بالوفائع والمواف غبر المعقولة التى نضع معها كل هدف اجتماعى أو أخلاعى.

الواقع أن هذه المسرحنة الرائعة نضمن سخسبات وأحداناً يبدو بعيدة عن واقع بلد محضر مما نرى بها من الهزله، ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن ما يبدو عربياً فيها قد يكون مجرد تجسيم ومبالغه لواقع يستحق النقد والسخرية، وهى فوق كل ذلك تتضمن فلسفه نفسية واجتماعية لائنك فيها، فمن الناحية النفسية، نحس فيها بتحليل دفيق لغيره الإنسان على إيهام غيره وإيهام نفسه، بل إن فكره كنوك الأساسية التى يسميها رسالته لنيل الدكتوراه، قد لا تخلو من صدق، وهى زعمه، بأن الأصحاء مرضى عافلون، فهذه حقيقة كبراً ما تشهد بها تجارب الحياه وإن يكن التعميم يفسدها، كما يمكن أن يفسد كافة الأحكام، والمسرحية فوق ذلك ننخللها الفلسفه الاجتماعية التى لىهاها جيل رومان عن أساتذه علم الاجتماع فى السوربون كدور كام ولبى بريل وغيرهما، ففيها دراسه وتحليل لروح القطع عند الجماهر وكف يمكن استهواؤها بأيسر الطرق الاحتمالية وبخاصة بالمحاضرات المصورة التى ألقاها برنار معلم القرية عن الأمراض وأعراضها وعواقبها ومضاعفاتها، وكل ذلك فضلاً عن إظهار المؤلف لأخطار سهوة جمع المال على المجتمع عندما يتضافر الجسعون أمنال كنوك وصيدلى القرية على ابتزاز أموال الناس بإيهامهم أنهم مرضى، وإن يكن المؤلف قد بالغ فى سطوة هذا

الإلهام الذى أكرم أهل الناحية كلهم فراس المرض، وكأن حل رومان ينتقد الاتجار بالطب وبكاد يلعب الأنظار إلى صوره تأمسه.

وأما من الناحية الفنية الخالصة، فالمسرحية محكمة البناء، وسخصاتها دهمه التصوير، وحوارها خفيف براى، بالرغم من عمق المعانى النفسه والاجتماعيه والأخلاقه الى يحملها، وفي كل هذا مايرفع المسرحيه إلى مسوى الأدب الجاد بحسب نستطيع أن نخلص إلى أننا سواء جارينا الأنجلوسكسوين فاعسرها هذه المسرحيه من نوع الهزليات الجيده، أو جارينا الفرنسيين فاعسرتها ملهاه من نوع الكومبديا النفسه الاجتماعيه، فإننا على أية حال لا نستطيع أن ننكر النجاح الجماهري الضخم الذى حازته منذ أن عرض أول مره على كومبديا السانرلزيه سنه ١٩٢٣ وفام بإخراجها وتمثل دور كنوك فيها، الممثل والمخرج الفرنسى العالمى الصب: لويس حوفيه. ومنذ ذلك الباربخ احييت هذه المسرحيه مكاناً ثابتاً فى رصيد أى رسريوار للكثير من المسارح العالميه فى كافة بلاد العالم.

محمد مندور

شخصيات المسرحية

حان	* كنوك
مدام بارباليد	* الدكتور بارباليد
مدام ريمى	* موسكيه
السيدة ذات الياپ السود	* برنار
السيدة ذات النياب	* منادى البلدة
البنفسجية	
الخادمة	* فتى قروى -الأول
صوت ماريت بين حسد	* فتى قروى -الثانى
من أهالى البلد	* سيببون

الفصل الأول

«بحرى حوادث هذا الفصل داخل أو حول سياره من طرار قديم جدًا يرجع لسه ١٩٠٠-١٩٠٢، هيكل صخم (هى فى الأصل من طرار «فتون مردوح» وحولت فيها بعد إلى طراز يشبه «الطوربيد» بفضل إضافه ألواح معدنيه عليها) مستلزمات السياره من النحاس كبيره الحجم ومقدمها حيث المحرك على شكل صندوق صغير؛ وتتحرك السياره من مكائها فى أثناء بعض مشاهد هذا الفصل وتكون التحرك من حوار محطه صغيره للسكه الحديد ثم تصعد بعد ذلك فى طريق جبل . »

المشهد الأول

كنوك - الدكتور بارباليد - مدام بارباليد - جان

الدكتور بارباليد : أهذا متاعك بتمامه يا زميلى العزيز؟
 كنوك : نعم هذا كل ماعى يا دكتور بارباليد.
 الدكتور : سيضعه حان بجانبه، المقعد الخلفى يسعنا نحن
 الثلاثة بسهولة، السياره فسيحه والكراسى
 الصغيره الإضافيه مريحه، ستان بن هذه
 السياره والسيارات الحدينه القمبه.

كنوك : [يلتمت إلى جان وهو يصع الصندوق] خذ بالك من هذا
الصندوق فقد وضعت فيه أجهزة سهلة
الكسر.

[يبدأ جان في تكويم متاع كنوك]
مدام بارباليد . هذه سيارة سأخسر عليها طويلا إذا غلبتنا
الحماقة وبعناها.

[كنوك يتأمل السيارة دهشة]
الدكتور : لأنها في الحديقة طوربيد ومع طراز الفيتون
المزدوج القديم.

كنوك : نعم.. نعم..

[يحتسى المقعد الأمامي كله تحت أكوام المتاع]
الدكتور : انظر إلى متاعك كيف اتسع له المقعد وبقيت
لجان جلسته المطمئنة، بل ليتك جئت بمتاع
أكثر لتدرك أن هذه السيارة تعنى بكل
المطالب.

كنوك . هل بلدة سان موريس بعيدة؟
الدكتور : على بُعد أحد عشر كيلومتراً، ولا يخفى عليك
أن بعدها عن السكة الحديد هذا القدر نعمة
كبيرة لأنه يستبقى إخلاص المرضى لطبيبهم
فلا يزوغون منه لالتماس العلاج في عاصمة
الإقليم.

كنوك : ليس بينها إذن وبين المحطة عربة نقل ؟
 الدكتور : نعم هناك عربة نقل ولكنها في حالة يرى لها،
 بحيب محبب إليك المسمى بدل الركوب.
 مدام بارباليد : السيارة هنا لا غنى عنها.
 الدكتور : بخاصة للأطباء.

[كنوك متمسك بمسلك مهدد متحفظ]

حان : (إلى الدكتور) هل أدير المحرك ؟
 الدكتور : نعم يا بني !

[جان يهكم في معالجة السيارة يفتح عطاء المحرك، ويفك

الوحيات، ويصب الزيت إلح إلح]

مدام بارباليد : [إلى كنوك] إن المناظر الطبيعية على جانبي
 الطريق جميلة، وقد سبق للكاتب زيناثيد
 فلوريو أن وصفها في قصة من أحسن قصصه،
 قد نسيب اسمها، [ترك السيارة وتقول لروحها-]
 ألا ترى أن يكون لك الكرسي الصغير
 الأمامي وهكذا يجلس الدكتور كنوك إلى
 جانبي ليتأمل من المناظر التي تمر بها ؟

[كنوك يجلس إلى يسار مدام بارباليد]

الدكتور : السيارة فسيحة بقدر كاف والمقعد الخلفى يتسع
 لجلوس ثلاثة براحة، غير أنه محسن للراكب
 أن يملك حركته ليتمتع برؤية المناظر من حوله

[يقترب من حان! كل شيء على ما يرام؟ هل
فرغت من صب البنزين؟ وفي السلندرين
الانئين؟ لعلك لم تس أن تنظف الوجهات
فليلا، فهذا أحوط بعد مسوار طوله أحد عشر
كلومتراً، ولف «الكاربورابر» بقطعه من
القماس أو بمنديل كبير فإنه خير من هذه
الخرقه [يقول وهو يكر راحاً] بدع! بدع! [يصعد
إلى السيارة] إنني أجلس على الكرسي الأمامي
الصغير الفسيح، ومع ذلك فهو بمثابة فوسل
رحب يفرد ويطوى.

مدام بارباليد : سظل الطريق سواي صعوده حتى نبليغ سان
موريس، والذهاب إليها على الأقدام وبهذا
المتاع كله عذاب عظيم، أما بالسباره فهو معه
ساحرة.

الدكتور : كنت يا زميلي العزيز في الأيام الخوالي أداعب
آله السعير، ونظم أنشودة من أربعة عشر
بيتاً تتغنى بجمال الطبيعة في هذه الأرجاء إلى
ستتكشف لنا، والمصيبة أنني نسينها:

وفيعان تتوه العين فيها
يرفرف فوقها علم الجمال

[جان يدير المانيقلا بجهد المسمي]

مدام بارباليد : يا ألبرت لك منذ سنين إصرار على رواية هذا البيت وفيه كلمه « فيعان » بدلا من كلمه « أغوار » كما كان فى الأصل.

الدكتور : صحيح، صحيح، [يسمع صوت انفجار] الق سمعك ما زبلى العزيز إلى المحرك لتبين كيف أنه مطواع لا بحرن، فما احتاج إلا إلى لفه أو لفتين من المانيقلا حى « شقطة » البنزين، ثم ها أنت تسمع صوب انفجاره مرة ومرة أخرى، هيا هيا، فإذا بنا نسير..
[حان يحتل مقعده وتتحرك السيارة وتتابع المناظر شيئا فشيئا]

الدكتور : [بعد مئة صب] صدقنى يا خَلْقَى العزيز [يدق على كتف كوك]، نعم فقد صرت من هذه اللحظة خلَقاً لى، صدقنى حين أقول لك إنك أبرم صفة طيبة، نعم، فجميع مرضاى هم منذ هذه اللحظة زبائنك، حى ولو صادفنا ونحن نقطع الطريق مريض ولحنى برغم أن السيارة تترق أمامه بسرعه خاطفه وطلب إلى أن أعالجه فإننى سأتنحى وأقول له رافعا صوى: «أخطأت مفصذك يا سيدى، فهذا هو طبيب البلد [يشير سساته إلى كوك] ولن أخرج عن

مخبثي [تتوالى امحارات المحرك] إلا تلبية لدعوة
أصولية منك للاستراك معك في كونسولتو
لتغليب رأى على رأى [امحارات أخرى من المحرك]
من حسن حظك أنك وقعت على رجل يخلو
عن عمله لا لشيء إلا للتلذذ لتحقيق نزوة
طافت برأسه.

مدام بارباليد : لقد أقسم زوجي أن يختم حياته العملية في
مدينة كبيرة.

الدكتور : إنني أستهي أن أنحنى أودع الجمهور للمرة
الأخيرة من فوق مسرح كبير، وهذا مني
غرور فيه سوء من السخف. أليس كذلك؟
إنني أحلم بباريس، ولكن قد أقنع بليون.
مدام بارباليد : وذلك بدلا من أن يجمع له هنا ثروته مضمونة في
طمأنينة وهدوء.

[كنوك يتأملها تارة، ويستغرق في أفكاره تارة، ويلقى بطرة
إلى المشاهد من حوله تارة أخرى]

الدكتور : لا تسرف في السخرية مني يا زميلي العزيز،
فإنما بفضل هذه النزوة التي طاف برأسى قد
أتيج لك أن ترث عيادتي لقاء تعويض زهيد.
كنوك : أهذا حكمك؟

الدكتور : إنها الحقيقة السافرة.

- كنوك : على كل حال فأنا لم أساوئك قط.
- الدكتور : حقاً لقد أحببت فيك رفعك عن اللجاجة، وأعجبني منك جداً أنك بدأت المفاوضة بالمراسلة أولاً حتى إذا تم الاتفاق على جميع التفاصيل جئت بنفسك، وهكذا أبرمت الصفقة، كما بدا لي، على طريقة كرام الناس، أو قل على الطريقة الأمريكية. حقاً أهنئك على هذه النعمة التي هبطت عليك، فالعيادة لها دخل نابت لا يتعرض لأزمات مفاجئة.
- مدام بارباليد : وليس بجانبك منافس آخر لك.
- الدكتور : والصيدلى الوحيد لا يجاوز قط حدود مهنته..
- مدام بارباليد : وليس هنا شيء يغريك بإنفاق النفود.
- الدكتور : لن نجد وسيلة هو واحده تستنزف جيبيك.
- مدام بارباليد : في ستة أشهر تكون قد اقتصدت ضعف ما أنت مدين به لزوجي.
- الدكتور : وسأرضى أن تدفع هذا الدين على أربعة أفساط في السنة. آه! لولا الروماتيزم الذى تعاني منه زوجنى لهممت أن أعدل عن الصفقة.
- كنوك : مدام بارباليد مصابة بالروماتيزم؟
- مدام بارباليد : نعم، مع الأسف.

- الدكتور : الجو هنا جو صحى جداً بصفة عامه، ولكنه لا يلائم زوجى بصفة خاصة.
- كنوك : هل فى البلد كبير من المصابين بالروماتيزم؟
- الدكتور : لك أن تقول إنه المرض الشائع عندنا.
- كنوك : هذا أمر فى نظرى يثير غاية الاهتمام.
- الدكتور : نعم عند من يريد التخصص فى دراسة الروماتيزم.
- كنوك : [هدهده] كنت أفكر فى الزبائن.
- الدكتور : حاسا وكلا، فكما أنت لا يخطر ببالك أن تستدر المطر بقرع أجراس الكنائس، فكذلك أهل البلد هنا، هيهات لهم أن يخطر ببالهم طلب الشفاء من الروماتيزم بالذهاب إلى الطبيب!
- كنوك : ولكن هذا شيء يؤسف له.
- مدام بارباليد : انظر يا دكتور! هذا المنظر أمامك كم هو بديع.. كأننا فى سويسرا.
- [انفجارات متعالية من المحرك]
- جان : [يمس فى أذن الدكتور بارباليد] يا دكتور! المحرك «عطلان» يلزمنى أن أفك ماسورة البنزين.
- الدكتور : [لجان] طيب.. طيب.. [للآخرين] كنت بالفعل أريد أن أقترح عليكم التريث هنا لحظة.
- مدام بارباليد : ولماذا؟

الدكتور : [يصوب لها نظرات ذات معنى] هذا المنظر الجميل..

ألا.. ألا يستحق أن نقف عنده؟

مدام بارباليد : إذا كنت تريد التريب فالمنظر المرتفع أكثر

جمالاً.. [السيارة تقف ومام بارباليد تدرك حقيقة الأمر]

الدكتور : لا ضير أن نترتب هناك أيضاً قليلاً نترتب، ولم

لا؟ نترتب مرتين، وثلاث مرات، بل أربع

مرات كما نحب ونهوى، من حسن الحظ لسنا

في سبائك. [موحها الكلام لكنوك] هل انتهت

يا زميلي العزيز إلى هذه السيارة كيف وقفت

بتؤدة وانصياح، فرمام سرعتها وأنت تفودها

يظل دائماً في يدك، وهذه مسألة هامة جداً في

الطرق الجبلية [يستطرد وهم ينزلون من السيارة]

ستنضم يا زميلي العزيز في وقت أسرع مما تظن

إلى صفوف أنصار السفر بالسيارات، ولكن

حذار من سارات اليوم الرديئة إنها حطام

مصنوع من الصفيح لا من الصلب.

كنوك : إن لم بنحدي مرض الروماتزم ففد يسعفني

بدلاً مهم مرضى الالتهاب الرئوي ومرضى

النزلات السعبية.

الدكتور : [إلى جان] اغتنم عزمنا على الوقوف ونظف

ماسورة البنزين [إلى كنوك] ماذا تقول؟

التهابات رئوية ونزلات شعبية؟ هذه أمراض تادرة عندنا، فالجور هنا قاس كما تعلم، إذا ولد الطفل ضعيفاً هزيراً مات قبل أن يبلغ السهر السادس من عمره، ولا يعرض على الطبيب. بطبيعة الحال، أما إذا جاوز الأطفال منطقة الخطر شبوا فتية صحتهم كالحديد. بميت أمراض القلب والسل، ولكن المصابين بهذه الأمراض يعينون في غفلة عنها لا يستيفظون قط للخطر الجاس عليهم، فإذا ما بلغوا الخمسين من العمر تحظفهم الموت في لمح البصر.

كنوك | : لا تقل لى إن جيبك امتلأ من معالجة أموات فارقوا الحياة بفتة؟

الدكتور : كلا بطبيعة الحال [يبحث فى سره عن بقية كلامه]
فلا تزال هناك أولاً حالات الأنفلونزا، لا أقصد حالات الأنفلونزا العادية التى لا يابه لها المرضى بحال من الأحوال، بل لعلهم يرحبون بها لأنها تعينهم فيها يزعمون على طرد سموم الجسد كلا، إنما أعنى الأنفلونزا حيث تنفسي كوباء فى العالم كله.
كنوك : ينبغى إذن أن أنتظر الدورة القادمة للأنفلونزا

الدكتور : العالميه ! هل أمل إبليس في الجنة !
وباءين، الأول في شتاء ١٨٨٩ - ١٨٩٠
والثاني ١٩١٨.

مدام بارباليد : في سنة ١٩١٨ كان عدد الموتى هنا يزيد نسيئاً
على عدد الموتى في المدن الكبيرة [لروحها]
أليس كذلك ؟ لقد قمت بنفسك بمقارنته
الإحصائيات.

الدكتور : نعم، كانت نسبة الوفيات عندنا تفوق كثيراً
نسبة الوفيات في بلاب ومانين مقاطعة.

كنوك : وهل لجئوا إلى الطبيب ؟
الدكتور : نعم وبخاصه في نهاية الوباء.
مدام بارباليد : وزاد دخلنا عند حلول عيد القديس ميسيل
عند موسم حصاد القمح.
[يرحف جان تحت العربه]

كنوك : ماذا تعنين ؟
مدام بارباليد : الزبائن هنا لا يدفعون أجر الطبيب إلا في
هذا العيد بعد أن يبيعوا القمح.
كنوك : ما معنى هذا الكلام ؟ أهو التفويم اليوناني أم
التفويم الخيالي ؟

الدكتور : [وهو يتنعم شطره منه بين الحس والحسن عمل جاز محب

السيارة] لم هذه الهواجس يا زميلي العزيز؟ إن
عيد القديس ميشيل هو يوم مرموق بين أيام
السنة وموعده آخر سبتمبر.

كنوك : [يعدل لهجته] ونحن الآن في أوائل أكتوبر!

يا للدهاية!.. أما أنت فقد أحسنت على الأقل
اختيار الوقت الذي تبيع فيه عيادتك [عشى صبح
خطوات وهو يهكر] ولكن لنفرض أن جاءك زبون
لتسكف عليه، أفلا يدفع لك أجرك من فوره
قبل انتهاء الزيارة؟

الدكتور : كلا، إنه يدفعه في عيد القديس ميسيل هذه هي
العادة.

كنوك : حتى ولو جاءك لزيارة واحدة عارضه بحبت
لن تراه بقيه العام؟

الدكتور : في عيد القديس ميسيل.
[كنوك يتأملها وهو صامت]

مدام بارباليد : على كل حال فإن الناس هنا في أغلب الأمر
لا يفصدون الطبيب إلا مرة واحدة.

كنوك : ماذا؟

مدام بارباليد : نعم.. هذا هو الواقع.

[الدكتور بارباليد يتصنع شرود الذهن]

- كنوك : وماذا تفعل مع المرضى المواظبين؟
- مدام بارباليد : أى مرضى مواظبين؟
- كنوك : الذين يواظبون على التردد على الطبيب عدة مرات فى الأسبوع أو عدة مرات فى الشهر..
- مدام بارباليد : [إلى زوجها] أسمع ما يقوله الدكتور؟ يتحدث عن زبائن مثل زبائن القصاب أو الخباز.. إنه سأن كل طبيب جديد فى الكار يخذعه الأوهام..
- الدكتور : [يصع يده على ذراع كنوك] صدقنى يا زميلى العزيز، إن المرضى هنا هم أحسن صنف من الزبائن.. أعنى الصنف الذى لا يجور على استغلالك.
- كنوك : استفلالى؟ أغزح؟
- الدكتور : دعنى أوضح الأمر، أريد أن أقول إنك لن تقع تحت رحمة نفر من المرضى قد يتم سقاؤهم بن يوم وآخر فإذا خسرهم أفلس، أما إذا اعتمدت على الجميع فكأنك لا تعتمد على أحد.. أفهمت؟
- كنوك : بمعنى آخر لم يبنى لى إلا أن أصطاد السمك وكان ينبغى أن أحضر معى «سنار»، وكميه لا بأس بها من الديدان، ولكن ربما أجد كل هذا فى بلدكم [يسير بصع خطوات وهو يفكر، يفترب

من السيارة الرثة ويتأملها، ثم يلتفت التفاته عبر كامله [بدأت المسألة تتبين بجلاء شديد، يا زميلي العزيز.. إنك، لقاء آلاف من الفرثكات معدودة هي باقبة في ذمى دينا لك على، قد تنازلت لى عن عيادة زبائنها يسبهون سيارك هذه تمام السبه [يربت على السيارة نحن] إذا قدرت قيمة هذه السيارة بنسعة عسر فرنكا فإنها لن تكون غاليه، وإذا قدرتها بخمسة وعشرين فرنكا فإنها تباع بأكثر من دمنها [يتأملها نظره هواء السيارات] وإذا كنت أحب أن أظل سمحا في معاملاتي فأنى أعرض عليك نلابن فرنكا ممتا لها.

الدكتور : نلابن فرنكا لهذه السيارة؟ إننى لا أفرط فيها ولو بستة آلاف.

كنوك : [وقد طهر عليه دلائل الأسف] كنت أتوقع ذلك، [يتأمل السيارة الرثة من جديد] إذن لن أستطيع شراء سيارتك.

الدكتور : سأبيعه، ولكن على لأقل لو أنت عرضت على تمنا مغفولا..

كنوك : يا للأسف! كنت أريد أن أحولها إلى صندوق [يعود] أما فيما يتعلق بعادتك فأنى أتنازل عنها

- دون ندم عليها إن كاس الصفة لم تتم بعد.
- الدكتور : اسمح لى أن أهول لك يا زميلى العزيز إنك ضحية أوهام كاذبه.
- كنوك : بل الأفرب إلى عفى أننى ضحيتك أنت، وليس من عادى التأوه والتفجع، وإذا ضحك على إنسان فلا ألومن إلا نفسى.
- مدام باربالد : ضحك عليك.. دافع عن كرامتك يا صديقى.. دافع!
- الدكتور : كل ما أوده أن أجنب الدكتور كنوك الاسترسال فى الأوهام.
- كنوك : أما أفساط الدين فعيبها أنها تدفع كل نلاه سهور فى بلد كل مريض فيه ربون سنوى، ينبغى لى أن أجد مخرجاً، على كل حال لا داعى لاترعاجكم، فإننى أكره أن أكون مدينًا، وألم الدين أفل على العموم من ألم اللماحو أو ألم «خراج» فى الإليده..
- مدام باربالد : ماذا؟ إذن أنت لا تريد أن تدفع لنا الأفساط فى مواعيدها المتفق عليها؟
- كنوك : إننى متلهف على سداد الدين يا مدام... ولكن لا سلطان لى على التفويم، ولا أستطيع أن أرشح عيد العديس جوزيف عن موعه.

- مدام بارباليد : العديس مينسيل..
كنوك : العديس مينسيل..
الدكتور : ألبس عندك مال مدخر؟
كنوك : ولا سنتيم، فإني أرتزق من عملي أو على
الأصح أتلهف على أن أرتزق منه، وإني أكره
هذا الطابع الأسطوري في زبائن العيادة الى
أفلحهم في بيعها إلى، خصوصاً وكنب أريد أن
أعاملهم بوسائل حديثة جداً [تفكر بعد لحظه
وكانها يحاطب نفسه] في الواقع أن المسكلة واحدة
وإن استبدلت وجهاً بوجه.
الدكتور : إذن أنت يا زميلي العزيز ترتكب حماقة مزدوجة
حين تسارع إلى اليأس قبل الأوان، وهذا شأن
كل مستجد في المهنة لم يتزود بعد بالنجارب، ولكن
لا ريب أن مهنة الطب حفل خصب، ولكن
خبراته لا تنبت عفواً ومن تلقاء ذاتها، إنها
أحلام سبابك التي رسمت لك الصورة بألوان
زاهية نوعاً ما.
كنوك : يا زميلي العزيز كلامك هذا محسو بالأخطاء،
فأولا أنا أبلغ من العمر أربعين عاماً، فإن
كانت لي أحلام فهي ليست أحلام السباب.
الدكتور : لبيكن، ولكنك لم تمارس مهنة الطب فقط.

- كنوك : وهذا خطأ آخر
- الدكتور : ماذا؟ ألم تغفل لى إنك لم تتخرج من كلية الطب إلا فى الصيف الماضى؟
- كنوك : نعم وهدمت رسالة من' انتنن وبلاين صفحه فولسكاب عنوانها: «علامات تمام الصفحة» فناع كاذب مخادع»، ووضعت تحت العنوان كلمة مأبورة أسندنها إلى كلود برنار هى «الأصحاء هم مرضى غافلون».
- الدكتور : إذن فنحن متفهمان يا زميلى العزيز..
- كنوك : على أن رسالتى أصابت كبد الحقيقة.
- الدكتور : لا.. على أنك لا تزال فى أول السلم.
- كنوك : عفواً إن سهادنى' حديثه ولكن لى خبرة بمهنة الطب ترجع إلى عشرين سنه مض.
- الدكتور : ماذا؟ هل كنت معاون صحة؟ هذه الوظيفة فد ألغيت منذ زمن طويل..
- كنوك : كلا بل منسباً للكلية.. حاملا لسهادة البكالوريا..
- مدام باربالد : لم توجد قط بكالوريا فى الطب..
- كنوك : بكالوريا فى الآداب يا سيدى..
- الدكتور : كنت ممارس مهنة الطب إذن بدون سهاده وفى الخفاء؟

كنوك : كلا بل نهراً جهاراً، لا في بلد في أفصى
الريف بعيد عن العمران، بل في منطقته
مساحتها سبعة آلاف كيلومتر تقريباً..
الدكتور : هذا كلام غير مفهوم.

كنوك : بالعكس هي مسألة في غاية البساطة، فمنذ
عشرين سنة مضت تخليت مضطراً عن دراسة
الآداب واشتغلت بآثاء في قسم « الكرافات »
في متجر كبير بمرسيليا، ثم فعدت عملي
وأخذت أستمع في المناء، وفراء إعلناً عن
سفينة حملتها ١٧٠٠ طن مسافرة إلى الهند
تطلب مسرفاً صحياً ولا تشتترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتور، فماذا تفعل لو كنت
مكافى؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعة الحال..
كنوك : أفهم هذا منك فأنت لا تعنى مهنة الطب،
أما أنا فقد تقدمت، وإذ كنت أمفت الموافف
المريية فعد أعلنهم منذ دخولى فائلا: « أيها
السادة! كنت أستطيع أن أزعم لكم أنني
دكتور، ولكنى فى الواقع لست دكتوراً، بل
أصرح لكم بما هو أدهى، إننى لا أعرف فى أى
موضوع سأكتب رسالتى». فكانت إجابهم

أنهم لا يتمسكون بقلب دكتور، وأن موضوع رسالتي لا يهمهم في شيء، فرددت على الفور: «مع الاعتراف بأنني لست دكتوراً، إلا أنني أود لأسباب تتعلق بالكرامة وحسن النظام أن يطلق على في السفينة لقب دكتور». فقالوا إن هذه مسألة طبيعية، ومع ذلك لبست مدى ربع ساعة أسرح لهم الحجب التي زحزحتني عن التمسك بالصدق والأمانة وحملتني على المطالبة بقلب لا حق لي فيه ولا يرضاه صمبر، وهكذا أطلت الحديد حتى لم يبق أمامهم سوى بلاب دفائق للبت في تحديد مرتبي..

الدكتور : ولكن أصبح أنه لم يكن لديك أي إلمام بالطب؟

كنوك : افهمني! إنني كنت منذ طفولي أقرأ بسغف في الصحف كل إعلان عن علاج طبي أو دواء، وإذا اشترى أبواي علبة حبوب أو زجاجه دواء سائل، نزعنا الورقة الملفوفة عليها وقرأت سرحها لطريقة الاستعمال، فما بلغنا التاسعة من عمري حتى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوحاً طويلة عن عوارض الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكرة نص

خطاب بديع أرسلته الأرملة م.ع. من مدينه
بورج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى
ينتج دواء ضد الإمساك اسمه «الأعصاب
السحرية الأكيدة المفعول». أتريد؟

الدكتور

: لا تتعب نفسك إننى أصدقك..

كنوك

: كان لهذه النصوص الفضل فى أنها جعلتنى منذ
سن مكره' آلف لغة الطب، ولكن فضلها
الأكبر أنها كشفت لى من الطب عن حقيقة
معناه وحقيقة أهدافه، هذه الحقائق التى تخفيها
تعليم الطب فى الجامعة تحت زخرف من
المصطلحات العلمية الجوفاء، وأستطيع أن
أقول لك إننى حين بلغت الثامنة عشره كنت
فد مت لى فطنة صادقة بالطب هى التى تعتمد
عليها اليوم طريقتى فى العلاج..

الدكتور

: لك طريقتك فى العلاج؟ يشوقنى أن أعرفها..

كنوك

: إننى لا أقوم بدعاية، إذ النتائج وحدها هى
التي تتكلم، وها أنت ذا اليوم تبغنى عياده هى
باعبرافك أنت، صفر فى صفر.

الدكتور

: عفواً. صفر فى صفر؟

كنوك

: عد بعد سنة فسترى ماذا سأكون قد فعلت
بها، سيكون أمامك البرهان القاطع،

وإذ جعلنى أنت أبدأ من الصفر فإنك
بضاعف عندى متعة التجربة.

حان : سيدى.. سيدى ! [يتجه إليه الدكتور بارباليد] أظن
أنه بحسن أيضاً أن أفك «الكاربوراتير»..
الدكتور : أسرع.. أسرع [يعود] لما رأيت حديننا قد
طال، طلبت إلى السائق أن يياسر الآن تنظف
«الكاربوراتير» كما يفعل مره كل سهر.

مدام بارباليد : ولكن كيف ستر وجهك فى هذه السفينة؟
كنوك : قضيت الليلتين السابقتين لإبحارى وأنا أفكر
وأندبر، ثم أتاحت لى الخدمة ستة أسهر فى
السفينة أن أتحقق من صحه فهمى لمهنة الطب
ووجدت أن ما أفعله مطابق لما يحدث فى
المستشفيات.

مدام بارباليد : أكان عليك أن تعنى بأناس كبيرين؟
كنوك : طاقم السفينة وسبعة من الركاب كلهم رقيقو
الحال، فى مجموعهم خمسة ونلانون نفراً.

مدام بارباليد : عدد لا يستهان به.
الدكتور : وهل حدثت وقبات؟
كنوك : ولا مرة واحده، فالوفاة ضد مبادئى، فأنا من
أنصار تقليل الوفيات.
الدكتور : هذا سأننا جميعاً..!

كنوك : أنت أيضاً؟ ما كنت أظن ذلك، اعتمدى أن
واجبنا في كلمتين أن نعمل على استبقاء
المريض وألا يصرفنا عن ذلك أى إغراء.

مدام بارباليد : فى فول الدكتور نصيب من الحق.
الدكتور : والمرضى؟ هل كان هناك مرضى كثيرون؟
كنوك : خمسة وبلاتون
الدكتور : يعنى كل فرد فى السفينه؟
كتوك : نعم كلهم جميعاً.
مدام بارباليد : وكيف كانت تسير السفينه إذن؟
كنوك : كان العمل بالتناوب.

[الحطه صب]

الدكتور : اصدفنى الآن.. أحقاً أنت يا دكتور؟ فإنهم
لا يسمحون هنا بمزاولة الطب إلا لمن نال
السهادة وتستجر علينا المتاعب، فإذا لم تكن
حقاً دكتوراً فمن الخير أن تصارحننا بذلك
فوراً..

كنوك : أنا حقاً دكتور فعلاً وفانوناً، إذ أننى حين رأيت
أن نجربتى قد أيدت طريقتى فى الطب لم يصبح
لى من تلهف إلا على أن أرسى هذه الطريقه
على دعائم ثابتة وفى نطاق واسع، ولم أجهل أن

الحصول على السهاده إجراء سكلى لا مفر منه.

مدام بارباليد : ولكنك قلت لنا إنك حديب عهد بدراسه الطب..

كنوك : لم أستطع أن أنتظم فى دراسة الطب فى ذلك العهد الذى محدث عنه، فقد اضطررت من أجل كسب العيس أن أستغل بعض الوقت بتجارة الفول..

مدام بارباليد : ما هذا؟

كنوك : الفول السودانى.. [تدوس مدام بارباليد حركة]، كلا يا سيدتى.. اطمئنى.. لم أكن بائعاً يجول بسله فى يده، لقد أسست مكتباً رئيسياً، يقصده باعة الفول السودانى لسراء حاجتهم، ولو نفيت فيه عسر سنوات لكنت أصبحت مليونيراً، ولكنى لم أجد فى هذا العمل أفل متعة، وكل مهنة فى الأعم إن طال بها العهد تبعث على الملل، وقد تبينت هذا بنفسى، أما المهنة الوحيدة التى لا تبعث الملل حقاً هى الطب أوروبما السياسه أو البورصه، ولم أجرب هذه المهنة بعد..

مدام بارباليد : وفى نيتك أن تطبق طريفتك هنا؟

كنوك : إذا لم تكن هذه نبي لأطلف سامي للريح
وهرب، وهيئات لك أن تلحمي بي، كنت
أفضل بطبغ الحال أن أطبق طريفني في مدينة
كبيرة..

مدام باربالد : [لروحها] ها أنت ذا راحل إلى مدنته ليون
فلماذا لا تلمس بعض الإرسادات من
الدكتور، فإنك لن نغرم شيئاً..

الدكتور : ولكن يبدو أن الدكتور كنوك لا يريد أن
يفضي بطريقته..

كنوك : [إلى الدكتور باربالد بعد برهة من التكرار] أحب أن
أخدمك، وها أنذا أقدم إليك الاقتراح التالي:
بدلاً من أن أدفع لك ديني نقداً في يوم علمه
عند الله، فإنني أدفعه لك عيناً، بأن أبيعك معي
نمانيه أيام أدربك فيها على طريفني..

الدكتور : [ممتصاً] أنت غزح يا صديقي العزيز، لعلك أنت
الذي سكتب لي بعد نمانيه أبام نسألني
المشورة والنصح.

كنوك : لا داعي لهذا التأجيل ففي حسابي أن أفتبس
منك اليوم بعض إرسادات نكون لي نافعة
جداً.

الدكتور : أنا نحت أمرك يا زميلي العزيز.

- كنوك : هل فى مدينتكم قارع طبل ؟
- الدكتور : معنى «المنادى العمومى» الذى يذوق الطبل ويبلغ الناس ما عنده ؟
- كنوك : هو بعينه..
- الدكتور : نعم لدينا هذا المنادى العمومى تكلفه البلدية بأن يذيع تعليماتها ولا يلجأ إليه من الأفراد إلا رجل ضاع منه كبس نفوده، أو صاحب متجر يصفى بضاعته القديمة من فخار-أو صنى.
- كنوك : فهت اوكم بلغ عدد سكان سان موريس ؟
- الدكتور : ثلاثة آلاف وخمسمائة على ما أظن، أما إذا ضمنت إلى البلدة ضواحيها فالعدد ستة آلاف تقريباً..
- كنوك : وعدد سكان المركز كله ؟
- الدكتور : ضعف هذا العدد على الأقل..
- كنوك : وهل السكان فقراء ؟
- مدام بارباليد : لا بالعكس هم من ميسورى الحال بل من الأغنياء، فهناك ضياع واسعة، وكثير من الناس يعيشون على موارد أملاكهم.
- الدكتور : وكلهم على درجة فظيعة من السخ والنفير..
- كنوك : وهناك مصانع ؟

- الدكتور : عدد قليل جداً..
- كنوك : والحركة التجارية؟
- مدام بارباليد : ليست الدكاكين هي التي تنقصنا..
- كنوك : وأصحابها.. هل تجارهم هي شغلهم الساعل؟
- الدكتور : كلا فإن أغلبهم يستغل بالتجارة لزيادة دخلهم أو على الأخص لخلق وسيلة يسجلون بها أوفات فراغهم.
- مدام بارباليد : والعادة أن الزوج يحرس الدكان على حين يخرج الزوج يتسكع باحثاً عن تسلية..
- الدكتور : أو العكس.
- مدام بارباليد : أعترف بأن الزوج في الغالب هو الذي يهجر الدكان، ذلك أولاً لأن النساء لا يعرفن أين يذهبن، على حين أن الرجال أمامهم أن يذهبوا إلى الصيد بالبندفيه أو صيد السمك، وفي الشتاء يذهبون إلى المقهى.
- كنوك : وهل النساء متمسكات بالتقوى؟
- الدكتور : [بارباليد يأخذ في الضحك] هذا سؤال له أهميته عندى.
- مدام بارباليد : كيرات منهن يذهبن للصلاة في الكنيسة
- كنوك : وهل للدين دور كبير في مساعلهن اليومية؟
- مدام بارباليد : ياله من سؤال عجيب!

- كنوك : بديع جداً [يفكر] أليس هناك رذائل جسيمة؟
- الدكتور : ماذا تعنى؟
- كنوك : أفيون.. كوكايين.. ندوات سمر وعربده، سذوذ جنسى.. تعصب سياسى..
- الدكتور : إنك مخلط بين أسياء مبيانه، إننى لم أسمع قط عن أفيون ولا ندوات سمر وعربده، أما الساسه فهى تسغل أهل البلد كغيرهم من الناس.
- كنوك : ولكن هل فيهم من يهرى جلد أبويه لتغليب رأيه فى قانون الانتخاب مثلاً أو قانون ضريبه الإيراد؟
- الدكتور : لم يصلوا إلى هذا الحد والحمد لله.
- كنوك : والخيانه الزوجيه؟
- الدكتور : أفندم؟
- كنوك : هل تنفسى عندكم فوق الحد؟ وهل يسغل أمرها الناس شغلاً سديداً؟
- الدكتور : أسئلتك عجيبه، فبلدنا مثل أى بلد آخر فيه رجال نخونهم زوجانهم، ولكن عددهم معقول.
- مدام بارباليد : أولاً إن الخاناه الزوجيه غر مسوره إذ أن الناس يتفانون فى مرايهه بعضهم.
- كنوك : أليس لديكما معلومات أخرى عن المذاهب

الدينية؟ عن الخرافات؟ عن الجمعيات
السرية؟

مدام بارباليد : بعض نساء بلدتنا الفارغات استغلن في وقت
من الأوقات بتحضر الأرواح.

كنوك : آه.. آه..

مدام بارباليد : يجتمعن عند زوجة الموني وتنكلم الروح
بحركة من المنضدة.

كنوك : مصيبة.. هذا سيء كرية.

مدام بارباليد : ولكنهن فيما أظن قد أفعلن عن عادتهن

كنوك : آه أحسن.. وهل يوجد كذلك مسغلون

بالسحر أو بالعلاج الروحاني؟ مثلاً فلاح

تفوح منه رائحة الأغنام يزعم أنه يشفى

الناس بالرفى والتعاويذ؟

[جان يشاهد من الحس والآخ وهو يدير المانفلا حتى تنهر

أنفاسه ثم يحفف عرقه]

الدكتور : ربما كان هذا موجوداً فيما مضى أما اليوم فلا..

كنوك : [تنحلي عليه مطاهر التحفز ويحك كما تكف وهو يمشى]

خلاصه القول أنه قد آن للعصر الطبى أن

يسرق [يمترب من السيارة] يا زميلي العزيز أمن

الفسوة على هذه السيارة أن سألها بذل مجهود

جديد؟ إننى متلهف على بدء إقامى فى سان
موريس.

مدام باربالد : يا لها من لطفه مفاجئه !
كنوك : من فضلكم ! فلنصل إلى بلدتكم المتربعة فوق
قمة الطريق.

الدكتور : أى عامل قوى أصبح مجذبك إليها إذن ؟
[كنوك يتسنى الحيلة ودعائاً فى صمت]

كنوك : يا زملى العزيز.. بخيل إلى أنك قد فوت عليك
فى تلك البلدة فرصة بديعة، وإن اقتبس
أسلوبك أقول : إنك حصدت السوك بعرو
الجبين بدلاً من الممار الطيبه، كان ينبغى لك
أن ترحل وأنت غارق فى الذهب ومتربع على
أكداس من الأوراق المائلة، وأنت يا سيدى
تحتلن بعقد من اللؤلؤ من بلانه فروع،
وكلا كما فى سياره فخمه [يشير إلى السياره الرمة]
لا فى هذا التأمر التاريخى لأول حبو للنبوغ
العصرى.

مدام باربالد : أتمزح يا دكتور ؟
كنوك : لو كان مزاحاً لكان فاسياً يا سيدنى.
مدام باربالد : إذن فهذا كلام فظيع.. هل سمعت يا ألبر
فوله ؟

الدكتور : أدركت أن الدكتور كنوك رجل بحري وراء
السراب وأنه فوق ذلك هوائي لا يفر له
قرار.. تتلاعب به الأحاسيس متباينه في غاية
الغلو، فهو يرى تارة أن العيادة لا تساوي
ولا صولدي، وتارة أنها من الذهب [يرفع كفيه
إلى أعلى].

مدام بارباليد : وأنت أيضاً، إنك مستبد برأيك، ألم أقل لك
أكثر من مرة إنك لو عرفت كيف تعالج
الأمور لكنت لنا في سان موريس حباه أفضل
من التي عسناها.

الدكتور : طب.. طب.. إنني سأعود بعد ثلاثة أسهر
عند حلول القسط الأول من الدين، وسترى
ماذا يكون حال الدكتور كنوك..

كنوك : وهو كذلك.. أرجعوا بعد ثلاثة أسهر، وسنجد
حينئذ فسحة من الوقت نتبادل فيها الحديث،
أما الآن فإني أناشدكم أن نرحل فوراً.

الدكتور : [إلى جان بنهيب] هل أنت مستعد؟
حان : [بصوت حافت] أما عن نفسي فأنا مستعد ولكني
لا أظن أننا سنفلح هذه المرة بمجهودنا وحده
أن نحرك السيارة.

الدكتور : [شمس اللهههه] وكيف؟

حان : [يرأسه] يلزمنا رجال أسد هوة منا.
 الدكتور : وما فولك لو حاولنا دفعها؟
 حان : [وهو غير واثق] ربما.
 الدكتور : أنا واثق أننا نستطيع، فأمامنا عسرون متراً في
 طريق منبسط، وسأتولى عجله الفياحه، وتفوم
 أنت بدفع السيارة.
 حان : فليكن.
 الدكتور : نم تعمد إلى المفز إلى سلم السيارة في اللحظة
 المناسبة.. فهمت؟.. [يعود الدكتور للآخرين] إذن
 هيا اركب يا زميلي العزيز، سأتولى، أنا قيادة
 السيارة إذ أن جان - لأنه عملاق - يريد من
 فيبيل اللهو والتسلية أن تطلع بنا السيارة بغر
 عون من «المانفيل» طلعه ممكن أن نسميها
 «أوتوماتيكه» مع أن هوه العضلات تفوم
 بعمل السراره الكهربائيه، وكلا الفتوتين في
 الحق من نوع واحد تقريباً..
 [جان يميل على مؤخره السيارة يدفعها]

الفصل الثاني

[في المسكن الذي كان يقيم فيه الدكتور باربالد من قبل، وقد أنه الدكتور كنوك ترتيب مؤلف منصدّة مقاعد، دولاّب كتب سير لويج سور. حوض للفسيل.. وعلى الحدراّن رسوماً علم التشريح]

المشهد الأول

كنوك - المنادى العمومى

كنوك : [وهو حالس يجيل نظره فى الحجره ثم يكتب] أنت المنادى العمومى ؟
المنادى : [وهو واقف] نعم يا سيدى..
كنوك : نادنى بلقب دكتور.. وتكون إجابتك: نعم يا دكتور أو لا يا دكتور..
المنادى : حاضر يا دكتور..
كنوك : وحين تتاح لك فرصة التحدب عنى مع الناس فلا يفوتك أبداً أن تكون عبارتك هكذا: الدكتور قال.. الدكتور فعل.. هذه مسأله

- تمنى، وبأى عبارة كنتم تتحدون عن الدكتور
بارباليد إذا جاءت سيرته؟
- المنادى : كنا نقول: رجل طيب، ولكنه ليس حجة في
الطب..
- كنوك : ليس هذا ما سألتك عنه، هل كنتم تقولون:
الدكتور؟
- المنادى : كلا.. كنا نقول مسيو بارباليد أو «أبو
كسوره»!
- كنوك : وما معنى «أبو كسوره»؟
- المنادى : هذا وصف اشتهر به بين الناس ولكن لم أفهم
قط سببه.
- كنوك : وهل كان رأيكم فيه أنه ليس على درجة كبيرة
من البراعة في مهنته؟
- المنادى : أما عن نفسى فاعتقادتى أنه كان على درجة
لا بأس بها من البراعة، وبقية الناس
لا يعترفون.. بذلك.
- كنوك : عجيبة!
- المنادى : وكان إذا قصده، إنسان لم يجد..
- كنوك : لم يجد ماذا؟
- المنادى : يجد عليه، ففى تسعين فى المائة من الحالات
يصرف المريض بقوله: «عارض تافه»

وستكون يا صديقي من غد في أتم صحة
وعافية..

: حقا؟

كنوك

المنادى

: أو لا يلقي باله إلى حديث زائره مردداً
«طيب.. طيب..» أو «نعم. نعم.» ثم ينطلق في
التحدث ساعة كاملة عن مسألة أخرى، كأن
يتحدث مثلاً عن سيارته..

: كأنما يقصده المريض لسمع هذا الحديث؟
: ثم يصف دواءً زهيد الثمن يكون أحياناً شرب
سائل معرّق، وأنت مدرك أن الذى يدفع ثمانية
فرنكات أجر استشارة الطبيب لا يرى له أن
يصف له دواءً زهيد الثمن؟ إن أشد الناس
غباءً ليس فى حاجة لاستشارة طبيب من أجل
أن يصف له احتساء فنجان من البابونيك..
: يحزننى ما أسمعك منك ولكن استدعيتك
لأستفسر منك عن شىء. هو الأجر الذى
كنت تتقاضاه من الدكتور بارباليد حين يكلفك
بإذاعة إعلان له؟

كنوك

المنادى

: [بمارة] إنه لم يكلفنى قط بإذاعة إعلان له..
: ماذا تقول؟ حتى ولا مرة واحدة فى بحر ثلاثين
عاماً؟

المنادى

كنوك

- المنادى : ولا إعلان واحد في تلاتين سنة أقسم لك..
كنوك : لا بد أنك نسيت؛ لا أستطيع أن أصدقك.
وباختصار ما هي تعريف الأجر؟ [يهس من مقعده ممسكاً ورقة في يده]
المنادى : ثلاثة فرنكات للجولة القصيرة.. وخمسة فرنكات للجولة الكبيرة، وقد تحسب أن الأجر مرتفع، ولكنه عمل يتطلب جهداً كبيراً، وعلى كل حال فإنني أنصح سيدي...
كنوك : الدكتور..
المنادى : إنني أنصح الدكتور إذا هان عليه دفع زيادة في الأجر في حدود فرنكين اثنين أن يختار الجولة الكبيرة فهي أكبر بركة من الأخرى..
كنوك : ما هو الفرق بينهما؟
المنادى : في الجولة الصغيره أنادي خمس مرات أمام البلدية وأمام مكتب البريد وأمام فندق المفتاح وفي الميدان الكبير، وعند مدخل السوق، أما في الجولة الكبيره، فإنني أقف وأنادي إحدى عشرة مرة سأعدها لك..
كنوك : فهمت! سأختار الجولة الكبيره، فهل أنت خال من الشغل هذا الصباح؟
المنادى : على الفور إن شئت..

كنوك : إليك إذن نص الإعلان [ساوله الوروه]
المنادى : [يتأمل النص] إننى أفك الخط، ولكنى أفضل أن
تقرأه لى.. لأول مرة.

كنوك : [يقرأ النص بتمهل، والمادى ينصت ممتحناً إسماع التلاوه طمناً
لأصول مهته]: «الدكتور كنوك خليفة الدكتور
بارباليد يهدى تحياته إلى أهالى مدينة ومركز
سان موريس ويتسرف بإحاطتهم علماً أنه
استجابة لرغبته فى فعل الخير والقضاء على
هذه الزيادة الموجهة للقلق فى نفسى مختلف
الأمراض فى منطقة كانت معروفة بطبيب
مناخها...

المنادى : هذه حقيقة صارخة..
كنوك : ... فإنه يعلن أنه يتبرع بالكشف مجاناً على
المرضى من أهل المركز كل يوم اثنين من
الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الحادية
عشره والنصف.. أما إذا كان المريض لس
من أهل المركز فإن أجر الاستشارة سيظل
كالمألوف: سمانه فرنكات..».

المنادى : [يتناول الوروه باحترام] حقاً إنها فكرة جميلة..
فكرة ستكون موضع تقدير، فكرة فاعل خير
[يعبر من لمحته]، ولكنك تعلم أن اليوم هو يوم

الانين، فإذا أذعت هذا الإعلان هذا الصباح
فلن غمضى خمس دقائق حتى يتقاطر الناس
إليك..

كنوك : بهذه السرعة؟ أتظن ذلك؟
المنادى : لعلك لم تنتبه إلى أن يوم الانين هو يوم
السوى ونصف أهل المركز مجتمعون به وسيبلغ
الإعلان هذا الحسد الضخم ولن تعرف من
سدة الزحام عليك رأسك من رجلك..

كنوك : سأبذل جهدى وأحسن التصرف...
المنادى : بفيت مسأله أخرى.. إن يوم السوى هو اليوم
الذى يتيح لك أكبر فرصة للظفر بربائن،
وكان الدكتور بارباليد لا يجد زبوناً إلا فى هذا
اليوم [ثم يقول له نالعه] فإذا اكسفت عليهم مجاناً..

كنوك : لا يغيب عليك يا صديقى أن الذى أريده قبل
كل سىء هو أن يألف الناس معالجة أبدانهم،
وإلا لو كان المال مطعمى لكنت فتحت عيادى
فى باريس أو نيويورك..

المنادى : آه.. لقد وضعت أصبعك على العله، فإن الناس
هنا لا يهتمون بالعلاج اهتماماً كافياً..

كنوك : ألاحظ يا صديقى أن لك منطقاً حكيماً.
المنادى : [وقد ملأه الرمو] أوه.. بالطبع إن لى منطقاً حكيماً.

مع أنني لم أنل من التعليم ما كنت أستحقه،
ولكن هناك كثيرًا من المتعلمين يهزمون عند
الجدل أمامي، وحضرة العمدة - وإن كنت
لا أريد ذكره - عنده عن ذلك الخبر اليقين،
دعني أقص عليك كيف حدث ذات يوم
يا سيدى..

: يا دكتور.

كنوك

: [بشوة] يا دكتور.. كيف حدث ذات يوم أن
كان مأمور المركز بنفسه موجودًا في البهو
الكبير المخصص لعقد الزواج في دار العمدة،
ويمكنك أن تستوى من صحة الوقائع ممن
حضر من كبار القوم مثل حضره نائب المأمور
وإن كنت لا أريد ذكره أو مسيو ميكالون..
فإذا بي...

المنادى

: فإذا بحضره المأمور فد أدرك من فوره أنه
بإزاء رجل فذ، وأن منادى البلد هو متاد يحسن
إقامة الحجة بما لا يحسنه أناس وإن كانوا لم
عتهنوا مهنته إلا إنهم يسمخون بأنوفهم ادعاءً
بأن مقامهم يعلو فوق مقامه بكبر، ثم إن
الذى انعقد لسانه وارتبك لم يكن إلا حضرة
العمدة نفسه..

كنوك

المنادى : [فى سعادة كبيرة] هذه هى الحقيقه بعينها، فلا حاجه إلى تغيير كلمه واحده فيها، ويكاد المرء يقسم إنك موجودًا حينئذ بيننا، مختبئًا فى ركن صغير..

كنوك : إننى لم أكن موجودًا هناك يا صديقى..
المنادى : إذن لابد أن يكون قد روى لك القصة إنسان ذو مقام [تصدر من كوك حركة تتم عن تحبط دبلوماسى]، ولن تستطيع أن تنزع من رأسى أنك تحدثت فى هذا الموضوع مع حضرة المأمور..

كنوك : [ينع بالانسام ثم يهص] إذن فإننى معتمد عليك يا صديقى اعتمادًا كبيرًا.. ألبس كذلك؟
المنادى : [بعد تردد متوال] إننى لن أستطيع أن أملك المجرى للعيادة مبكرًا، وإذا ملكته فسيكون بعد فوات المواعيد، فهل لك أن تسدى إلى جمىلا يدل على طيبه قلبك كسف على فورًا..؟
كنوك : هيه.. بنسرت أن تسرع فلبدى موعد مع مسيو برنار المدرس، ومسيو موسكيه الصيدلى، وينبغى أن أقابلهما قبل مجئ الزبائن، مم تشكو؟

المنادى : انتظر حتى أفكر [يصحك] .. بعد أن أتناول

عسائى أحس أحياناً بسىء يسبه الأكلان هنا
[يضع يده على أسفل بطنه] سىء يسبه الدغدغة أو
الخربسة..

كنوك : [وقد استغرى فى تفكير عميق] احترس، حذار من
الخلط، ينبغى أن تقول لى هل هى دغدغة أم
خربشة !

المنادى : إنها خربشه [يهكر] ولكنها مصحوبة بدغدغة
بسيطة أيضاً..

كنوك : أرفى الموضع بالضبط.

المنادى : هنا..

كنوك : أين هنا هذه ؟

المنادى : هنا.. أو قد يكون هنا.. أو قد يكون بين
الموضعين..

كنوك : فى الوسط بين الاثنين نأماً ؟ أم يكون أبعد
قليلاً إلى اليسار ؟ هنا حيث أضع أصبعى ؟

المنادى : بجوز

كنوك : هل تسعر بألم حين أغرز أصبعى ؟

المنادى : نعم.. يخيل إلى أننى أشعر بألم..

كنوك : آ... آه [يفكر وقد انعقد حينه دلالة على التوجس]

أفلا تسعر بهذا الأكلان يزداد عن المؤلف إذا
أكلت رأس عجل مطبوخ بالخل ؟

المنادى : إننى لا أكل لحم الرأس أبداً، ومع ذلك بخيل
إلى أننى لو أكلته لزد الأكلان عن المألوف
كنوك : آه.. آه هذا سىء مهم جداً آه.. آه.. كم
عمرک؟

المنادى : ما بين واحد وخمسين وانبين وخمسين.
كنوك : ولكن لأيهما عمرک أقرب؟ لواحد وخمسين أم
لانبين وخمسين؟

كنوك : [يرتك هليلا] أهرب إلى البانية والخمسين إذ
سأتم السنة فى نوفمبر القادم..

كنوك : [يضع يده على كتفه] يا صديقى.. باسر عملك
اليوم كعادتك وفى المساء اردد فى فراشك
مبكراً وابق فيه غداً لا تبرحه، وسأمر عليك
لأفحصك ولن أتناضى أجراً منك أنت، ولكن
لا تنفل، هذا الخبر لإنسان، إنه إكرام منى
لك..

المنادى : إنك طيب جداً يا دكتور، ولكن هل على
خطيرة؟

كنوك : إنها لم تصبح بعد خطيره جداً، ولكن فداً آن
أوان علاجها.. هل تدخن؟

المنادى : [يخرج مندبله] كلا.. بل أمضغ التبغ.
كنوك : ممنوع مضغ التبغ منعاً باتاً.. هل نحب النبيذ؟

- المنادى : إننى أسريه باعتدال..
- كنوك : ممنوع سرب النبيذ ولو فطره واحده.. هل أنت متزوج؟
- المنادى : نعم يا دكتور [المنادى يمسح عرقه].
- كنوك : ينبغي التزام منتهى التعقل فى هذه الناحية. فهمب؟
- المنادى : هل أستطيع أن آكل؟
- كنوك : اليوم ما دمت تؤدي عملك، فلك أن تسرب شيئاً من الحساء، وغداً سنتدبر وضع قائمة صارمة بالمنوعات، وإلى ذلك الحين عليك أن تتبع ما قلته لك..
- المنادى : [يمسح عرقه مره أخرى]. ألا يكون من الخير في رأيك أن ألزم الفراش من فورى؟.. إننى حفا لا أسعر بأن حالنى طبيعىة..
- كنوك : [يفتح الباب]. حذار من هذا، ففى حالتك هذه لايجسن الرقاد فى الفراش ما بين طلوع الشمس وغروبها، فباسر عملك كأن لم يطرأ عليك سىء، انتظر بهدوء حتى يجيء المساء. [المنادى يهرج والدكتور كنوك يشيعه].

المشهد الثاني

كنوك - المدرس برنار

كنوك : صباح الخير يا مسو برنار، عسى ألا أكون
قد أزعجتك كثيراً بدعوتك للمجيء إلى هذه
الساعة..

برنار : كلا.. كلا.. فقد ملكت دقائق قليلة من وقتي إذ
أن مساعدي يتولى مرافقه التلاميذ في الفسحة.

كنوك : كنت أتوفى إلى تبادل الحديث بيننا، فلدينا مهام
كبيرة ينبغي أن نتشارك في حملها، مهام عاجلة،
ولست أنا الذي يضحي بهذه المعاونة الجليله
التي كنت تسديها إلى سلفي.

برنار : أية معاونة؟

كنوك : أحب أن أقول لك إنني لست بالرجل الذي
يفرض آراءه على الغير أو يهدم من الأساس
كل ما بناه الآخرون من قبل، فستكون أنت
في البدء مرسدى ودليلي..

برنار : لا أتبن مغزى كلامك..

كنوك : لنترك الآن كل شيء على ما هو عليه، نم

نتناوله بالحسن فيها بعد إن لزم الأمر [كوك
بحس.]

برنار : ولكن..

كنوك : في مجال الإرشاد الصحى أو المحاضرات
السعيه أو الندوات الصغيره الى نعمدها معاً،
ستكون طريفك. هى طريفي ومواعيدك
مواعيدى..

برنار : المسأله يا دكتور أننى أخشى ألا أكون قد
أدرك الهدف الذى ترمى إليه بهذه
التلميحات كلها..

كنوك : أود أن أقول بكل بساطة إننى راغب فى إبقاء
الصلة بنينا كامله لا تمس حتى خلال الفرة
التي أنسغل فيها بترتيب عيادى..

برنار : لابد أن فى كلامك معنى أنا عاجز عن فهمه..
كنوك : عجباً.. ألم تكن على صلة دائمه بالدكتور
بارباليد؟

برنار : كنت أهابله بين الحب والآخر فى مفصف فندق
المفتاح أو كان يحدث أن نلعب البليارد معاً..
كنوك : هذا النوع من الصلات ليس هو موضوع
كلامى..

برنار : لم تكن بيننا صلاب سواها..

كنوك : عجباً.. عجباً.. كيف إذن كنتما تتفاسمان عبء
الإرساد الصحي بين الأهالي ونسر الدعاية
الصحية بين الأسر؟ ولغير ذلك من الأمور؟
إننى أعنى جماع المهام التى لا يستطيع المدرس
والطبيب النهوض بها إلا بعمل مشترك بينهما..

برنار : لم نتشارك أبداً فى سىء..

كنوك : ماذا؟ هل فضل كل منكما أن يعمل مستقلاً؟

برنار : المسألة أبسط من ذلك، فهذه أسبَاء لم نفكر

فيها قط لا أنا ولا هو، وهذه هى أول مرة
أسمع فيها مثل هذا الكلام فى سان موريس.

[تدو على كوك كل علامات الدهشة المروحة بالأسف]

كنوك : آه.. هذه أنباء أوكد لك أننى لو لم أسمعها من

فمك أنت لما صدفتها أبداً..

[فتره صم].

برنار : يؤسفنى ما سببته لك من خيبة الأمل.. ومن

الإنصاف أن تسلم بأنه لم يكن فى وسعى أنا
اقتراح وضع خطة مطابقه لرأيك حتى لو
جالت فكرتها فى رأسى وحتى ولو لم يلتهم
عملى فى المدرسة كل وقتى..

كنوك : بالطبع! كنت تنتظر دعوه فلم نجتك.

- برنار : ما قصدنى إنسان لخدمة إلا بذلت جهدى فى أدائها.
- كنوك : أعلم هذا يا مسيو برنار.. أعلم هذا [فترة صت] ما أبأس أبناء هذا البلد نفضت منهم الأكف، فلا يبصرهم أحد بوسائل العلاج والوفايه.
- برنار : هذا هو الواقع.
- كنوك : أراهن أنهم يسربون الماء دون أن يسغل بالهم أن فى كل حرعه لهم بلايين البلايين من البكتريا..
- برنار . آه . هذا محمى.
- كنوك : ألدبهم على الأقل علم بالميكروبات؟
- برنار : أسك فى ذلك كبيراً.. أن بعض الناس هنا يعلمون هذه الكلمة ولكنهم يتصورون أنها اسم لبعض أنواع الذباب..
- كنوك : [وهو يهص] هذا فظيع.. صدفتى يا عزيزى مسيو برنار إننا لن نستطيع فى سمانيه أيام أن نصلح أنا وأنت آثار سنين، عديده من.. من عدم المبالاه ولكن ينبغى لنا مع ذلك أن نعمل شيئاً..
- برنار : لا مانع عندى، إنما أحسى ألا أنفعك كبيراً.

كنوك : يا مسبو برنار.. سبق لسخص بك جد خبر
أن كسف لى عن عيب جسيم فى طبعك وهو
التواضع فما بجهل إنسان غرك أنك هنا
صاحب رأى مطاع بفضل سمو مكانتك
الأديبه ونفوذك الشخصى، وأرجو أن تغفر لى
بجاهيتك بهذه الحفيضة، فما يتاح لعمل جدى
نافع أن يتم هنا إلا بفضلك.

برنار : أنت ببالغ با دكتور.

كنوك : إذن اتفقنا، أستطيع وحدى أن أعالج المرضى،
ولكن المرض ذاته من الذى يعيننى على
محاربته مطاردته، منذا الذى بصر إخواننا
المساكين هنا بالخطر الذى يهدد أبدانهم فى كل
لحظة، ومنذا الذى يعلمهم، أنه لا ينبغى تأجيل
طلب الطبيب إلى حين طلوع الروح؟

برنار : لا أخالف رأيك فيهم، إنهم فى غاية الإهمال..

كنوك : [حماس يترايد شيئاً مشيناً] لنبدأ من البداية، لدى
هنا نص محاضرات عديده مكتوبه بلغة بسيطة،
وملحق بها بيانات مسوفاة وصور على زجاج
وفانوس سحرى، فتتولى أنت بخبرتك تنظيم
الانتفاع بهذا كله وكخطوة أولى إليك بنص
كامل لمحاضرة لذيذة عن التيفويد تتحدث

عن تسترهما تحت علامات خادعه لا ينبه لها المريض وعن مصادرها التي يفوق الحصر كالماء والخبز واللبن والمحار والسلطنة والخضروات والتراب وتنفس المريض.. إلخ.. إلخ.. وكيف أنها تكمن الأسابيع والسهوردون أن تفضحها علامة وكيف أنها تحدث فجأة عللا مميته وتجد وراءها مضاعفات خطيره، وهذا النص مصحوب بمناظر جميلة، صورة للباسلاص في حجم ضخم جدًا وصورة ممالة من براز المريض، ولغدد ملهبة، ومصارين مفعوة، ليس صورًا بالأبيض والأسود، بل هي صور ملونة كما تروم بالوردي والكسنتاني والأصفر والأبيض المخضر..

[كنوك بعد]

: [وقد بد عليه علامات الانتاس] المسأله أننى رجل سريع التأثر وإذا أغرقت نفسى فى هذه اللجه فلن أذوق النوم..

برنار

: هذا هو الواجب بعينه، أريد أن أقول إن صدمة الصحوه المباعته هى الى ننبغى لنا أن نزلزل بها أحساء السامعين، أما أنت يا مسو برنار فستتعود عليها، فدعهم هم يأرفون لها

كنوك

[عيل عليه] فخطبتهم أنهم بنامون في أمار
خادع لا يوقظهم منه إلا بعد فواب الوقت
مرض ينزل عليهم كالصاعقه.

: [تتمشى في حسده رعدده، يده على المكتب وبطرته متهرنه]
إننى لا أمتع بصحه متينه وفد لى أبواى عنتاً
سديداً في السهر على، واعلم أن الميكروبات
الى بدمها لنا على الألواح الزجاجية ما هى
إلا صورة، ولكن ألا ترى..

برنار

: [كانه لم يسمع شيئاً] أما هؤلاء الذين يسمعون
المحاضرة الأولى فلا يتحولون عن برودهم
فقد أعددت لهم محاضره نانية بعنوان يبدو
بريثاً هو: «حاملو الميكروبات» فيها براهين
واضحه وضوح النهار مدعمة بأمله عن
حالات كانت موضع درس ومرافقه تبين أن
السخص قد بجوس خلال الناس، وجهه
مسرفى، ولسانه وردى، وطعامه مأكول بسهيه
بديعه، ومع ذلك فهو يخفى في تلافيف حسده
ملايين الملايين من الباسلاص في أسد درجات
النسائط بحيث يكفى ما يحمله منها للويب
مقاطعة بأكملها [ينهى] فاعتماداً على العلم
والعمل، أن أسبته في أول قادم أن يكون حاملا

كنوك

الميكروبات، وها أنت ذا ملا لا سىء يؤكد لى
أنتك لست واحدًا منهم..

: [يهى] أنا يا دكتور؟!

برنار

: ما أسد عجيبى لو استمع إنسان لهذه المحاضرة
النانية البسيطة وبقى بعدها رائق المزاج..

كنوك

: هل تظن أننى يا دكتور من حاملى
الميكروبات؟

برنار

: ليس بالضرورة أنت، إننى كنت أضرب ملا،
ولكنى ها أنذا أسمع صوت المسو موسكبه،
فإلى اللقاء با عزيزى المسيو برنار، وسكرًا
على انضمامك إلى، هذا الانضمام الذى لم أكن
أسك فيه قط..

كنوك

المشهد الثالث

كنوك - الصبدى موسكبه

: تفضل اجلس يا عزيزى المسبو موسكبه، لم
يسعبنى الوقت أمس إلا أن ألقى نظره عاجلة
على محويات صيدليتك، ولكن لم أكن فى
حاجة إلى مزيد لأتبين أنها صيدلية ممارة فى

كنوك

ترتيبها وفي النظام المحكم الذى يسودها، وفي
أخذها بأحدث الأساليب حتى فى أصغر
الأمور.

موسكيه : [فى ثياب متواضعة بل مهملة] يا دكتور أنت رجل
بجامل جداً..

كنوك : هذه مسأله أنا حريص عليها أسد الحرص،
فإنى أعتقد أن الطبيب الذى لا يتاح له
الاعتماد على صيدلى من الدرجة الأولى، هو
بمابه قائد حيس بمضى إلى المعركة بدون
مدفعيه..

موسكيه : يسعدنى أن أراك تفكر أهمه مهنتى..
كنوك : ويسعدنى أنا أيضاً أن أقول إن مؤسسة
كمؤسستك لاشك أنها تلقى جزاءها وأنت
تكسب فى السنة خمسة وعشرين ألفاً على
الأقل..

موسكيه : من الأرباح؟ آه.. يا إلهى لو أننى كسب ولو
نصفها..

كنوك : يا عزيزى مسيو موسكيه، إنك الآن لسب أمام
مندوب مصلحة الضرائب، إنك أمام صديق بل
دعنى أقول إنك أمام زميل..

موسكيه : ستكون إهانة لك لا أرضاها لو عاملتك بحذر

- مستريب، وإنما الذى قلته لك هو الحصة بعينها
مع الأسف [بعد فترة تريب] إننى أكافح كفاحاً
سديداً لثلاثين يقتصر مكسبى على عسره آلاف..
- كنوك : ألا تدرك أنها فضيحة؟ [موسيكه يرفع كتفيه بحركة
تدل على الحزن] فإن مبلغ خمسة وعشرين ألفاً
كان فى تقديرى هو الحد الأدنى.. ولبس لك مع
ذلك منافس..؟
- موسيكه : ولا واحد إلا على بعد خمسة فراسخ..
كنوك : إذن ما السبب؟ هل لك أعداء؟
موسيكه : لا أعرف أن لى أعداء.
- كنوك : [يخفض صوته] هل صحبتك بيضاء لا سودها
هفوة يؤسف لها نتيجة سهو ملا؟ خمسون
جراماً من صبغه الأفيون بدلا من زيت
الخروع، وهذا سهو مبسور وفوعه؟
- موسيكه : عملت عشرين سنة فلم تقع منى هفوة
واحدة.. صدقنى..
- كنوك : إذن.. إذن. إننى أمفت أن أتقدم بفروض
أخرى ولكن سلفى.. هل كان ممصراً فى
واجهه؟
- موسيكه : هذه مسألة يختلف فيها الرأى.
كنوك : مرة أخرى أقول لك يا عزيزى مسيو موسيكه

- إن الكلام سيبنى بيننا نحن الانبن سراً..
: الدكتور بارباليد رجل ممتاز، وكان بينى وبينه موسكبه
أحسن صله شخصيه..
- : ولكن «رونستاته» جميعاً لا تؤلف مجلداً ضخماً؟ كنوك
: الحقيقه نطق بها لسانك أنت.. موسكبه
- : إننى حين أتدبر الآن جماع المعلومات التى كنوك
جاءتني عنه أشتاتاً أراى مدفوعاً إلى التساؤل
عما إذا كان سلفى يؤمن بالطب..
- : لقد بذلت غاية جهدى بإخلاص فى مبدأ الأمر موسكبه
فكنت إذا جاء الناس يسكون من أوجاع،
ورأيت أن حالهم يدعو إلى سىء من القلق،
أرسلت بهم إليه، ثم كأن سلامهم كان سلام
وداع فلا أراهم يعودون إلى أبدأ..
- : إن هذه الأخبار لها تأثير على أشد مما كنت كنوك
أود، إن لنا نحن الانبن يا عزيزى مسيو
موسكبه مهنتين من أحسن المهن عند الناس،
أليس من العار إذن العمل على الخط بها قليلا
قليلاً عن قمه عاليه من السلطان والنراء
بلغتها بفضل جهود أسلافنا، نكاد السفطان
تنطقان بعباره تخريب مقصود..
- : بلا جدال، وإذا تركنا مسائل المال جانباً فمن موسكبه

الإخلال بالواجب ترك المهنة تنحدر إلى ماهو
دون مستوى السباك والبقال، أؤكد لك
يا دكتور أن زوجي لا تستطيع شراء القبعات
والجوارب الحريرية التي تتباهى بها زوج
السباك كل أيام الأسبوع لا يوم الأحد
وحده..

كنوك : اسكت يا صديقي العزيز، فإنني أتوقع
لكلامك فما هو إلا كأني أسمع من يقول إن
زوجة رئيس مجلس النواب قد انحدر بها الحال
حتى أصبحت تغسل ملابس بائعة الخبز من
أجل أن تحصل على حاجتها من الأرغفة.
موسكيه : لو كانت مدام موسكيه هنا لأخذها الطرب
لسماع كلامك.

كنوك : في منطقة مل منطقة مركز سان موريس ينبغي
لنا نحن الاندن ألا نستطيع رفع رأسينا من
كره العمل..

موسكيه : هذا حق..
كنوك : إنني أعتبر من حيث المبدأ أن جميع أهالي
المركز هم بحكم وجودهم وحده زبائن يعتمد
عليهم.

موسكيه : جميع أهالي المركز؟ أنت تطلب الكثير..

- كنوك : أقول أهالى المركز..
- موسكيه : الواقع أن كل واحد منهم لا بد فاصدنا فى يوم من الأيام فى مناسبة من المناسبات.
- كنوك : زبون مناسبة؟ أبداً.. أبداً.. نريد زبائن منتظمين.. زبائن مخلصين..
- موسكيه : ولكن ينبغى أولاً أن يفترسهم المرض..
- كنوك : يفترسهم المرض؟ هذا فهم عتيق انهزم أمام مقررات العلم الحديى، وما الصحة إلا كلمة لا ضير مطلقاً من حذفها من قاموسنا، أما عن نفسى فإنى لا أعرف إلا أناساً مصابين بدرجات متفاوتة، بأمراض تتكاثر عليهم بدرجات متفاوتة، وتستد علتها بدرجات متفاوتة، وبطبيعته الحال إذا مضيت تقول لهم إنهم يتمتعون بكامل الصحة فإن تصديفك عندهم هو منى القلب، ولكنك تخدعهم، والاعتذار الوحيد المعقول هو التعلل بكثرة العمل عند رفض قبول زبائن جدد..
- موسكيه : هذه مبادئ جييله على كل حال.
- كنوك : مبادئ تطابق كل المطابقة مبتكرات العصر الحديى، أمنحها فكرك يامسيو موسكيه

فستجدها وببقة الصلوة ببدا الأمه المسلحه النى
هى عماد فوة الأمم.

: أنب رجل فكر يا دكور كنوك، ومهما فال
أصحاب المذهب المادى، فإن الفكر هو الذى
يفود العالم.

موسكبه

: [بهص] انصت إلى [الانسان وامفان وكوك يناول يد
موسكبه] لعلى أكون رجلا مغرورا لعل الزمن
نخبى لى خبيثه أمل مريرة، ولكن بعد سنه فى
مثل يومنا هذا لاقبل ولا بعد، إذا لم تكن قد
كسبت دخلا صافيا فدره خمسة وعسرون ألفا،
وهو دخل من حفاك أن تناله، وإذا لم تفز مدام
موسكبه بما بتطلبه ممامها من أبواب وفتحات
وجوارب فلك أن تصب على لعنانك وسأمنحك
وجهى لتهوى على كل خد بصفحة..

كنوك

: با عزى الدكتور سأكون ناكرا للجميل إذا
لم أفض فى شكرك، وسأكون وضبعا إذا لم
أعئك بكل قواى..

موسكبه

: حسن.. حسن. اعتمد أنب على، كما أعتد أنا
عليك..

كنوك

المشهد الرابع

كنوك والسيدة ذات الوب الأسود

[عمرها خمس وأربعون سنة، تم هيبتها عن سح أناء الريف،

وعن معاناتها لمرض الإمساك]

: آه.. ها هم الزبائن سرفوا [يرفع صوته بحاطب

كنوك

إسائاً من وراء الباب] إننا عسر؟! ينبغي إبلاغ

القادمين الجدد، أننى بعد الساعة الحادية عسره

والنصف لن أستقبل مرضى غرضهم الكشف

بجاناً، هل أنت ناسيدتى أول من قدم [تدحل

السيدة ذات الوب الأسود ويفعل الباب] أنت من أهالى

المركز؟

السيدة ذات الوب الأسود: لا... إننى تابعة للبندر..

: من سان موريس ذاتها؟

كنوك

: إننى أسكن فى المزرعة الكبيره الواقعه على

السيدة

طريق لوسير.

: والمزرعة هى ملكك؟

كنوك

: نعم هى ملكنا أنا وزوجى..

السيدة

- كنوك : إذا كنتما تزرعانها لحسابكما، فلا شك أنكما غارفان في العمل إلى الآذان..
- السدة : وماذا تظن ياسيدى؟.. بماني عسرة بقره، وعجلان، وبوران، وحصان، وفرس، وست من الماعز، وضعفها من الخنازير، هذا علاوة على الدجاج والبط والحمام..
- كنوك : عجباً.. أليس عندكم خادم؟
- السدة : نعم بطبيعة الحال.. ثلاثة رجال وامرأة عدا عمال باليومية في موسم الحصاد..
- كنوك : فلبى معك، لا سك لم ببق لك وقت للاعتناء بصحتك..
- السيدة : نعم لا أجد الوقت..
- كنوك : بالرغم من أنك مريضة؟
- السيدة : لا يصدق الفول بأننى مريضه، وإنما أسعر بضعف..
- كنوك : نعم أنت تقولين إنه الضعف، [يقترربها] أخرجنى لسانك.. أرى أن سهسك للطعام ضعفة..
- السيدة : نعم.. هى كذلك..
- كنوك : أنت تعانين من الإمساك.
- السدة : نعم بهدر محسوس..

- كنوك : [وهو يفحصها] اخفضى رأسك، تنفسي، اسعلي،
ألم يحدث لك في صباحك أنك وقعت من على
سلم؟
: لا أذكر..
- السيدة
كنوك : [يعالج طهرها بالحس والفرع عليه، ثم يصعظ فحاه على
كليتيها] ألم تشعرى هنا بألم وأنب تأوين إلى
فراسك في المساء؟
- السيدة
كنوك : نعم في بعض الأحيان..
: [وهو ماص في فحصها] حاولي التذكر، لابد أنه كان
سلماً عالياً..
- السيدة
كنوك : جائز جداً..
: [بلهجه مؤكده] إنه كان سلماً طوله ماله أمتار
ونصف مسنداً إلى الجدار، ووقعت منه على
ظهرك، ومن حسن الحظ أن إيلتك البسرى
هى الى أصيبت..
- السيدة
كنوك : أى نعم..
: هل سبق لك اسسارة الذكور بارباليد؟
: أبداً.
- السيدة
كنوك : لماذا؟
: لأنه كان لا يكشف على المرضى مجاناً..
- السيدة
[لحظه صبا]

- كنوك : [جعلها مجلس] هل تدركين ما بك ؟
- السدة : كلا.
- كنوك : [جلس أمامها] هذا أفضل، ولكن هل لك رغبة في الشفاء أم لبس لك رغبة ؟
- السدة : نعم لى رغبة فى الشفاء..
- كنوك : الأفضل إذن أن أنبهك فوراً إلى أن العلاج سيكون طويلاً ونفقته كبيره..
- السدة : آه.. يا إلهى.. ولم هذا ؟
- كنوك : لأنه لا يمكن فى خمس دقائق سفاء مرض عمره أربعون عاماً..
- السدة : أربعون عاماً ؟!
- كنوك : نعم.. أى منذ أن وقعت من على السلم..
- السيدة : وكم سيكلفنى العلاج ؟
- كنوك : كم يبلغ نمى العجل الآن ؟
- السدة : هذا يتوقف على السوق وعلى حجم العجل، ولكن لا يمكن شراء عجل مملأ العين بأقل من أربعمئة أو خمسمئة فرنك..
- كنوك : ونمى الخنزير السمين ؟
- السدة : يبلغ نمى بعضها ألفاً..
- كنوك : إذن سكلفك العلاج عجلين وخنزيرين تقريباً..

- السيدة : آه.. آه.. نلناه آلاف فرنك تقريباً؟ هذه نكبة
يا إلهي!
- كنوك : إذا كنت تفضلين الحج إلى مكان مقدس طلباً
لـللشفاء فأني لا أمانع في ذلك..
- السده : مثل هذا الحج يكلف كثيراً أيضاً، ثم يكون بلا
جدوى في أغلب الأحيان.. [منه صم] ولكن
هل بي شيء جسيم حتى يسدعي الأمر كل
هذا العناء؟
- كنوك : [وهو يبالي في معاملتها بأد وبماملة] سأشرح لك
الأمر على السبورة في دقيقة واحدة [يذهب إلى
السورة ويحط عليها رسماً محيطياً] هذا هو قطاع من
نخاعك السوكي وفي صورة إجمالية، أفاهمة
أنت؟ تتبينن هنا مجمع أعصاب توربك، وهنا
عمود كلارك.. هل أنت معي؟ حسناً. فحببنا
سقطت من على السلم نحرك توربكك
وكلاركك إلى الاتجاه عكسي، [يرسم أسهماً تين
الاعاء] حركة بمقدار ١٠:١ من المثلث،
ستفولين إن هذه مسافة هنية جداً.. طبعاً..
ولكنها انخذاً وضعاً سيئاً، ثم عندك جذب
مستمر يضغط على مجمع الأعصاب [يمسح
أصابعه].

- السيدة : يا إلهي.. يا إلهي..
- كنوك : لكن في علمك أنك لن يموت بين عسبة وضحاها، فأمامك وفب..
- السيدة : آه.. آه.. ما أسوأه من حظ أن سقطت من على هذا السلم.
- كنوك : إني أتساءل: أليس من الأفضل ترك الحالة على ما هي عليه، فإن المال كسبه عسير، أما عن سني السيخوخة فموفوره وإن كانت مباهجها قليلة..
- السيدة : سأكون صفيقة وأسألك: هل تستطيع إذا عاجلتني بأيسر جهد أفلا أنال السفاء بمن أقل بسرط أن يكون العلاج بالطبع متفناً؟
- كنوك : كل الذي أستطيع اقتراحه عليك هو أن تضعي نفسك تحت الملاحظة، ولن يكلفك هذا شيئاً تقريباً وبعد بضعة أيام ستبينين بنفسك كيف يكون سير المرض ثم تصدرين فرارك..
- السيدة : نعم هذا هو الرأي.
- كنوك : حسن.. ستعودين إلى دارك.. هل جئت راكبة؟
- السيدة : كلا، وإنما سيراً على الأقدام..
- كنوك : [وهو حالس على المكب يكتب الروسته] لا مفر لك من العبور على عربة تعود بك، وبمجرد أوبتك

تأوين إلى فرانك في حجره لا يكون لها أحد
غيرك بقدر الإمكان، وأغلقي النوافذ وأسدي
الستائر حتى لا يضايقك النور، وأمنعي أحداً
من أن يكلمك. الأكل مده أسبوع مقتصر على
السوائل وحدها. تناولي كوباً من ماء فيسي
كل ساعتين، وعند الضرورة نصف بسكويته
مرة في الصباح ومرة في المساء بعد عمسها في
فليل من اللبن ومع ذلك فإني أفضل الاستغناء
عن البسكويت، لا يتأتى لك الفول بأنني
وصف لك علاجاً غالباً جداً، وسنرى بعد
أسبوع كيف تكون حالتك، فإذا احتفظ
بسجاعتك، وأمكنك استعادة قوتك وبساستك،
فإن هذا يعني أن المرض أقل خطراً
 مما يتصور، وسأكون أول من يطمنئك، أما إذا
شعرت على العكس بضعف عام ونفل في
الرأس وخمول عند الليفة، فلن يفي محل
للتردد وحينئذ نبدأ في العلاج. هل اتفقنا؟

: [تتهادى إلى رأيك..]

السيدة

: [يشير إلى الروشته] كتبت لك على سبيل التذكير
في هذه الروشته كل التعليمات، وسأذهب
لزيارتك قريباً [يسلم إليها الروشته ويضعها ويأدى لم]

كنوك

وراء الباب يا مارييب ساعدى السيده على برول درحاب
السلم وعلى عورها على عره . [يلمح المشاهد وحوه نعر
من الزمانى يستقبلون السيده وهى حارجه بحوف واحترام] .

المشهد الخامس

كنوك والسيدة ذات النوب البنفسجى

[عمرها ستون سنه. كافه ما عليها من بياب من لون
بنفسجى، تنوكاً بكرياء على عصا يالفها هواه تسلى الحال]
السيدة ذات النوب البنفسجى : [يلمحه فيها استملاء] لاسك بدهسك
يا دكتور مجيى إليك.

كنوك : نعم بعض الدهسة يا سيدتى..
السيدة : لك فى الواقع أن تعجب عجباً غير قليل من
أن تأقى لاستساره مجانه سبده زوجها من
أسره بونس وأبوها من أسره لامبوماس.
كنوك : أفضل أن أفول إن فى مجيئها تسريفاً لى..
السيدة : ربما ستقول إن هذه إحدى نتائج الفوضى
السائدة هذه الأيام، فعلى حين نرى عدداً
كبيراً من أوساب الناس وتجار الخناير
يتبخثرون فى العربات الفاخرة ويحتسون
السمنيا مع الممثلات، إذا بسيدة يجرى فى

عروفيها دم أسره لامبوماس، ونمّدت سلاله
أسرتها العريضة بلا انقطاع إلى القرن الثالث
عسر، وكانت مملك في وف ما نصف هذه
البلاد ويربط بصلاب وبنف مع كافه أسر
النبلاء والأعيان في هذه المفاطعة، ينحدر بها
الحال إلى حد أن تقف في الصف تنتظر دورها
مع الفقراء والفقيراب من أهالي سان موريس،
أعترف نا دكتور أن الحال فيها مضى كانت
أحسن من ذلك.

كنوك
السيدة

: [وهو مجلسها] نعم مع الأسف يا سدي..
: لا أقول لك إن دخلي فد بقي كما كان من
قبل أو أنني احتفظت بمنزل يعج بسته من
الخدم ويأصطبل به أربعة خيول كما كانت
تطلب مكانه أسرتنا حتى موب عمي، بل إنني
بعث في العام الماضي مزرعة وريتها عن جدني
مساحتها مائه وستون هكتاراً هي مزرعة
ميشويل، وهذا الاسم في فول فسيينا مستق
من كلمة يونانية وأخرى لاتينية تفيد معنى
كراهية الفطر، والسبب أنه لم يعر فط على
نبت واحد من هذا الفطر في المزرعة كلها
كما لو كان بين الأرض وبينه كراهية، والواقع

أنى لم أصب منها بعد خصم الضرائب ونفقات
التعمير إلا دخلاً ضئيلاً وبالأخص بعد وفاه
زوجى فإن المزارعين عمدوا إلى اسغلال
الموقف وأخذوا بلاحقوننى بطلب تخفيض
الإيجار أو تأجيل دفعه، لقد ضفب ذرعاً، كفى..
كفى.. أفلا تعتقد إذن يا دكتور بعد
استعراضى للموقف على مختلف جوانبه أننى
كنت على حق فى التلخص من هذه المزرعة؟
: [لم يسطع عن الإصاى إليها بانتباه] هذا يا سيدى هو
اعتقادى وبالأخص إذا كنت نخبين نبات
الفطر، وإذا كنت من ناحيه أخرى فد أحسنت
توظف بمن المزرعة..

كنوك

: أى.. لقد وضعت أصبعك على الجرح الدامى،
فإنى أسأل نفسى ليل نهار عما إذا كنت
أحسنت توظيف نقودى، فإنى أسك فى
ذلك كبيراً، فقد اتبعت نصيحة هذا الموق
الأحن؛ وإن كان أطيب الرجال، ولكنى أعتقد
أنه أفل فطنه من المنضذه الصغيرة التى تستعين
بها زوجته العزيزة كما تعلم فى تخضير الأرواح،
وفد استريت بالأخص أسهم شركات مناجم
الفحم، فما رأيك يا دكتور فى هذه الأسهم؟

السيدة

كنوك : هى على العموم أوراق مالية لها قيمتها، وهى محببه بعض السوء للمضاربين لأن سعرها يتقلب بين ارتفاع غير معقول وهبوط لا تفسير له.

السيدة : آه.. يا إلهى.. إن جلدى يقسعر إذ يخيل إلى أننى استريتها فى ذروة ارتفاع أسعارها وقد وضعت فيها أكثر من خمسين ألف فرنك، وإنه لمن الحماقة لمن لا يملك نروه طائله أن يوظف فى أسهم شركات مناجم الفحم مثل هذا المبلغ الذى دفعته.

كنوك : فى الواقع يخيل إلى أن مثل هذا التوظيف ينبغي ألا يستأثر بأكثر من واحد على عشرة من نروه الشخص كلها..

السيدة : آه واحد على عشرة لا أكثر؟ فإذا كان التوظيف لا يزيد على هذه النسبة فأنت لا تصفه بالحماقة؟

كنوك : بالتأكيد لا..

السيدة : أنت تطمئننى يا دكتور، وقد كنت متلهفة على من يطمئننى، أنت لا تدري أى هم ألفاه فى رعاية ما فى يدى من فرنس، وأقول لنفسى أحياناً: حبذا بهموم أخرى لتطرد هذا الهم

عنى، فإن الإنسان جبل يا دكتور على طبع
يربى له، فمقدر عليه ألا يفلح فى إقصاءهم
إلا بسرط أن محل هم آخر محله، ولعلنا ننع
على الأقل بسىء من الراحة فى هذا التغير
والتبديل، فى أود أن أنقطع عن التفكير طول
النهار فى المستأجرين والمزارعين والأسهم
والأوراق المالية لأننى لا أستطيع فى العمر
الذى بلغته أن أجرب المغامرات الغرامية. آه..
آه.. آه.. ولا أن أقوم برحلة حول العالم،
ولكنك تنتظر منى ولا ريب أن أفسر لك لماذا
أخذت مكانى فى الصف، أنتظر كسفاً مجانياً.
: مهما يكن السبب يا سيدنى فإنه بلاسك سبب
وجيه.

كنوك

: إليك إذن التفسير، أردت أن أضرب مثلاً، فقد
وجدت أنك استلهمت يا دكتور فكرة بديعة
نبيلة ولكنى أعلم أهل بلدى، فقلت لنفسى هذا
سوء لم يالفوه، فهم إذن لن يذهبوا، وسبكون
الإعراض هو كل ما يجنيه هذا السيد جزاءً
على كرمه، حينئذ قالت لى نفسى إنهم لو رأوا
سيده زوجها من أسرة بونس وأبوها من أسرة
لامبوماس لا تتردد فى افتتاح الكشف المجانى،

السيدة

فإنهم لن يخجلوا من أن يحذوا حذوها على
مرأى من الناس، ذلك أن أهل تصرفائى
وحركاتى هى موضع المراقبة والتعليق، وهذا
شئ طبيعى.

: إن هذا سعى محمود منك ياسيدى وأسرك
عليه..

كنوك

: [تهض وكأنها تؤذنه بأنها تنصرف] كان لى غاية السرور
يادكتور أننى تعرفت إليك وأننى ألزم دارى بعد
الظهر كل يوم، ويأتى لزيارنى بعض الأصدقاء
فنجتمع حول براد سائى من عهد لويس
الخامس عشر ورثته عن أجدادى، فسيكون لك
دائمًا فنان معد لك ينتظرك..

السيدة

: [يحنى أمامها، على حين أنها تتقدم ثانية نحو الباب] أنت
تعلم أننى حقيقة معذبة جدًا جدًا بسبب
المستأجرين والأوراق المالية، وقد ينقضى
الليل كله دون أن أنام، ياله من إعياء فظيع..
أعرف يادكتور حيلة تجلب النوم؟

كنوك

: تعانين الأرق منذ زمن طويل؟

كنوك

: منذ زمن طويل جدًا.. جدًا..

السيدة

: وهل تحدثت عنه إلى الدكتور باربالد؟

كنوك

: نعم.. مرارًا عديدة..

السيدة

- كنوك : وماذا قال لك ؟
- السيدة : نصحني أن أقرأ كل مساء نلأب صفحات من القانون المدني، إنها كانت دعاة منه، فإن الدكتور بارباليد لم ينظر إلى الأمر نظرة جديده.
- كنوك : لعله كان مخطئاً لأن من الأرفى حالات تتم عن حطر بليغ..
- السيدة : حفا.. ؟
- كنوك : قد يكون سبب الأرق راجعاً إلى اضطراب أساسى فى سريان الدم فى عروق المخ وبالأخص إلى عله فى هذه العروق التى تسمى «خرطوم النرجيلة» وقد تكون عروق مخك يا سيدنى على هذه الصورة..
- السيدة : يا إلهى... خرطوم النرجيلة؟ أياكون للتيف يا دكتور دخل فى ذلك؟ إنى أستعمل أحياناً السعوط..
- كنوك : هذه مسألة ينبغى فحصها، وقد يأتى الأرق أيضاً من إصابة بالتهاب الأعصاب تؤثر على المادة السنجابية تأثيراً عميقاً متوالياً..
- السيدة : يا لها من حالة فظيعة.. اشرحها لى يا دكتور..
- كنوك : تصورى أخطبوطاً أو عنكبوتاً صخماً يلتهم مخك على مهل قرضاً وامتصاصاً وتمزيقاً..

السيدة : أوه [تتهادى في مقعد] من يسمع كلامك معذور إذا -
أغمى عليه من شدة الفزع. لاسك أن هذه
هى حالتى فأنى أشعر بها بوضوح، أرجوك
يا دكتور اقتلنى على الفور بحقنة واحدة،
ولكنى أراجع نفسى وأقول: لا تتخل عني
يا دكتور فقد هويت إلى أعمق درجات
الفزع... [صت] لا بد أنها علة لاسفاء لها أبداً
علة مميتة..

كنوك : كلا..
السيدة : هل هناك أمل فى الشفاء؟
كنوك : نعم.. على مدى الزمن..
السيدة : لا تخدعنى يا دكتور.. أريد أن عرف الحقيقة..
كنوك : المسألة كلها تتوقف على انتظام العلاج ومدته..
السيدة : علاج ماذا؟ أهذه الأشياء التى تنسبه خرطوم
النجيلة أو العنكبوت؟ إذ أسعر بوضوح أنه
العنكبوت..

كنوك : الشفاء ميسور من هذا وذاك، وما نت لأجرؤ
على أن أمد فى هذا الأمل لمريض من عامة
الناس لايتيح له وقته ولاموارده أن يعالج
نفسه بأحدث الوسائل العملية، أما بالنسبة
إليك فالأمر مختلف..

السيدة : [تنهص] سأكون بين يديك مبالا للطاعه خاضعه

كالجرو الصغبر، وسأحمل كل علاج تمرره
وبخاصه إذا لم يؤلنى ألماً سديداً..

كنوك : لن ننعرين بأفل ألم إذ أن الأشعه هى الى

سنلجأ إليها كوسيله للعلاج، والصعوبه
الوحيدة هى أن يكون لك صبر على متابعه
العلاج بأناه لمده سنتين أو ثلاث، وأن يكون
بجانبك طبيب يلزم نفسه ألا ينقطع عن مراقبه
تقدمك نحو السفاء وأن يضبط زمن جلسات
الأشعه ضبطاً دقيقاً وألا يوانى عن زيارك
كل يوم تقريباً..

السيدة : آه.. أما عن نفسى فإن فضيله الصبر

لا تنفصنى، ولكنك يا دكتور أنت الذى فد
لا تريد أن تواظب على علاجى طوال المده
اللازمه لى..

كنوك : لأأريد.. لأأريد.. أنا لأأريد غير ذلك، المهم.

أن أقدر على ذلك، هل تسكنين بعيداً عن هنا؟
: أبداً، بل على بعد خطوتين، فمنزلى أمام العبانى
العمومى..

كنوك : سأحاول أن أخطف رجلى لأذهب إليك كل

صباح فيما عدا يوم الأثنين وفيما عدا يوم

الانثى بسبب مواعيد عبادتى.

السيدة : ألا يكون يومان متتالين فتره انقطاع أطول مما
ينبغي، وهكذا أبقي بدون علاج من السبب
إلى الثلاثاء؟

كنوك : سأترك لك نعلبات تفصيلية دفيه، ومع ذلك
إذا وجدت فى متسع وقنى دفيه فى أمر عليك
يوم الأحد صباحاً أو يوم الانثى بعد الظهر..

السيدة : الحمد لله.. الحمد لله.. [تهض] وما الذى ينبغي
لى أن أفعله فوراً؟

كنوك : عودى إلى دارك والزمى حجرة نومك،
وسأذهب إليك غداً صباحاً، وأتولى فحصك
فحصاً ساملاً..

السيدة : ألس لى دواء أتناوله اليوم؟

كنوك : هبه.. نعم [يكتب الروشته بسرعة] مرى على مسيو
موسكيه واسألته أن يعد لك فوراً هذه الروشته
الصغيرة الأولى..

المشهد السادس

كنوك - وفتيان من أهل الريف

كنوك : [ينادى لمن وراء الباب] مارييت.. يا مارييت،
ما هذا الحشد الغفير [ينظر إلى ساعته] ألم تعلنى
أن العيادة المجانية تنتهى عند الساعة الحادية
عشرة والنصف؟

صوت مارييت : نعم أعلنتهم، ولكنهم يريدون البقاء..
كنوك : من هو صاحب الدور الأول؟ [يتقدم إليه الفتيان
وهما يكتمان الصحكات ويتبادلان اللكمات بالكوعين
والعمرات بالأعين ثم يعفوران في ضحكة يكتمانها بوضع اليد
على الفم ومن ورائهما يشاهد الأهالى وهم يحذون في تصرفاتهما
مطراً ظريفاً مسلماً، فتثور بينهم صيحة والدكتور كنوك يرفع
أنه لا يرى شيئاً] من منكم صاحب الدور؟

الفتى الأول : [ينظر جاساً ويخفى ضحكة متهية] هى.. هى.. هى..
[بحس الاثنين] هى.. هى.. هى! هى!

كنوك : ما أحسبكم متقدمين معاً؟
الفتى الأول : نعم.. هى هى! نعم.. نعم [صوت صحك من وراء
الباب].

كنوك : لا أستطيع فبولكما معاً، فليقع اختياركما على واحد منكما، ثم يخل إلى أنى لم أركبا من قبل، فهناك أناس قدموا فبلكما..

الفنى الأول : لقد نخلوا لنا عن دورهم، لك أن سألهم. هي.. هي.. هي.. هي ! [صحكاب مسموعة ومكتومه].

الفنى الثانى : [وعد ملك حراثة] نحن الاثنين متلازمان دائماً.. نحن ننائى لا ينفصل. هي هي هي ! [صحكاب تبعب من الأهالى].

كنوك : [يصفط على سفتيه ويقول بلهجة فى غايه الرود] ادخلا [يففل الباب ثم يقول للأول اخلع بيانك، وسر إلى الثانى. وأنب اجلس هنا] [الفتيان يتادلان الإشارات والصحكاب المكتومه شىء من الاعتعال].

الفنى الأول : [وعد حلع ملاسه إلا السروال والقميص] أنبغى أن أخلع بقيه سائى وأصبح عاربا؟

كنوك : اخلع أيضاً قميصك [الفنى يلبس بح القميص فانه يعر أكامام] هذا بكفى [كنوك يفترب منه ويدور حوله بحس جسده ويدق عليه ويضع أذنه هنا وهناك ويحدث حلهده ويقلب حمسه وشفتيه، ثم يتناول حهار فحص الخلق دا المرآه ويلسه على رأسه ممهلا ثم بضىء فحاه فى وجه الفنى نوراً يعمى الأنصار ويسلطه إلى داخل حلفه وعلى عيسه، ولما تب من الفنى استسلامه سر كنوك له إلى المقعد الطويل]:

أرغد هيا.. هيا ضم ركبتيك [بحس الطل ويضع
الساعة هيا وهياك] مد ذراعك.. [محصص النض
ويحس ضغط الدم] حسن.. أرتد ملايسك [لحظه
صمت والفى يرتدى نيايه] هل أبوك حى؟

الفنى الأول : كلا.. إنه فد مات..

كنوك : موتاً مفاجئاً؟

الفنى الأول : نعم.

كنوك : هذا هو تقديرى.. لاسك أنه لم يكن متقدماً فى
العمر.

الفنى الأول : كلا.. إنه وصل إلى التاسعه والأربعين.

كنوك : أعاس إلى هذا الحد؟ [صمت طويل لم يبق لدى

الفتين أهل رعبه للضحك، ثم يذهب كنوك يمشى فى ركن من
الحجره بين أسياخ مستنده إلى قطع من الأثاث، ثم يستخرج
مها لوحاً من الكرتون تبيين بالصورة الأحشاء الداخليه عند
الرجل السليم وعند الرجل السكر المدمى، ثم يقول للفنى
الأول بلهجة مؤدبه] سأوضح لك كيف أصبحت
أحساؤك الداخليه الرئيسيه: هاتان هما
الكليتان عند الرجل السليم، وهذه هى صورة
كليتك، أنت [بين كل حمله وأخرى فتره تريت أشداً دوى
كبدك.. هذا هو قلبك.. ولكن القلب مريضك

- أُسند عطياً مم تبينه الصورة [ثم يمضى كنوك يهدوه
ليعيد اللوحات إلى مكانها].
- الفنى الأول : [سخل سديد] إذن ينبغي أن أنقطع عن سرب
الخمر..
- كنوك : هذا شأنك.. افعل ما تراه.
- [لحظه صمت]
- الفنى الأول : هل هناك دواء أتناوله؟
- كنوك : لا فائدة فى ذلك أبداً [إلى الفنى الثانى]: جاء
دورك الآن..
- الفنى الأول : إن شئت يا حضرة الدكتور عدت للكشف
أدفع أجره..
- كنوك : لا فائدة من ذلك أبداً..
- الفنى الثانى : [وهو منكش متصائل] إننى يا حضرة الدكتور
لا أسكو من أى مرض..
- كنوك : وكيف تعرف ذلك؟
- الفنى الثانى : [يتراجع وهو يرتعد] صحقنى على ما يرام يا حضرة
الدكتور.
- كنوك : إذن لماذا جئت؟
- الفنى الثانى : [دون أن تتغير حالته] لأصحب رفيقى..
- كنوك : ألبس هو بالرجل الرئيسى ملك زمام نفسه
فأنا وحده؟ هيا اغلغ ملايسك.

الفى الثانى : [يتحه للباب] كلا.. كلا يا حضرة الدكتور، لس
اليوم، سأعود يا حضرة الدكتور، [صم].
كنوك : [يفتح الباب، تسمع صحه الأهالى وهم يصحكون من ساق
ويترك كنوك المس نمران فيحرجان وعلى وجهيهما علامات
متألمة تنم عن الإعياء والهلوع ثم يستأن الرحام وقد هبط عليه
فجأه صمب جنائرى].

الفصل الثالث

الردهه الكبيره فى هدى المفتاح، بها كل علامات بحول هدى مديه فى الريف إلى هدى بمحصى للاستشفاء، لا يزال نافيًا على الحدران « نتائج تهن تاريخ اليوم » وعليها أساء مهذبها من سركاب سع الحمو، إلا أن العن تقع على معاص وحواف الأثاث مكسوه بالنيكل والحدران مطليه بدهان أبيض، وماسف بيض معمه [

المشهد الأول

مدام ريمى - سببون

مدام ريمى : هل وصلت العربيه نا سببون ؟
 سببون : نعم يا سدى.
 مدام ريمى : قبل إن الطريق سدده اللوج..
 سببون : المسأله بسيطه لا نزيد التأخر عن ربع ساعه.
 مدام ريمى : لمن هذا الماع ؟
 سببون : لسيده من ليفرون . جاءت للكسف عليها..
 مدام ريمى : ولكننا حسبناها لا تصل إلا هذا المساء..
 سببون : هذا خطأ فإن السدده الفادمة هذا المساء هى
 من سان مارسيلين.

- مدام ريمى : وهذه الحففيه ؟
 سيبون : هي حقيبة «أبو كسورة»..
 مدام ريمى : كيف؟ مسو يارباليد هنا؟
 سيبون : هو مادم خلفى بمسافه خمسين مترا..
 مدام ريمى : ما هو غرضه من المجيء؟ لستعيد عبادته
 بالطبع..
 سيبون : ربما جاء يطلب الكسف عليه.
 مدام ريمى : ولكن لم يبق عندنا من حجر خاليه إلا الحجرة
 رقم ٩ ورقم ١٤، وقد حجزت رقم ٩ للسدة
 القادمة من سان مارسيلين، وستكون الحجرة
 رقم ١٤ للسيدة القادمة من ليفرون، فلماذا لم
 تفل «لأبو كسورة» إنه لن يجد له حجرة
 خالية؟
 سيبون : لأنى كنت أعلم أن الحجرة رقم ١٤ الخاله
 أصبحت محجوز للسدة القادمة من ليفرون..
 وما كان لى بغير تعليمات أن أفاضل بينها وبين
 «أبو كسورة»..
 مدام ريمى : هذا سوء يضايقنى جداً.
 سيبون : دبرى أنت حلا للإشكال أما أنا فبنبغى أن
 أنصرف لخدمة المرضى..
 مدام ريمى : لا لزوم لذلك يا سيبون انتظر مسيو يارباليد

واشرح له أن جميع الحجرات مسغولة، فإنني
لا أستطيع أن أقول له ذلك بنفسى..

سببون

: آسف يا سببى، أصبح وفنى لا يتسع
إلا لارتداء معطفى فإن الدكتور كنوك على
وشك الوصول وعلى أن أجمع البول من
الحجرة رقم ٥ و٨ والبصافى من الحجرة رقم ٢
وأن أفسح حرارة ساغلى الحجرات رقم ١، ٣،
٤، ١٢، ١٧، ١٨ وبقيده الحجرات أيضاً،
ولا أود أن يفتح حلفه على..

مدام رمى

: أفلا تحمل على الأقل متاع هذه السيدة إلى
الدور الأعلى؟..

سببيون

: والخادمه.. ماذا تفعل؟ هل «تلضم» اللؤلؤ؟
[تخرج سببيون من المسرح ويحدو مدام رمى حدوه حين ترى
بارباليد قادماً].

المشهد الثانى

بارباليد وحده ثم تأتى إليه الخادم

بارباليد

: ألا يوجد أحد هنا؟ مدام رمى! سببيون! هذا
سوء محير، ها هى حفيبى وجدها على الأقل..
سببيون..

- الخادمة : [تدخل وهي في ثياب الممرضات] سيدي ماهو طلبك؟
- بارباليد : أريد أن أرى صاحبة الفندق..
- الخادمة : لماذا يا سيدي؟
- الدكتور : لتعطيني حجره..
- الخادمة : أنا لا خبر عندي، هل أنت من المرضى الذين طلبوا حجز حجره لهم..!
- الدكتور : إنني لسب من بين المرضى يا آنسة.. إنني طبيب..
- الخادمة : آه.. جئت تعمل مساعداً للدكتور؟ الواقع أنه في حاجه إلى من يساعده..
- الدكتور : ولكن.. ألا تعرفيني يا آنسة؟
- الخادمة : كلا.. أبداً..
- الدكتور : الدكتور بارباليد كنت ليلانه أسهر خلب طبيب سان موريس، لاسك أنك لست من أهالي البلد..
- الخادمة : كلا بل إنني من أهالي البلد، ولكن ما كنت أعلم أنه كان بها طبيب قبل الدكتور كنوك [لحظه صمت] عن إذنك يا سيدي، السبده صاحبة الفندق سأتى إليك ولا ريب، فإنه أمامي أن أعقم أكياس الوسائد.
- الدكتور : هذا الفندق أصبح له وجه عجيب..

المشهد الثالث

بارباليد - مدام ريمى

مدام ريمى : [تسترق النظر] إنه لا يزال باقيا [ثم تقرر قرارها]

صباح الخير يا مسيو بارباليد، أرجو ألا تكون
قد أتيت تطلب سكناً عندنا.

الدكتور : أى نعم، كيف حالك يا مدام ريمى..

مدام ريمى : على أحسن حال.. ليست لدينا حجرة واحدة
خالية..

الدكتور : هل اليوم هو يوم السوق؟

مدام ريمى : كلا.. إنه ليس يوم السوق..

الدكتور : وكل الحجرات عندك مشغولة فى يوم هو ليس

يوم السوق؟ ولم كل هؤلاء، هؤلاء الناس
إذن؟

مدام ريمى : مرضى..

الدكتور : مرضى؟

مدام ريمى : نعم أناس تحت العلاج..

الدكتور : ولماذا يقيمون عندك؟

مدام ريمى : لأن سان موريس ليس بها فندق غير هذا

الفندق، ومع ذلك فلا أحسبهم سئى البخت
أن نزلوا عندنا انتظاراً لإقامة المبنى الجديد،
فإن علاجهم يسر هنا، ونحن نتبع بدفه كل
العلل الطيبة الحديثة..

الدكتور : ولكن من أين جاءوا؟

مدام ريمى : المرمى؟ إنهم منذ وقت يأتون من كل حدب
وصوب ومن قبل كانوا أناساً غرباء على سفر.

الدكتور : لا أفهم سئاً..

مدام ريمى : نعم مسافرون نزلوا سان موريس لعمل لهم
وبلغ أسماعهم اسم الدكتور كنوك من أهالى
البلد كلهم، فحدوا أنفسهم أن ينهزوا
الفرصة ويطلبوا استسارته، وبالطبع كانوا
يجهلون حالتهم من الوجهة الصحية وإن
خامرهم شك، بأنهم ربما يعانون مرضاً من
الأمراض، وإذا لم يكن حسن حظهم فدقادهم
إلى سان موريس لكان نفر منهم قد أهمل عليه
التراب اليوم..

الدكتور : ولماذا كانوا سيموتون؟

مدام ريمى : لأنهم فى غفلتهم عن حالتهم الصحية كانوا
سبداومون على شرب الخمر والنهام الطعام
وارتكاب مئاث من الحماقات الأخرى.

الدكتور : وكل هؤلاء المسافرين بفوا هنا ؟
 مدام رمى : نعم، فإنهم كانوا إذا عادوا من زيارة الدكتور
 كنوك سارعوا إلى الرفاد في فراشهم وبدءوا
 العلاج، أما اليوم فالحال لم يعد كذلك، فإن
 النازلين عندما قد قاموا بالرحلة إلينا خصباء،
 ومما يكرهني أن الحجاب لا تكفيهم وسنسبد
 ميني آخر..

الدكتور : هذا شيء عجيب جداً..
 مدام رمى : (بعد تكبير) حقا إن ما تراه يبدو ولا ريب سيئاً
 عجيباً لك أنب، ولو كانت لك حياة مثل حياة
 الدكتور كنوك لدعوت الله أن ينقذك..

الدكتور : هيه.. وكف حياته هو إذن ؟
 مدام رمى : حياة رجل محكوم عليه بالأشغال الساهرة،
 فما يكاد ينهض من فراشه حتى يجرى يؤدي
 زيارته، وفي الساعة العاشرة يأبى للفندق
 ويستراه بعد خمس دقائق، ثم يثوب إلى عبادته
 فيستقبل المرضى، ثم يخرج من جديد يؤدي
 زيارته، من أول المركز إلى آخره، لا أنفى أن
 لديه سيارة؛ سيارة جديدة فخمة يقودها
 بسرعه كبيرة، ولكني وافقه أنه نمر عليه أحيان
 كثيرة تقتصر فيها وجبة الغذاء على

- «ساندويتش» واحد..
- الدكتور : يحدث لى أيضاً فى اليوم أن أكتفى
«ساندويتش»..
- مدام ريمى : آه كان فى إمكانك هنا أن تنعم بحياة محتسمة
هادئة [تجمل لداعته] أتذكر لعبك «للبلياردو» فى
مقصف الفندق؟
- الدكتور : لا مفر من الاعتقاد أن الناس كانوا فى زمانى
يتمتعون بصحة أحسن..
- مدام ريمى : لا تقل هذا يا مسيو بارباليد، إن الناس هنا
كانوا لا يبالون بعلاج أنفسهم، هذا هو
الفرق، هناك ظن بأننا أهل الريف أناس
أجلاف لم يتمدنوا، وأننا لا نبالى أقل بمبالاة
بسلامة الأبدان، وأننا ننتظر حتى تأذن ساعتنا
فننقق كما ينفق الحيوان، وأن الدواء والعلاج
والأجهزة الطبية وكل مبتكرات المدنية الحديثة
هى جديرة بسكان المدن، هذا خطأ يا مسيو
بارباليد، فإننا لا نقل فى تقدير أنفسنا عن
بقية الناس، وإذا كان الواحد منا لا يحب أن
يبنى نقوده، فإنه لا يتردد أن يدفع من
ما لا غنى عنه، أما أنت يا مسيو بارباليد
فلا تتصور الفلاحين إلا كما كانوا فى الماضى

يتعاملون بالملء لا بالفرس ويفضلون فعد
عين أو ساق على سراء دواء ببلانه فرنكاف،
لقد تغيرت الأحوال والحمد لله .

بارباليد : ليكن الأمر كذلك، فإذا كان الناس أصبحوا

يضيفون ذرعاً بحسن صحتهم ويريدون التمتع
بفخفة عد أنفسهم من المرضى، فهم يخطئون
إذا لم يحققوا غرضهم دون أن يبألوا بأى شئ
آخر، ثم إن هذا كله مكسب للطبيب.

مدام ريبى : [وهى تحتد] على كل حال لن يسمح لك أحد أن

تصف الدكتور كنوك بأنه رجل يجرى وراء
مصلحه الشخصيه، فإنه هو الذى بدأ لأول
مرة العاده المجانيه الى لم نكن نعرفها هنا،
أما عن ذهابه لزياره مريض، فإنه لا يطلب
أجراً إلا ممن هو قادر على دفعه، ولو فعل غير
ذلك لكان فعله مدعاه للأسف، ولكنه لا يقبل
سيئاً قط من الفقراء، إن الناس ساهده يقطع
المركز بطوله ينفق عسره فرنكاف نمنا
للبنزين تم يفف بسياربه الفخمه أمام كوخ
عجور ففبر لا تمتلك حتى قطعه جبن من لبن
الماعز لتعطيهها إليه، ولا ينبغي كذلك التلميح
بأنه يقنع الأصحاء بأنهم مرضى، فأنا أول من

أسهد على نفسي بأنني جعلته يكسف علىّ ربما
عسر مرات منذ أن أصبح يأتني للفندق كل يوم
وفي كل مرة يكسف على بنفس الصبر والأناه
من الرأس إلى القدم مستعيناً بكل أدواته
وأجهزه ويكرس لي ربع ساعه على الأقل
وكان يقول لي في كل مره إنني غر مصابه
بمرض وأنه لا داعي للقلق، وما علىّ إلا أن
أتمتع بماكلى ومسرّبي وحاولت جهدي أن أدفع
له أجراً ولو مبلغاً قليلاً، فكان يأتني، وإنه يخص
مسو برنار المدرس بنفس المعامله بعد أن
استحوذت عليه فكره أنه من حاملي
الميكروبات، واسودت الحياة في عنقه، فمن
أحل بظمنه لم يتراجع الدكتور كنوك عن
تحليل برازه ثلاث مرات ولكن ها هو
ذا مسو موسكبه فادم بعد أن أخذ في حضور
الدكتور عينه من دم ساغل الحجرة رقم ١٥،
ويمكنك التحدث إليه [بعد فتره تفكير] بم اعطني
على كل حال حبيبك وسأدبر لك مسكناً..

المشهد الرابع

باربالد - موسكبه

موسكبه : [أصبح يرتدى حله من آخر طرار]الدكتور غبر
موجود هنا؟ آه.. الدكتور باربالد؟ كأننى
أرى سباحاً وأيم الحق، لقد رحل عنا منذ أمد
بعبد.

باربالد : بهذا الفدر بدا رحبلى بعيداً؟ كلا.. فما رحلت
إلا منذ ثلاثة أسهر.

موسكبه : هذا حق، ثلاثة أسهر، سىء مدهس [يعول بلهجه
عطف] أنت مسرور فى ليون؟

الدكتور : مسرور جداً..

موسكبه : آه.. الحمد لله.. لعلك وجدت بها عيادة لها
زبائننا المخلصون.

الدكتور : هيه.. وزدتهم بنسبة القلب، صحه مدام موسكبه
طبية؟

موسكبه : أحسن من الأول بكثير..

الدكتور : هل كانت مريضة؟

موسكيه : ألا تذكر هذا الصداع الذى كانت تسكو منه
فى أكر الأيام؟ لعلك لا تذكره لأنه لم يكن فى
اعتبارك شيئاً مهماً، ولكن ما كاد الدكتور
كنوك يفحصها حتى اكتشف أنها تعانى من
نقص فى إفرازات المبايض ووصف لها علاجاً
بالحرمونات كان مفعوله مدهشاً.

الدكتور : هل انقطع ألمها؟

موسكيه : لم يبق أصر لهذا الصداع القديم، أما ثقل
الرأس الذى لا يزال نتابها فغير ناتج إلا من
الإجهاد وهو ظاهرة طبيعية، ذلك أننا أصبحنا
مرهقين بالعمل وسأستعين بمساعد صيدلى،
فهل تعرف واحداً يعتمد عليه توصينى به؟

الدكتور : كلا، ولكن سأجعل طلبك فى بالى..

موسكيه : آه، لقد انقضت تلك المعيسه الهادئه الى كنا
نعيشها فى الماضى، وما فورك أننى حى وأنا
آوى إلى فراسى فى الساعه الحاديه عسره
والنصف مساءً لا أكون قد أنجزت بحضر كل
الروستاب؟

الدكتور : باختصار فد وقعت على منجم من الذهب..

موسكيه : أوه، من المؤكد أننى ضاعفت دخلى خمس

مرات، وحاسا لي أن أسكو من ذلك، ولكن لي
أسباباً محملي على الرضا لأنني يا عزيزي
الدكتور بارباليد أحب مهنتي وأحب أن أسعر
أنني رجل مفيد وكسره العمل تسرفي أكثر من
فراع يسلمني إلى التفكير في همومي، مسأله
مزاج، ولكن ها هو ذا الدكتور فادم..

المشهد الخامس

بارباليد - موسكه - كنوك

كنوك	: سلام عليكما، صباح الخير يا دكتور بارباليد،
	كنت أفكر فيك، هل كانت رحلتك طيبة؟
الدكتور	: طيبه جداً.
كنوك	: هل جئت بسيارتك؟
الدكتور	: كلا، بل بالعطار..
كنوك	: حسن، جئت لفحص القسط.. أليس كذلك؟
الدكتور	: المسأله أنني حثت، ولا بأس أن أسهر الفرصة..
موسكه	: أنرككما يا سادة [إلى كنوك] سأصعد إلى الحجرة رقم ١٥..

المشهد السادس

باربالد - كنوك

- الدكتور : لن تتهمنى الآن أننى ضحكك عليك..
- كنوك : على الأقل كانت هذه نيك با زمبلى العزيز..
- الدكتور : أنت لا تنكر أننى نخليت لك عن عيادى وأنها عياده ساوى الكبير..
- كنوك : أوه.. كان فى مقدورك أن تبقى عليها، إذن لما ضايق أحدا الآخر.. هل أنباك مسو موسكه بالنائج الأولى؟
- الدكتور : نعم.. حدبوى عنها..
- كنوك : [سب فى محفته النود] سأطلعك بصفه سرية بيننا على بعض الرسوم البيانية التى أعدها، وستجد لها سهوله علاقه بالحديد الذى دار بيننا منذ ثلاثة أشهر.. لتتكلم عن العادة، أولا: هذا الخط البيانى يمل عدد المترددى على العيادة أسبوعياً، وبدأ الخط من نقطة تمثل هذا العدد بأمامك، وكنت لا أعرف هذا العدد ودرته بخمسة أشخاص.

بارياليد : خمسة أشخاص في الأسبوع؟ ليس مبالغه
منك إذا قلب إنهم كانوا ضعف هذا العدد على
الأقل يا زميلي العزيز.

كنوك : فليكن.. ها هي أرقامى أنا، وهى بطبيعته الحال
لا تشمل الكشف المجانى يوم الاثنين: منتصف
أكتوبر: ٣٧، آخر أكتوبر: ٩٠ آخر نوفمبر
١٢٨، آخر ديسمبر: لم أجمع العدد بعد، ولكن
الرقم سيزيد عن ١٥٠، وعلى كل حال فإننى
سأعدل تضييق الوقت عن الاهتمام بنمو عدد
الاسسارات ولن أعنى إلا بالمنتفعين بعلاج
طويل، فإن الكشف فى العياده لا يستحوذ
إلا على نصف اهتمامى، فهذا فن ساذج يشبه
الصد بالسيكه، أما العلاج الطويل فيسببه
زرع صغار السمك فى مياه الصيد.

الدكتور : عفواً يا زميلي العزيز.. هل أرقامك ديفيه غاية
الدقة؟

كنوك : نعم.. غاية الدقة..
الدكتور : معنى هذا أنه تأنى فى أسبوع واحد أن قبل
١٥٠ شخصاً من أهالى مركز سان موريس
تكبد مسفه الانتفال من منازلهم للوقوف فى
صف أمام باب العياده وفى دهم أجر الكشف،

لم يؤت بهم بالقوة أو بأسر ضغط ما..
: لم تكن في حاجه للاستعانة لا بقوة البوليس
ولا بقوة الحبس..

كنوك

: سسعى على أن أجد لذلك تفسيراً.

الدكتور

: لنمض في متابعه الخط البياني الذي يمثل عدد

كنوك

المرضى تحت العلاج، أول أكتوبر: كانت

الحاله كما تركها لى: عدد المرضى الذين

بداومون على العلاج في منازلهم، العدد: صفر

أليس كذلك؟ [يبدى الدكتور بارنايد حركه تنم عن

تبرمه عبر حماس بالمواقفه] - آخر أكتوبر: العدد

٣٢، آخر نوفمبر: العدد ١٢١، آخر ديسمبر:

سبتراوح العدد بين ٢٤٥، ٢٥٠..

: يخل إلى أنك تحسبني ساذجاً..

الدكتور

: أما أنا فلا أجد أنها أرقام عاليه جداً،

كنوك

فلا تنس أنه يوجد بمركز سان موريس ٢٨٥٣

منزلاً، من فاطنيها ١٥٠٢ أسرة بريد دخل كل

واحد منها على ١٢,٠٠٠ فرنك.

وما شأن دخل الأسر في الأمر؟

الدكتور

: [يتحه إلى حوض الغسل] لا مجال أن تفرض عبء

كنوك

مرضى مزمن على أسرة لا يبلغ دخلها انى

عسر ألف فرنك، فهذا جور غسوم، أما عن

الأسر الى لها هذا الدخل، فكذلك لا محال
للفكير في تطبيق حطه واحده عليها، فجعلتها
من أربع درجات، فالخطه المرسومه لأدنى
الدرجات هي للأسر التي ينراوح دخلها بين
١٢,٠٠٠، ٢٠,٠٠٠، ولا تتضمن إلا زياده
واحدة كل أسبوع وخمسين فرنكاً تقريباً في
كل شهر لمن الأدويه، والدرجه العليا -
درجه «اللوكس» - هي للأسر التي يعلو
دخلها على ٥٠,٠٠٠ فرنك، فهي تتضمن أربع
زيارات في الأسبوع على الأقل، وبلاب مائه
فرنك شهرياً للمصاريف المخلفه: أسعه
إكس، علاج بالراديو تدليك كهربائي..
تحليل.. إلخ.. إلخ.

الدكتور : ولكن كيف تعرف دخل زبائنك؟
كنوك : [بدأ غسل يديه بعنايه فائقة] من أننى لا أبدأ لمأمور
الضرائب وحسناً أفعل، فعلى حسن أننى
أحصيت ١٥٠٢ دخلاً يزيد على ١٢,٠٠٠
فرنك، فإن عددها المفقده عند مأمور الضرائب
لا يزيد على ١٧ فقط، وأكبر دخل مبین في
إقرار مقدم له لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ فرنك،
وحقيقه هذا الرقم عندى هي ١٢٠,٠٠٠

فلا تطابقى قط بين إحصائياتى وإحصائياتك،
وماذا يهم مأمور الضرائب؟ لا تنس أنه
موظف حكومة..

الدكتور : ولكن من أين ستفى معلوماتك؟

كنوك : [بتسم] من مصادر عديدة، إنه عمل ليس بالهين
سغنى طوال شهر أكتوبر بأكمله، وأننى
أصحح الأرقام باستمرار، انظر إلى هذه -
حلوة.. أليس كذلك؟

الدكتور : كأنها خريطة للمركز، ولكن ما معنى هذه
العلامات الحمر؟

كنوك : إنها خريطة التغلغل الطبى، فكل علامه حمراء
تدل على مكان مريض غير منقطع،
ولو اطلعت على هذه الخريطة قبل شهر واحد
لكنت رأيت هنا بقعة ملونة بلون رمادى هى
بقعة سايرير.

الدكتور : ماذا؟

كنوك : نعم هذا هو اسم المربة الى تقع وسط هذه
البقعة، وهى التى وجهت إليها أول سنانى فى
الأسابيع الماضية، أما اليوم فإن البقعة لم تخف،
بعد، بل هى مسوية أجزاء، أليس كذلك؟

ونظرتك لا تتبين هذه البقعه إلا بعد تدفوق

[متره صمت]

الدكتور : حتى لو أردت أن أخفي عنك دهستى يا زملى
العزیز لما استطعت، ومحال لى أن أسك فى
ننائجك، فعد سمع بأهدا لها من كل جانب،
أب رجل مدهس، وقد ينكص غيرى من
الأطباء عن أن يصارحك بمثل هذا الرأى وهم
ببطونونه وإلا لما كانوا أهلا لحمل لمب دكتور،
ولكن أسمح لى أن أفصح وأوجه إلبك سؤالا
واحداً؟

كنوك : تفضل..

الدكتور : إن اتكرب خطه مل خطتك وأصبحت فى
قبضة يدى كما هى فى قبضة يدك وإن أصبح
كل ما يبقى على بعد ذلك هو تطيفها.

كنوك : نعم..

الدكتور : ألا يساورنى سىء من نقرع الضمير؟ [صمت]
إنى أنتظر إجابتك..

كنوك : بخبل إلی أن الجواب مرده إلبك أنب..
الدكتور : لاحظ أننى لا أهلىع بسىء، إما أرب مسأله
مسأله جذاً اس مسأله..

سأله ان أفصح، عن غرضك بوضوح أكبر.

الدكتور : ستقول إننى رجل متسدد معقد، ولكن
ألا تكون مصلحة المريض طبياً لخطتك هي في
المحل الثانى بعد مصلحة الطبيب؟
كنوك : يا دكتور بارباليد، أنت نسى أن هناك مصلحة
أسمى من هاتين المصلحتين..

الدكتور : وما هي؟
كنوك : مصلحة الطب ذاته، فهي المصلحة الأولى التى
أهتم بها [صم، بارباليد مستغرى فى التفكير].
: نعم.. نعم.. نعم.

[واستاء من تلك اللحظة إلى هاية المسرحية تتحول إصاءه
المسرح شيئاً فشيئاً إلى إصاءه العادات والمستعصاء، ونقلب
عليها كالمهد بها الأنوار الخضر والبنفسج بدرجة تفوق
أنوار دور بعينه خلق الله].

كنوك : أنت سلمنى مركزاً بسكنه عدة آلاف يفون
من الطب على الجباد لا قرار له، فمهمنى هي
أن أدفعهم إلى اتخاذ الفرار، أن أحملهم إلى أن
يكون وجودهم في الحياة وجوداً طبياً، فأجعلهم
يلزمون الفراس وأنظر ما ننجم عن هذا
الرفاد من سفور مريض بالسل أو مرض
بالاضطراب العصبى أو بنصلب السرايين:
إنسان مريض أياً كان، ولكن إنساناً مريضاً

على كل حال، ولا سىء يضايبنى أكبر من هذا
الذى لا هو طالع ولا نازل، أى الرجل الذى
لا يسكو من مرض كما يقال.
: ولكنك لا تستطيع أن نجعل المركز كله يرقد فى
الفراش..

الدكتور

: [وهو يشف يديه] هذه مسألة ممكن مناقستها، فىنى
أعرف خمسة أفراد من أسره واحده مرضوا
جميعاً ولزموا الفراش فى وقت واحد، ومع ذلك
لم ترتبك حياتهم، واعراضك هذا يذكرنى
بهؤلاء الأساتذه فى علم الاقتصاد الذين
يزعمون أن الحرب الحديدية لا يمكن أن تطول
أكبر من ستة أسابيع، والحقيقة أننا جميعاً
تنقصنا الشجاعة، ولا مجرؤ إنسان حتى ولا أنا
على الماضى إلى أقصى المدى فيجعل كل
الأهالى يلزمون الفراش لا انتظار سفور المرض
فليكن، فى أوافقك على أنه ينبغى أن يظل
هناك أناس أصحاب ليعنوا على الأقل
بالآخرين، أو لؤلؤوا فوه احتياطيه وراء
جبش المرضى المسغولن بأمراضهم، ولكن
الذى لا أحبه أن نم الصحة عن التحدى فإن
هذا كما ينبغى أن تعترف أنب سىء لا يطاق،

كنوك

لذلك نحن نغمض العين على بعض الحالات،
ونترك على وجوه بعض الناس فناع الصحة،
أما إذا جاءوا فيها بعد يتبخنرون أمامنا
ويهزءون بنا، فإنى محى أن أغضب، وهذا
ما حدث هنا لمسيو رافالنس..

الدكتور : آه هذا العملاق؟ هذا الذى يفاخر بأنه

يسنطيع حمل حمائه على ذراعيه الممدودين؟
كنوك : نعم، إنه ظل يتحدثانى بـلـاه أشهر سم وقع فى
بدى..

الدكتور : ماذا؟

كنوك : والآن راعد فى الفراس لأن جعجعته بدأت
تضعف عند الأهالى ذهنهم الطبى.

الدكتور : ولكن نبفى بعد ذلك مسكلة عويصة..
كنوك : ما هى؟

الدكتور : أنت لا نفكر إلا فى مهنة الطب ولكن ماذا

عسى أن تكون عليه حالة بقية المهن؟
ألا نخسى أن يؤدى نعيم طبى خطتك إلى
تراخ بين فى مختلف أوجه النشاط الاجتماعى.
مم أن بعضها له تأثيره..

كنوك : لا، لا، من سأتى، فأنا لا أسـ...
إلا بالطب..

الدكتور

: صحيح أن المهندس وهو ينسى سكك حديدية
لا يسأل نفسه عما عساه يكون رأى طبيب
القرية..

كنوك

: لافض هوك [سحه إلى مؤخره المسرح ويقتر من
الناصفه] تعال يا دكتور بارباليد، ألى نظره من
هنا، أنت تعرف المسهد الذى يطالع من يطل
من هذه النافذه ولا نيك أنه لم يفتك أن تتملى
من هذا المنظر بين دورين من أدوار لعب
البلياردو الذى كنت مغرماً به، فأمامك على
بعد، ربوه أليجر الى ينهى إليها حدود
المركز، وعلى البسار قريه مسكلا وتريبور؛ وفي
هذه الناصبه، لو لم يكن مساكن سان موريس
قد تضخمت كالورم، لكننا أبصرنا كل دساكر
الوادى متتاليه واحده بعد أخرى. لا سك أنه
لم يستأثر بنظرك إلا جمال المنظر الطبيعى
الذى أنت به مسغوف، كنت تراه كصعيد ريف
غليظ الطبع لا تكاد الحياه تدب فيه، وهأنذا
اليوم أهدمه لك، وقد يغفل الطب فى أرجائه،
وهيت النيران التحبه لمهنتنا نفاصله وسرى فى
جذباته، وفي أول يوم ركزت نفسى هنا - أى
فى صبيحة يوم وصولى - كنت أبعد من أن

يتملكنى الزهو إذ سمرت أن وجودى هنا لن
يؤبه له كسراً، فستقف فى الأرض الساسعة
عرض عنى وعن أمالى بوفاحة. أما اليوم
فإنى مطمئن مستريح لمكانى بها كما يطمئن
العازف المحنك لآلته، وأمامك مائه وخمسون
منزلاً قد لا تراها كلها بسبب البعد وستور
الأسجار، إن بها مائتين وخمسين حجرة، فى كل
واحدة منها شخص يؤمن بالطب، أو بعبارة
أخرى بها مائتان وخمسون فراشاً يتمدد فوق
كل منها جسد يسهد بأن الحياة لها معنى هو
بفضلى أنا معنى طبي، ويزداد المنظر بهاء بالليل
حين تضاء الأنوار والفضل فى أغلب هذه
الأنوار راجع إلى، أما غير المرضى فيرددون فى
الظلمات وقد أسقط حسابهم، ولكن المرضى
قد استبفوا نور مصباح أو سمعة. وكل ما بقى
على هامس الطب فقد خلصنى الليل منه ومن
مضايقته ومحبده. وينقلب المركز كله بالليل إلى
فلك أنا خالقه الدائم وهأنذا لم أحدثك بعد
عن نوافيس الكنائس، أعلم أن وظيفتها
الأولى لهذا الخلق كله أصبحت أنها تذكرهم
بمواعيد تناول الدواء، وفرعها هو نداء

تعليماني، تصور أنه بعد بضع لحظات ستدق
الأجراس معلنة حلول الساعة العاشرة،
والساعة العاشرة عند جميع مرضاي هو موعد
قياس الحرارة للمرة الثانية من السرج، أى
بعد بضع لحظات ستتخذ مائتان وخمسون
ترمومترا أماكنها في وقت واحد..

: [وقد غلب عليه التأثير بمسك ذراع كنوك] يا زميلي العزيز
لى اقتراح أريد أن أقدمه إليك..

الدكتور

: ما هو؟

كنوك

: إن رجلا مثلك لا يجد مكانه الجدير به في مركز
بالريف بل تلزمك مدينة كبيرة..

الدكتور

: سأفوز بها عاجلا أو آجلا..

كنوك

: ولكن حذار، أنت الآن في ذروة قواك، لن
مضى بضع سنوات حتى تكون قد وهنت، هذه
هى تجربتي ففوق بها.

الدكتور

: إذن؟

كنوك

: إذن ينبغي لك ألا تنتظر..

الدكتور

: هل تعلم مكاناً كالذى تعنيه تدلنى عليه؟

كنوك

: مكاني أنا؟ أنا أعطيه لك، وما بعد ذلك برهان

الدكتور

على إعجابي بك.

: نعم، وأنت ما هو مآلك؟

كنوك

- الدكتور : أنا؟ أنا سأقنع بالعمل من جديد في سان موريس..
- كنوك : نعم..
- الدكتور : بل سأذهب إلى أبعد من ذلك.. فقد بقي عليك عدة آلاف من الفرنكات دبنا لى فى ذمتك سأنازل عنها هدية منى إلبك..
- كنوك : نعم.. فى الحقيقة أنك لست غراً كما قد يظن بك..
- الدكتور : وكيف؟
- كنوك : أنت لا نحسن الإنتاج، ولكنك تجيد البيع والشراء، وهذه هى صفة الماجر..
- الدكتور : أؤكد لك.
- كنوك : بل إنك فى هذه المسألة بالذات تبنت أنك تجيد أيضاً فهم النفوس، فقد حسبت أن هيامى بالمال سينفضى لحظة تدفقه علىّ، وأن تطبيقى خطى فى التغلغل الطبى على حى واحد أو اثنين من أحياء لون، كفىل أن ينسبنى رسموى البيانبة عن سان موريس، آه، نعم، ليس فى نيتى أن أبقى هنا حتى تركبى السبخوخة ولكن شتان بين هذا وبين أن أرتقى على أول عرض يقدم إلىّ..

المشهد السابع

كنوك - باربالد - موسكيه

[موسكيه يحترق الصاله متسللا ليخرج، يستوفه كنوك]

كنوك : اقترب يا صديقي، أتعرف ماذا يفترح على
الدكتور بارباليد؟ أن نبادل ببنا العيادتين
فأذهب أنا إلى ليون ويعود هو إلى هنا.

موسكيه : هذه دعايه..

كنوك : أبدأ، بل هو عرض جدى جداً..

موسكيه : كأننى سقطت من شاهق، ورفضت العرض
بطبيعة الحال..

الدكتور : ولماذا يرفضه الدكتور كنوك؟

موسكيه : [موجهاً الحديث إلى الدكتور بارباليد] حين يكون البديل

هو النزول عن بندقيه نمنها ألفان من

الفرنكات نظير مسدس قديم فإن من عادة

العقلاء غير المغفلين أن يرفضوا مثل هذا

البديل، فكان فى إمكانك أن تقترح على

الدكتور كنوك تبادل السيارات..

الدكتور : أرجو أن تنق بأنى أملك فى ليون عيادة من

الدرجة الأولى، فقد خلفت فيها الدكتور

مارلو، وكانت له فيها سهرة مستفيضة..

موسكيه : هذا كلام كان يصح لو قيل منذ ثلاثة أسهر،

ففى ثلاثة أسهر، يقطع السائر شوطاً فى

الطريق هو للنازل أطول منه للصاعد [إلى

كوك]: ثم إن أهالى سان موريس يا عزيزى

الدكتور لن يقبلوا أبداً..

الدكتور : وما دخلهم فى هذه المسألة؟ نحن لن نسألهم

رأيهم..

موسكيه : ولكنهم سيصارحونك به، ولا أزعج لك أنهم

سيعمدون إلى إقامة المتاريس فى وجهك، فإنها

ليست من عادة أهل هذا البلد، وشوارعهم

غير مبلطة ولكن أهالى البلد يستطيعون

تشبيعك إليها [يشاهد مدام روى] وعلى كل حال

فستحكم أنت بنفسك..

[تدخل مدام روى تحمل صفاً من الأطباق]

المشهد الثامن

جمع من سبق ومدام رمى

موسكبه : يا مدام رمى إليك بخبر سار، إن الدكتور
كنوك سيفارقنا، الدكتور بارباليد سيعود إلينا.

مدام رمى : [ترك الأطباى تكاد تهوى من يدها، ولكنها تلحقها قل
السطوط إلى الأرض ومحصها كرهرة على صدرها] آه..
كلا.. كلا... أقول لكم إن هذا لن يحدث أبداً
[إلى كنوك] اللهم إلا إذا خطفك ليلاً بطائرة،
وإلا فأني سأبلغ النبأ إلى أهل البلد ولن
يتروكوك ترحل، وما أسهل عليهم أن يخرفوا
إطار سيارتك، أما فيما يتعلق بك أنت يا مسيو
بارباليد فإن كان هذا هو الغرض الذي جئت
من أجله فيؤسفني أن أبلغك أنني لا أجد لك
حجره خالية عندي، وبالرغم من أننا في عز
النساء فلا مفر لك من النوم في العراء [تتحه إلى
مضدة لنضع أطاقتها عليها]

الدكتور : [وهو في شدة التأثر] طيب.. طيب.. إنها فضيحة
مخجلة أن يكون هذا هو شعور هؤلاء الناس

نحو رجل كرس لهم خمساً وعشرين سنة من
حباته، ما دام لم يبق في سان موريس محال
إلا للدجالين فأبى أفضل كسب قوئى بشرف
في لون، أكسبه بسرف وبوفره أيضاً، وإذا
كنت قد فكرت لحظة في أن أسترجع عيادنى
القديمه فلأن صحة زوجى وأقوالها ملا خفاء لم
يوافقها هواء المدن الكبيره، يا دكور كنوك
دعنا نصفى الحساب في أقرب وقب لأبى
سأرحل هذا المساء..

كنوك : حاشا أن ترضى إهانتنا، إن مدام ريمى فى
دهشتها لسماع خبر هو فى الحقيقه غير صحيح
وبسبب ما لحفها من ذعر أن تسقط أطباقها،
لم تستطع ضبط لسانها، إن كلامها لم يحسن
التعبير عن فكرها، وها أنت ذا ترى بنفسك
أن مدام ريمى بعد أن اطمأنت على سلامه
أطباقها قد استعادت سماحها وأصبحت
عينها لا تنطفان إلا بما تكنه لك هى وأهل
سان موريس جبعاً من عرفان بالجميل لهذه
الخدمة الصامه التى كرس لها حياتك بينهم
طوال خمسة وعشرين عاماً..

مدام ريمى : هذا أكيد، وعهدنا به دائماً أنه رجل طبب جداً،

وكان يؤدي واجبه بيننا كأى طبيب آخر
لو كان مكانه طالما كنا نحن فادرين على أن
نعبس فى غفلة عن مزايا الطب، ولم يكن فى
ذلك ضير إلا حين عم الوباء، فلن تزعم لى أن
طبيباً جديراً بهذا الاسم كانيترك هذا العدد
الوفير من الناس يموت فى وباء الحمى
الإسبانية.

الدكتور : طبيب جدير بهذا الاسم؟ أى كلام أصبحنا
نسمعه؟ أتظنن يا مدام ريمى أن يقدر طبيب
جدير بهذا الاسم على مقاومة وباء عالمى،
سأنك فى هذا تقريباً سأن من يطلب إلى قوة
غفر البلد مقاومة زلزال، فصبراً يا مدام ريمى
إلى الوباء القادم، لنرى إذا كان الدكتور
كنوك سيكون أكثر نجاحاً منى..

مدام ريمى : الدكتور كنوك: استمع إلىّ يا مسيو بارباليد
إنى لا أعمد إلى مجادلتك فى مسألة تتعلق
بالسيارات لأننى لا أفهم فى السيارات شيئاً
ولكنى بدأت أفهم ما هو المريض إذن أستطيع
أن أقول إن أناساً نجد الضعفاء منهم لاثنيين
بالفراس هم أقدر من غرهم على أن يواجهوا
بفدم نابتة وباءك العالمى القادم، وكما قال

مسيو برنار منذ أيام في محاضراته: المصيبة هي
التعرض لمفاجأة تدهننا كالرعد في سماء
صافية..

موسكيه : يا عزيزي الدكتور إنني أنصحك ألا تنثر هنا
خلافات من هذا النوع، فإن مقام الطب
والصيدلة قد توطد واستتب بيننا وساع إدراكه
بين الناس، واسأل من شئت بحجة خصماً عنيداً
لآرائك.

كنوك : ينبغي ألا تتوه في جدل مذهبي نقد تختلف مدام
رعي والدكتور بارباليد في الرأي ومع ذلك تظل
بينها رابطة طيبة [إلى مدام رعي] ألدريك حجرة
للدكتور بارباليد؟

مدام رعي : لا توجد حجرة. فكما تعلم لا يأتى لنا أن
نجد مكاناً لكل المرضى، فإذا جاء مريض
فلعلني أنجح في تدبير مكان وأفعل المستحيل
فإن هذا من واجبي..

كنوك : ولكن إذا قلت لك إن الدكتور بارباليد ليس
في حالة تمكنه من السفر اليوم بعد الظهر،
ولابد له من الوجهة الطبية أن يستريح يوماً
كاملاً..

مدام رعي : إذن الأمر يختلف، ولكن الدكتور بارباليد لم

- يأت لطلب الكسف عليه..
- كنوك : حتى ولو كان هذا غرضه، فإن واجب الكتمان
في مهنتنا يقتضي أن لا أصرح بذلك علناً..
- الدكتور : ما الذي ترمى إليه؟ إنني سأرحل اليوم بعد
الظهر وهذا كل ما في الأمر..
- كنوك : [يصر إليه] يا زميلي العزيز، إنني جاد في قولي
لك كل الجد لا غنى لك عن أن تستريح لمدة
٢٤ ساعة، إنني لا أنصحك بالسفر اليوم،
وعند اللزوم سأمنعك من الرحيل..
- مدام ريمي : حسن.. حسن يا دكتور، إنني كنت لا أعلم
ذلك، وسنجد لمسيو بارباليد فراساً فاطمثن،
هل ينبغي قياس حرارته؟
- كنوك : سنتحدث عن ذلك وسيكاً [تسحب مدام ريمي].
- موسكيه : أترككما برهة يا سادى [إلى كنوك]: قد كسرت
إبره وسأذهب إلى الصيدلة لأخذ أخرى..

المشهد التاسع

كنوك - بارباليد

الدكتور

: قل لي.. هل هو مزاح [صب مصر] على كل حال إني ساكر لك إذ ليس مما ترتاح إليه نفسي أن أستاذف السفر هذا المساء لمدة مائة ساعات [فتره صب] فقد ولّى السباب وأنا أعلم بحالى [صب] إن طريقتك فى الاحتفاظ بهيئة الجدل لما يدعو للإعجاب، فمنذ قليل كانت هيئتك نتم عن مكاشفتك لى بهذه الحقبة [بهض] نعم فما نفعى علمى، إنك تمزح، ولا بصرى بخفايا أساليب الطبيب مع مريضه، نعم كانت لك هيئته ونظرة وشعرت كأنك نفذت بها تتفحص أعمق أحشائى، آه هذه مقدرة خارقة..

كنوك

: وماذا أفعل؟ إن هذا يحدث لى رغباً منى بعض السىء، فما أكاد أجتمع بإنسان إلا وجدتنى لا أتمالك نفسى من أن تتحرك لسخيص علتة تسخيصاً مبدئياً، حتى لو كان عملى هذا لغوا

خالصاً وجهداً ضائعاً كله ولا مسوغ له.. [يسير
إليه وكأنه يكشفه سرا] حتى بلغ بي الحال أنني
أصبحت منذ زمن أنحاسي النظر في المرآة..
: الدكتور ولكن هذا التشخيص ما تعنى به؟ هل هو
تشخيص عاب أم...؟

: كنوك ما معنى وصفه بأنه تشخيص عاب؟ لقد فلت
لك إنني إذا طالعت وجه إنسان، فإن نظرتي
ترمي رغماً عني وبدون تفكير مني على
علامات، قد مخفى على العين حالة الجلد
والشعر وإنسان العين وسرعه النفس
وعلامات أخرى من هذا القبيل، وعندئذ أجد
جهاز استخلاص التشخيص المستقر في
أعمافي يعمل من تلقاء ذاته، وينبغي لي أن
أضبط نفسي وإأصبح طبعي هذا سخيلاً..
: الدكتور ولكن.. المسألة.. أسمع لي.. إنني أصر بطريقه

بلهاء قليلاً، ولكن لي دوافعي.. حينها فلت لي
إنني في حاجة إلى راحة يوم كامل، هل كان
قولك من قبيل المعايضة أم...؟ ومرة أخرى
أقول إنني إذا كنت أصر على هذا السؤال فإن
مسلكي هذا يرجع إلى هموم قد تكون
تساورني، فأنا لم يفتني منذ زمن أن ألحظ أسياء

فى نفسى، فىنى متلهف جداً ولو من الوجهه
النظرية البحتة أن أعرف هل جاء
ملاحظائى مطابقه لنتائج هذا التشخيص غير
الإرادى الذى ذكرت أنه أصبح من طبعك..
: يا زميلى العزيز فلنؤجل هذا البحث الآن [قرع
أجراس]الساعة تدق العاشرة، ينبغى لى أن
أقوم بجولتى، وسنتناول طعام الغداء معاً إن
أردت أن تبرهن لى على صداقتك أما عن
حالتك الصحيه، وما ينبغى اتخاذه بشأنها
فستتحدث عنه بعد الظهر على مهل فى
عبادتى..

كنوك

[يبتعد كنوك - تنتهى الساعة من دى العاشره - ناراليد
عارى فى التفكير وقد نهاوى على معد - يدخل سيببيون
والخادمه ومدام رemy، يحملون أدوات طليه مألوفه ويسيرو
متتابعين فى صف واحد تغمرهم أضواء عالم الطب]

[ستار]

لَطَائِرُ الْأَزْزَقِ أَجْدُوثَةٌ مِنْ عَالِمِ السَّحَرِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ

تَأَلِيفُ: مَوْرِيْسُ مِيْتْرَلِيْنِكْ

مقدمة

موريس ميتزلنك.. والمسرح الرمزي
١٨٦٢ - ١٩٤٩

بقلم: عبدالرحمن صدقي

موريس ميتزلنك - البلجيكي موطناً، الفلامنكي محتداً ونسباً،
الفرنسي مقاماً وقلماً وأدباً - شاعر من أبدع الشعراء في معانيه
وبأنه، وحكيم من أكبر الحكماء في زمانه، وهو غزير الإنتاج
متنوعه، نجمع مؤلفاته بين ما يستولى على عقول الخاصة من
المفكرين، وما يؤثر في فلوب السواد من جمهور القارئ.

وتأييداً لهذه الصفة المميزة التي أوردناها في مستهل هذه
التقدمة، نجد لزماً علينا إيراد السواهد، وتكفيها منها هنا لضيق
المقام الإسارة إلى هذين المالين من مؤلفات ميتزلنك، وهما من
جهة الموضوع جدّ مختلفين.

الأول مبحث في التاريخ الطبيعي، وهو كتابه عن «حياة
النحل» الذي ترجم إلى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات،

والكتاب صغير في حجمه، ولكنه لا حدّ لسحره، سواء عند المتخصصين من العلماء، أو من ليس لهم في هذا الخصوص ادعاء. والعجيب في أمره أنه حوى بين دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمي، من غير أن يحمل مثلها طابع البحث العلمي. ولا خفاء في أن السر في ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وساعر، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته، فهو قد اعتمد في كتابه على طول المساهدة والدرس، ولكنه فوق ذلك كان في خلوصه إلى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق، ويتعمقها بعقل الحكيم، ويرويه بلسان الشاعر. فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يموله كأنه نفث ساحر. وهو في ذلك ما تعدّى قول الحقيقة وإنما أفاض عليها من حماسه وشاعريته، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته، ما جعل الحقيقة تبدو كالخيال عجيبة بديعة.

أما المال الآخر فهو - كما سنرى - أبعد ما يكون عن البحث في التاريخ الطبيعي، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزي، وهي بعينها التي بين أيدينا: مسرحية «الطائر الأزرق». وهذه المسرحية التي تعمّد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنّيات وهي المفروض أنها للأطفال، تتضمن خلاصة فلسفته. ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحي «موريس ميترلنك»، هي مرة بحاربه النفسية ومطالعاته وتأملاته

الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كطرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ إلى هذه المرحلة من عمره.

كان الساب «موريس ميتزلنك» في نحو الخامسة والعشرين من عمره، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفاته عام ١٨٨٩، وأولها مجموعة أشعار بعنوان «الأكنان الدافئة Serres Chaudes» طبعت منها مائة وخمسة وخمسين نسخة إحدى دور النشر في باريس. وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار السعري لا تمت إلى واقع الطبيعة، بل هى نظائر لها يبلغ من لطفها وشفوفها أنها تبدو وكأنها أطياف فى المنام من نسج الأحلام، ومثل هذه الأشعار كثيراً ما تشغل الخاطر وتبر السجون بما تنطوى عليه من الشعور الغامض والروح الحزين. وأمام هذا النزوع للخفاء والغموض، والهروب من الواقع المبتذل المحدود، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات، وتعمد الإيقاع الجديد، لا يمكن أن يخفى على القارئ تعرف سمات ذلك الفريق من الشعراء الذى منه «جوستاف كاهن Gustave Kahn» و«شارل موريس Charles Morice» و«لافورج Jules Laforgue» وغيرهم من شباب الفنانين المنتمين إلى مدرسة الشعر الجديد، مدرسة الرمزيين التى رفع لواءها «بودلير» و«مالاربييه» و«رامبو» من متقدمى الأعلام المشهورين.

كذلك طبع الشاعر البلجيكي الساب بعد أسهر من طبع مجموعه أسعاره في باريس، مسرحية بعنوان «الأميره مالبين» «Le Princesse Maleine»، وقد تولى مع صديق له طبعها في وطنه بلجيكا بطبعة تدار باليد قام هو بإدارة عجلتها في حجرة مربعة صغيره في مكان كالإسطنبول ببلدته «غنت Ghent»، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد يتجاوز عددها الثلاثين نسخة. ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المائة والخمس والخمسين نسخة وهي الحد الأقصى الذي لم يكن يتعداه شهاب الكتاب في هذه المدينة القديمة تظاهراً بالدلال وتحدياً لقلّة الإقبال. وكان هذا العدد المحدود يدخل في عداد ما يرسل عادة لنقاد الصحف والمجلات.

وكان المؤلف الساب مقبلاً في بيته الريفى في ناحية (أوستاكر Austacker) بالقرب من «غنت»، فانفق - في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهو جالس إلى المائدة يتناول فطوره - أن جاءت جريدة الفيجارو الباريسية، فإذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقال بقلم ناقد الجريدة المسرحى الكاتب المعروف «أوكتاف ميربو Octave Mirbeau»، استهله بما بلى:

(إني لا أعرف شيئاً عن «موريس ميتزلنك»، لا أعرف من أن هو، ولا كيف هو. لا أعرف إن كان سيخاً كبير السن أو فتى في ربيع العمر، غنياً وافر المال أو فقيراً رقيق الحال، لا أعرف.

كل ما أعرف أنه ما من إنسان يحججه الناس أكر من جهلهم إياه، كما أعرف في الوف نفسه أن هذا الإنسان نفسه أنى بآية رائحة من الآيات، آية ليست من قبيل هذا النوع الذى تعد له البطاقة مقدماً باسم المعجزة من قبل ظهورها، كنتك المعجزات التى يطالعنا بها كل آن أسألتنا من السبان، فتتغنى باسمهم وتلهج بذكرهم وتسبح بحمدهم على كل نغم من الأنغام، وبكل لحن من الألحان تلك القيارة الحديئة الضخمة، أو - بعبارة أصح - ذلك المزمار الصاخب الجبار: الصحافة. كلا، إنها معجزة من نوع آخر، آية رائعة خالصة خالدة، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها، وتقديس ذكره، عند جميع المنهيين المتعطشين إلى ما هو رائع وعظيم: آية كالتى حلم فى بعض الأحيان بتحفيفها الفنانون السرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم، ولكنهم لم يحققوها إلى اليوم وأخيراً طلع علينا السيد «موريس ميتزلنك» بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر أصالةً وعبقريّة، عمل يجمع بين أبدع الغرابة وأعذب البساطة، حتى ليضارع بل أكاد أقول - إذا أسعفتنى الجرأة - إنه ليفوق فى روعه جماله أجمل ما فى سكسبير. هذا العمل الأدبى مسرحية اسمها «الأميرة مالىن».

قرأ الشاب البلجيكى مؤلف مسرحية «الأميرة مالىن» هذا المقال فى الصحيفة الفرنسية، فلم يكذب يتمه حتى أحس انفجار سيء فى نفسه، انفجر سد من القلق كان لا محالة يضيى به صدره

حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه، ويعوق دون انفساح مجراه، وتدفق المحتبس من فيضه إلى مدهاء، والاطمئنان إلى جدواه. إن ما قيل عنه في صحف بلاده في ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القبيل: «ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق، لا يدري أحدٌ بعدُ أهو بصيص مصباح صغبر أو نجم بعيد». أكان هذا القول وأمثاله فى صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة فى نفس كاتب مجدد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن إلى حاله؟ أين هذا من فورة الإعجاب فى مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقالٌ فى حماسة الاستقبال حتى لقد خيل إلى والد المؤلف فى دهسته من كل هذه المبالغه فى الاحتفاء أنها مفضوذة بها السخرية والاستهزاء بولده. ولكن المؤلف فى واقع الأمر كان جديراً بالثناء، وإنما المبالغه وحدها هى التى كادت تفوت على القراء مدلولها وتفسد أثرها.

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسه للمؤلف الشاب البلجيكى إلى حدّ المقارنة بينه وبين سكسبير أعظم شعراء العالم، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يُحدّ بين الاثنين، فإننا نحمد على الأقلّ لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكرة الأولى لمسرح «ميتزلنك»، قد أسلمنا طرفاً من الخيط الذى يؤدى إلى استكشاف جانب هام فى تكوين ميتزلنك نفسه ونشأة مسرحه.

ولقد كان مولد «موريس ميترلنك» في التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ في مدينة «غنت Ghent» الواقع في ملتقى النهرين (ليس - و - إسكو) بإقليم الفلمنك Flandres وفيها كانت نسأته حتى تجاوز الخامسة والعشرين، وهى مدينة قديمة من أجمع المدن لخصائص الإقليم، تتحدب جدرانها المسودة من قدمها بالماضى الحافل بالحياة، المزدهم بالذكريات، كما تستم رائحه الموت والانحلال من الرطوبة المنبعثه من ذلك العدد العديد من القنوات. ثم هى أعمار ما تكون بالأديرة والمصانع فى وقت معاً، فهى مدينة أهل الصناعة العاملين وأهل الله المتصوفه الزاهدين. فلا غرو أن يكون لهذا الإقليم بجوه المعتم القاتم ويئثته الحسيه الصافيه، ما لابد منه من الأثر الذى يتفاوت بحسب الملابسات فى حساسه الأجيال المتعاقبه.

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبر من أشهر مساهير التاريخ من مواليد مدينة «غنت» نفسها، وهو الإمبراطور سارلكان الذى اجتمع له فى العالمين القديم والجديد عظمه الملك الواسع الذى لا تغرب عنه الشمس، وجبروت الحاكم المطلق الذى لا معقب عليه، ومظاهر السلطان الذى ليس كملكه سلطان، فنزل فى عام ١٥٥٦ عن هذا جميعه إيناراً لحياه النسك فى دير «يوس Yuste» غربى أسبانيا، وفى هذا الدير طلب قبل وفاته أن تقام سعائر جنازته أمام عينيه فى حياته. هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على إحساس «موريس

ميتزلنك» وتفكبره، في سعره وفي مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثه واختلاف موضوعاته. ولما كان مدار الحديث هنا على مسرحه، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته. وحسبنا لكى نبليغ الغاية أن نراجع مسرحياته الأولى، الطوال منها والفصار، كلها أو بعضها، لنرى هل الحياة فيها ما برحت على تكرارها هى الحكاية نفسها، حكاية يحكيها أبله معتوه، كلها ضجيج وصخب، ولا طائل من ورائها غير العذاب والتعب، ثم يطوى الردى أبطلها دون أن يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون أنراهم أجيالاً بعد أجيال، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت أو طويلة يسلكونها أجمعون عمياناً كانوا أو مبصرين، كالسارى الذى طال فى الليل سراه يردد هذا القول أو ما فى معناه، «أنا الإنسان البائس لا يدري أين هو ذاهب؟»

أجل إنها جميعاً نفس المأساة، مأساة القدر المتحكم فى الحياة كلها، فى سائر أمورها صغيرها وكبيرها، ليسلم الحماة - كل حياة - آخر الأمر إلى الموت الراصد منذ الصغر لها، المتربص بها، وهى أبداً شاعرة به وهو يحوم حولها، متوجسة منه، متجنبه له. وقد تحاول الحياة تناسى الموت والتغفل عنه، ولكنه لا ينساها ولا يغفل عنها لحظة، حتى تبين الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع روحها، سيان كانت على انفراد وحدها، أو بين أهلها وأحبائها أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة إليها المتعلقة بها.

فهذه «الأميرة مالين» - في أولى مسرحيات «ميتزلنك» - صبيه كالزهرة الجنبية في رفتها وحسنها وبراءها، وهى وحدها بالليل في حجرتها، ولكنها مسهدة فلة، نحس أن خطراً تجهلها يهددها، وفي الواقع كان هنالك قتله لا تعرفهم أثمروا لسبب لا تعرفه على قتل الأميرة الصغيرة، أنهم على السلم السرى المؤدى إلى باب خفى في جدار من جدران حجراتها. إنها تجهل كل شيء عن هذا الممر الخفى، وتجهل أمر الفتلة كل الجهل، ولكنها تعرف أنها الليلة هالكة، نحس أن الموت قريب منها. أهى تلك الخطوة البعيدة التى خيل إليها أنها سمعتها؟ لكم سمعت ملها كل ليلة فى نواحي القصر. ولكنها فى هذه الليلة رهبة مخيفة مروعة كأنما تؤذن بالسرى. إن هذا السرى لا محالة. إنها لتسعر بوجود غير منظور، غير منظور، ولكنه حقيقى إلى حد فطع إنه يربها فيجمد الدم فى عروقها. ويطول موقف الأميرة على هذه الحال، فإذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها، لا إسعافاً عليها من القتل المؤتمرين على قتلها، بل على أنفسنا من الأقدار، من القوى المجهولة التى تنصرف بنا وتسوفنا كما ساءت، وإلى حيث ساءت دون إرادتنا ومن غير علمنا.

هذه المسرحية «مالين» من الناحية الزمنية أولى مسرحيات «ميتزلنك»، وقد كان تأليفها لها تحب ساء بلده قبل التزوج إلى باريس، وهى - على ما فيها من التردد الطبيعى - بمابة النموذج الأول لما سأنى فى أعقابها من عمل مسرحى، فنحن واجدون

فيها ذلك الإطار من المناظر التي تخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض، بحيث يبدو المكان كأنه في بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيقته الواقعية. وهنا تظالغنا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأنشجار العاليه الساهمة، وعلى مسافة منها القصور القديمة، دهاليزها وأسراها لا آخر لها، وأفباؤها الضخام النفيلة كأنها على النفس جانمة، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة، وحدائفها المهمله ملتفة الشجر كثيفة الورق مظلمة. والصروح المحصنة بأبائها الفاخرة المتهدمة، العامرة الموحشة تعيد إلى الذاكرة ذكريات ما شهدته في الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم، مما أوقع الروح لا محالة في نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم، فهم نهب الهواجس والمخاوف يشتركون فيها، على الرغم من فلة التفاهم بينهم للفارق الكبير بين أعمارهم.. وإلى هذا كثير من أمثاله، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلدته القديمة، وما أفاده من خلال مطالعته وزاد عليه من تخيلاته.

في هذه المسرحية التي لم يفكر مسرح في تمثيلها، تظهر محاكاة «ميتزلنك» لشكسبير في كثرة المناظر وتعددها في كل فصل من فصولها، وفي ازدحامها بالشخصيات الملكية، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة، وفي الغراميات المتعارضة، وكل هذه التنبؤات والنذر قبل المقتله الحتمية.

ولكن هذه المحاكاة للوفائع تقف عند حد الظاهر، لأن «ميتزلنك» في عرضه سخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد إلى واقعيتها، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعي، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية في عصره قد أخففت، ويرجع إخفافها إلى أنها اتجهت سطر صغار الحقائق - تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التي لا كنه لها، ولا كبر طائل وراءها - بدلاً من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأشياء كلها، أو بعبارة أخرى «تلك القوى الخفية»، وبأوجز لفظ «ذلك المجهول» فهو وحده الذى يعنى الفنان الرمزي بحيث لا يمل ذكره، ولا يستهويه غيره، ولا تسغله الظواهر عن أمره ومحاوله استكناه سره.

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن ميتزلنك - أو شكسبير البلجيكي على حد ما سماه «ميربو» في مقاله الحماسي - لم يلبث أن أدرك أنه في غير حاجة إلى أصحاب العروش ذوى الهامات المتوجة، ومن حولهم الأمراء والحاشية، وكل ما هنالك - في مسرحية مالبين - من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة، فضلاً عن ذلك التفنن في ابتداع الموضوعات الفاجعة. نعم أدرك مير لنك أنه في غير حاجة إلى جميع هذا، إذ أن أبسط الحوادر العادية في الحياة اليومية يغنى عنه، وقد يكون أعمق أراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف ما يريد في مسرحه الرمزي من إسعار الجمهور بما وراء الأشياء والأحداث من القوى الخفية

أو سلطان العدر، أو باختصار ما ينطوى تحت لفظ «المجهول».
وعلى هذا جرى المؤلف في مسرحياته التالية، وهى قصار فى
الغالب الأعم.

ونذكر من تلك المسرحيات الفصار مسرحية «الدخيل» من
فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة فى قصر قديم،
حيث يجتمع أسخاص المسرحية وهم الجد الضرير، والأب والعم
والبنات اللاب، ولا يُضىء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه
خافت، والكل فيها يتهايمسون بصوت خافت كذلك، وهم جميعاً
واجمون مسهدون. وفى غرفة مجاورة ترقد تلك الى يفكرون فيها
وعنها يتهايمسون، المريضة التى يتهدد الخطر حياتها، ومن أجلها
كان اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً، ومن هذا
القبيل ما كان يدور من المقال بين العم والأب: «إن طلعتها تبدو
منذ العصر على أحسن ما يرام، وهى تنام نوماً عميقاً الآن، فهل
ترانا نغص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا. من رأى
أنه يحق لنا أن نستريح، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى
شيئاً».

ولكن الجد الضرير كان يستبد به الفلق، فلم يكن ليهدي من
روعه سىء. لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون. ذلك أنهم مبصرون،
والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق. أما هو فقد
حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر، فأصبح اتصاله بالعالم عن

طريق الحواس الباطنة. إنه الوحيد الذى كسف العمى عن
صيرته، فهو يرى قبل سواه كل سىء على حقيقته. أنه يحس
بالخطر يزداد، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات... ومنذ
هذه اللحظة تتركز المأساة كلها فى السنيخ العجوز، فى تباريح
لوعته التى تنعكس فى ازدياد واستداد على طلعتة، ويضاعف الأثر
ما بشيع فى جو الغرفة من دواعى الفزع متوافداً من خارجها
مصاعداً من أرضها، فتمه عصفة من الريح نهب سم تسكن،
وسدو البلابل بنقطع ويسكن، ووقع خطوات خاطفه مرقف فى
الحديقة، ولمحة من البستانى وهو يشحذ نحت جناح الليل منجله،
وعسرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها، ولكن
تكرارها منلاحقه تألف منه وعيد وتهديد بالخطر. عندئذ لم يستطع
الجد الضرير إلا إظهار الفزع، حتى إذا جاءت لحظة أحس فيها
الجد الضرير بين المجتمعين بوجود لم يسعروا هم بوجوده، نذت
منه الصرخة المخنوقة. وفجأة ينفتح الباب ويغمر الغرفة فيض
مباغت من ضياء. وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على
صدرها إشارة الصليب التى يستدل منها أن المريض مات.
ومع هذه المسرحية نسر المؤلف فى سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى
ملها عدد سخوصها اثنا عشر، ستة رجال وست نساء وكلهم
عميان، ومن هنا سميت «العميان». وهؤلاء الخلق العميان نراهم
فى الظلام وحدهم فى غابه من غابات الشمال تبدو عريقة فى القدم
كأنها كانت هنا منذ الأزل، ومن فوقهم سماء غائرة النجوم، وهم

ينتظرون، ينتظرون من غير أمل، ولكنهم مع ذلك ينتظرون. إنهم في انتظار فس، رجل الله ومبعوث العناية، إنه نورهم الهادي ودليلهم المرشد، لقد كان يتقدمهم ويقودهم، ثم غاب عنهم وطال غيابهم. وإنهم ليتحسسون طريقهم في الغابه بحسب عنه، وفجأة يقع في روعهم شعور مبهم تفشع فيه أبدانهم، شعور بوجود شيء غريب عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب. ولم يكذبهم حدسهم. إنه الموت، فهناك عند جذع الشجرة أسند الفس ظهره جثة هامدة.

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعر بأن مقصده الأخير ليس هو الدعوة إلى اليأس، يأس الإنسانية من جدوى السعى والأمل في الهداية إلى سواء السبيل، فإنه برغم ذلك الاخفاق والفشل، يسير إلى استمرار الإنسانية في الأمل، فإن الستار ينزل على أبطال مسرحيته «العميان» وهم لا يزالون ينتظرون.

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات «ميتزلنك» على ما فى حتمية وافعها الموحش المظلم اليأس المؤلم من رهبة وقسوة، أن تستهويننا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية ومبهجة النظارة الفتية لفرط إيمان المؤلف بالحياة، وعمق شعوره بتلك الغريزة الكونية، غريزة الحياة الغلبة القوية التى أورثت سائر الأحياء ما فيهم من قوة الجلد والعناد، كالذى نشهده فى النملة الصاعدة على العود وهى تسقط مائة مره، وفى كل مره تعاود الصعود... أو مثل ذلك الإنسان الذى حكمت عليه الآلهة أن يدفع الحجر

الكبير إلى أعلى الجبل، فلا يزال الحجر كلما بلغ به إلى قمة الجبل يتدحرج إلى أسفل، وهو ماض مع ذلك في تأدية العمل الموكول إليه. ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت إلا كذلك بطبيعتها، وهذه إرادتها. ولا يكون الحى حياً في حياته إلا إذا استجاب - طائعاً أو كارهاً - لغريزتها، وعمل بإرادتها وإن جهل غايتها.

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن «ميتزلنك» خاطر الموت، فقد كان هذا المخاطر يلزمه منذ حداثة فلم يكف عن التحدث عن الموت في سهره وفي مسرحياته وسائر كتاباته، بصريح الإسم ثلاثة، وتارات أخرى بمختلف الكفايات، وجملة ما يقال آخر الأمر أن الموت كان عند «ميتزلنك» موضوع تفكيره طوال العمر، وأنه قضى السبعة والثمانين عاماً من حياته وهو في انتظار لقائه، لقاء ذلك الصاحب المجهول وجهها لوجه.

ومع ذلك فقد وقعت في حياة «ميتزلنك» بعض تغييرات مادية وأخرى وجدانية يمكن أن يُردَّ إليها ما يلاحظ على مسرحياته التالية من تسرب نوع من الرجاء، كالسُعسُعاع من الضياء في الليل الخالِك.

ونذكر من تلك التغيرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو الشمال البلجيكي الغائم القاتم، إلى الجنوب الفرنسي المشرف الباسم في مدينة نيس أو على مقربه منها حيث كان يقضى معظم العام على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ولكن هذا التأثر المادى لا يذكر إلى جانب التأثير
الوجدانى، ونعنى به تأثر المرأة، وبعبارة أدق وألطف: الحب.
كان ميترلنك لا يزال مقيماً في إقليمه الفلمنكى في بلجيكا حين
التقى في العاصمة البلجيكية في إحدى الليالى بالمرأة التى
أصبح رفيقة حياته ونجية نفسه وموضع سره نحواً من
العشرين عاماً، وهى السيدة الفنانة «جورجيت لبلان Georgette
Leblanc» وكانت في ذلك الحين تغنى «تاييس» و«كارمن»
وغيرهما من الأوبرات في التياترو الملكى في ميدان لاموناى Place
de la Monnaie الذى نحف به المقاهى والمطاعم على مختلف
أنواعها ويعتبر مركز الملاهى في العاصمة. وقد اتفق هذا اللقاء في
دار محام من المحامى الكبار مشهور بدعوته إلى التجديد في
الأدب البلجيكي، وكان الساب ميسر لُنك يزاول في مكتبه المران
على المحاماة على كره منه نزولاً على إرادة والديه، وكان صاحب
الدار قد أعد مأدبة عشاء عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم
فيها مسرح دى بارك Theatre du Parc مسرحية «الأب» للأديب
السويدي اسرنبرج Strindberg وكان ميترلنك من المدعوين إلى
هذه المأدبة، فترك النحل في بلدته نلبية للدعوة، فهو كعادته،
سياء الجدد على سحنته، يلزم الصمت ويبدو كالحالم، مع سىء من
السنور بالقلو وعدم الارتياح كسأته في المدينة. ولم يكن هذا
الصوب الوقور المستغرق في التفكير ليخطر في باله أنه في هذه
الليلة سلقى في شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة

جورجيت لبلان ما أعده له المفدور. وكانت القاعة على حين بغتة قد ساد عليها لحظه صمت عميق، فإذا بها قد طلعت على الحضور، وهي تمنى الهوينى مخطرة متهادية، وعلى جبينها حلية من الذهب كأنها نواره السلطنة، ومن ورائها ينسحب نوبها المجرور الذى ينسف الأسماع بحفيف الحرير، وقد قام صاحب الدار بنها بواجب التعريف، فبدت منها عند تقدمه لها صيحة مقتضبة خفيفة، أما هو فقد رفع كالفروى بصره إليها مرتبكاً، وأحنى لها صعدته فى غير لباقة، على حين ردت له التحية بانحناءة من تلك الانحناءات العميقة التقليدية، بدت فيها وكأنها الملكة السابة البزنطية من لطف تأديتها المراسم الملكيه، متعمدة أن تضع فى هذه الحركة كل براعتها التمثيلية، لتكون منها بمنابه تحية الفن للفن.

وفى أثناء العشاء كان مير لذك يطيل النظر إليها دون أن يخوض فى الحديث معها.

وكان مترلنك حين تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفاً موفور الشهرة، عامر البدن بالعافية والصحة: ميسور الحال لا يعوزه المال، ومع ذلك فإن هذا الرجل الذى أنعم عليه بكل هذه الخيرات كان فى دخيله نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والملل. ولقد دعا الفنانة الحسنة إلى بلدته «غنت» حيث أولم لها وليمة فاخرة على الطريقة القلمنكية، ثم خرجا للنزهة فى الشوارع الغائمة القاتمة المكتتبه، وكان مبر لذك قليل الكلام،

ولكنه أفضى مع ذلك بجوهر الكلام ولبابه، قال: «إني غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب». فاحتفظت المرأة بهذا التصريح في سويداء قلبها، وآلت على نفسها لتعلّم ذلك الفن الشاق، فن التسليم للحياة والاطمئنان إليها والتعويل عليها. فما انفضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية تختلف عما سبقها كل الاختلاف، مسرحية لم يعد يعصف فيها عاصف الجزع والخوف، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء.

لقد كان ميترلنك لا همّ له في مسرحياته إلا تمثيل القدر المحتوم على البشر في صور الشقاء والعذاب والموت وهي مقبلة علينا الواحد بعد الآخر في خطى نابتة يثنيها ويفت في عزيمتها أو يعتاق سيرتها أو يقف في مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها وبين فريستها، كانت هذه الفكرة مستبدة به مسيطرة عليه في المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفي، فإذا به في المرحلة الثانية ينقض عنه هذا التسليم للقدر، ويتحدث عن الصراع غير مكتفٍ فيه بما كان من ذلك التخبّط السلبي، تخبّط العاجز، الشاعر بعجزه في قبضة القدر. بل الصراع الحقيقي على مستوى البشر بين بعضهم البعض، والصراع الإيجابي بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعادلة. ولا عليهم من ألا يكون لهم النصر في آخر الأمر. ويظهر هذا الصراع واضحاً في مسرحية «أجلافين وسليزيت» Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقوم الصراع بين المرأتين على رجل هو ملياندر

Méleandre وهو صراع كأسد ما يكون الصراع الحفيقي، ولكن كفة إحداهما لا تلبس أن ترحح على كفة الأخرى لأن العلائق التي تربط بين «سلزيت» وهذا الرجل لست نسبياً إلا علائق سطحية على المستوى البصري، في حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى «أجلافن» بهذا الرجل توفياً واستداداً في قوة الارتباط، وتألاً وإيغالا في الأعماق. وذلك أن انجذاب كل من الانثن - هذا الرجل وهذه المرأة بالذات - إلى الآخر غير مقصور على رغبتهما البصرية، بل من ورائها قوة خفية أقوى منها: هي تلك الجاذبية الميتافيزيقية التي لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها، ولا نستطيع غير الانقياد لها والنزول على أمرها.

ولا نحسبنا مخطئين إذا رأينا في شخص «أجلافن» شخص الفنانة «جورجيت لبنان»، فقد كان لقاؤهما على النحو الذي جاء وصفه في المسرحية نمائاً فهما - كما جاء في المسرحية - سواء في المقابلة الأولى على غير موعد، أو في الموعد الأول - لم يتبادلا إلا أبسط الكلمات وأكثرها تداولاً بين عموم الناس، فإذا بهما - مع ذلك - يسعران بأنهما لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا حياة له بغير صاحبه، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامص صحبتهما نحواً من العشرين سنة. ولقد حرص المؤلف في إر تأليفه لهذه المسرحية على الكتابة إلى الفنانة محدّثاً عن بطلته الجديدة، فيقول هذا الذي قال في أول حديث بينهما: «إني غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب».. يقول اليوم (لقد حملت إلى «أجلافن»

ما لا عهد لى به. جوّ جديد وإرادة للسعادة وقوة على الرجاء).
ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات ميمز لئك المسرحية
وغير المسرحية، حتى ليشعر القارئ لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة
من الجو القاتم المتلبّد بالضباب إلى جو آخر تمزق ضبابه فعرّف
الإشراق ودخل إليه النور مُشعِناً هنا وهناك فى الآفاق، وكشفت
الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها، فاككتست بالزهر
والربحان من مختلف الألوان، وأخرجت لنا الأيام أبطلاً وبطلات
أقل خوفاً من الحياة وأكثر شجاعة وهمة.

ولا نقصد بهذا القول إلى أن ميترلنك قد تخلى عن فلسفته
وعن تفكيره الدائم فى القدر والموت. كلا، فإن الشئ الذى تغير
لم يكن هو القدر والموت، وإنما هو نظرة ميترلنك إليهما وطابع
سُوره بهما ولون تفكيره فيهما، حتى لنرى مؤلفنا المسرحى أميل
إلى جعل الشقاء والعذاب والموت فى خلفية المسرح، وعرض
إرادة الحياة ونشدان السعادة فى مقدمته.

وحسبنا للتحقق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التى
طلع بها علينا المؤلف فى السنوات العشر الأخيرة فى القرن الغابر
وهى مسرحيات المرحلة الأولى التى قدمنا للقراء عرضاً موجزاً
لموضوعها، وبين أشهر وأبدع مسرحياته فى أوائل القرن الحاضر،
وهى «الطائر الأزرق» التى نستأذن القراء فى أن نغفيهم من إيراد
خلاصتها فهى لا تغنى عن الاستمتاع الكامل بقراءتها فى الترجمة
التي بين أيدينا.

وهذه المسرحية التى ضمنها ميزر لنك ما بلغه وهو فى طور النضج من تطور فى النظر والصور والفلسفه، قد ساء له هذه المرة فنه - كما أنسرنا فى مستهل كلامنا - أن يصبها فى قالب قصة من قصص الجنيات. وقد يبدو هذا من عجيب الأمر. ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان، بما حقق فى هذه المسرحية من نجاح لم يتحقق له فى غيرها، أقام الدليل على أن هذا الأسلوب - أسلوبها - هو الأسلوب الذى يناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحب عن السعادة، تلك الضالة المنشودة التى أفتقدتها فى الطبيعة أبناء الأرض، وهؤلاء هم - فى المسرحية - يبحثون عنها فيها وراء الطبيعة على نحو رمزى بديع شاعرى لا ينقل على النفس، بل يسر الخيال ويسكر الحس، وعن طريق الجمال والخيال يوقظ الذهن والتفكير.

ومسرحية الطائر الأزرق من خمسة فصول فى عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ بالمسرح الفنى فى موسكو، ثم صدرت طبعتها الأولى فى باريس عام ١٩٠٩، ثم منلت فى ترجمتها الانجليزية على مسرح هاماركت Haymarket فى لندن فى ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ ولقد شجع نجاح تمثيلها فى الخارج على استقبال المسارح الفرنسية لها فكان أول المسارح التى فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) فى الثانى من مارس سنة ١٩١١ وهى السنة التى حصل فيه على جائزة نوبل.

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافى بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزي «موريس مينرلنك»، وتحليل مسرحياته الرمزية في المرحلة الأولى نم في المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التي قامت عليها أسهر وأبدع مسرحياته الأخيرة؛ وهي «الطائر الأزرق» نرى لزماً علينا أن نحى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حفى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بن أيدينا، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بن الفلسفة والتصوف وروح الطفولة، حتى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها، من حبب الأمانة فى نفلها وحسن المطابقة لها، كصورة الحسناء فى مرآها فإليه نرف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها.

عبد الرحمن صدقى

الفصل الأول

الطائر الأزرق

المنظر الأول: كوخ الخطاب

[المسرح على هيئة كوخ حطاب من الداخل، بسيط المظهر، ريفي الساء والمتاع ولكنه لا يسم بحال عن تعاسة العور والعاقة، مدفأة مستورة لأنها محفورة داخل الحدار، بها حطب نعس ناره، آنية مطبخ، صوان، صندوق لحفظ الحبر، ساعة طويلة موروثة عن الأحداد، تعمل شغالين، عجله معرل، حوض للغسيل إلح إلح، مصباح مصيء على منصده، أمام الصوان كلب في حانب وهرة في الحانب الآخر، كلاهما يرقد وقد تقص جسده وجميع أفعه إلى ديله، وبين الاثنين فمع سكر كبير ملون بالتناوب بالأنيص والأزرق، ففص مستدير منبت على الجدار، به عصصون في غناية الكوخ نافذتان، حصاصها معلق، تحب إحدى النافذتين دكة من الحشب، على اليسار الباب الأمامي للكوخ، عليه مزلاح كبير، باب آخر على اليمين، سلم يدوى من الحشب، يؤدي إلى المخزن، على اليمين أيضا مهدان من الحشب، على رأسيهما كرسيان فوقها بياض مطقة بعناية.

عد رفع الستار يرى الولد «تلتيل» والبيت «ميتيل» يعطان في سباب عميق في مهديهما، «ماما تيل» يحبك العطاء حولها وتحب عليها تتأملها لحظة وهما نائمان، ثم تشبر إلى «بابا تيل» وقد أررر رأسه من الباب الموارب، فتضع «ماما تيل» سباتها على فمها لتعرض عليه بالإشارة التزام الصمت، ثم تحرج إلى اليمين وهي تسمى على أطراف أصابعها، وكانت قد أطفأت المصباح أولاً؛ يفرق المسرح في الظلام برهة وحيرة، ثم

يتسلل من حصاص البادتن نور يزداد توهجه، يضاء المصباح نايه من تلقاء ذاته، ولكن نور مختلف عن نوره حتى أطفأته «ماما تيل» - ثم إذا بالطفلين كأنها قد استيقظا وجلسا في مهديها]

تيلتيل : ميتيل ! (١)
 ميتيل : تيلتيل ! (١)
 هو : أنائمة أنت ؟
 هي : وأنت ؟
 هو : كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائماً.
 هي : قل لى، هل اليوم هو يوم ييجى عبد الميلاد ؟
 هو : لم يحن ميجيئه بعد، إن مواعده غداً، ولكن عمنا العيد لن يأتى لنا بئىء هذه السنة.
 هي : ولماذا ؟
 هو : سمعت أمى تقول إنها لم تستطع الذهاب للمدينة لتلفت نظره إلينا، ولكنه سيأتى فى السنة القادمة.
 هي : أبعد مواعده فى السنة القادمة ؟
 هو : لا أقول إنه جدّ هريب، ولكن عمنا العيد سيأتى الليلة إلى الأطفال الأغنياء.
 هي : حقاً ؟

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الإشارة إلى تيلتيل فيها بعد بكلمه (هو) وإلى ميتيل بكلمه (هى).

هو : أنظري، فد نسيث أمانا أن تطفئ المصباح،
عندى فكرة...

هى : ما هى؟

هو : هبّا بنا نقوم من فراشنا.

هى : هذا مُحَرَّم علينا.

هو : لا ضرر، فما من أحد يرفبنا، أترين خصاص

نوافذنا؟

هى : ما أبهى النور الذى يتخلّله.

هو : إنه نور الحفل.

هى : أىّ حفل هو؟

هو : أمانا، عند الأطفال الأغنياء، إنها سجره عيد

الميلاد، سنفتح النافذه.

هى : أمباح لنا أن نفعل هذا؟

هو : أى نعم، ما دمنّا وحدنا. أسمعبن الموسيقى؟

فلننهض!

[ينهضان ويجريان إلى إحدى النافتين ويصعدان فوق الدكة،

ويدفعان مصراعى النافذة فيعم الحجرة نور ساطع، يتطلع

الاثنان شعف للحارج].

نيلتيل : ملكنا رؤية كل سىء.

ميثيل : [وقدمها لا يمز إلا بوقفه غير مطمئنة على حافة الدكة]

أما أنا فلا أرى شيئاً.

- هو : اللج ينهمر، أرى عربتين بحر كلاً منها سته
جیاد.
- هی : وينزل منها اننا عسر صباً.
- هو : يا لك من مغفلة! إتهن بنات.
- هی : لا أرى إلا سراويل تلف السفان.
- هو : نعم الخبيرة أنت بلس البنات والصبيان!
لا تدفعيني هكذا.
- هی : لم ألسك.
- هو : [وهو يحتر الدكة لنفسه] أنت نحتابن الدكة كلها
بمفردك.
- هی : كيف وأنا لا أجد فوفها موضعاً لقدمي.
- هو : الزمي الصمت إذن، إني أرى السجره.
- هی : أي سجرة تعني؟
- هو : سجرة عيد الميلاد، أنت لا ترينها لأن نظرتك
مصوبة للجدار.
- هی : هو كذلك، لأنه لم يبق لي مكان فوق الدكة.
- هو : [وهو يتخللها بشح عن طرف من الدكة] الآن هل
اطمأنت وقفنك وفزت على؟ يا لها من أنوار
فوق أنوار.
- هی : ماذا بفعل هؤلاء القوم الذبن ينبرون كل هذه
الضججه؟

- هو : إنهم يعزفون الموسيقى.
- هى : أهم فى حدة من الغضب؟
- هو : كلا، وإنما عملهم مرهق.
- هى : ها هى ذى عربه أخرى بحرها جياذ بيض.
- هو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر.
- هى : ما هذه الحلية المذهبة المعلقة بالغصون؟
- هو : إنها لعب ولا ريب، سيوف وبنادق، وجند ومدافع.
- هى : والعرائس؟ هل هناك عرائس معلقة أيضا؟
- هو : عرائس! إنها لعب سخيّف لا تروفيهم.
- هى : ما كل هذا الذى نُر من فوق المائدة؟
- هو : كعك وفاكهة وفطيرة محشوة بالقسدة.
- هى : أكلت من أمالها مرة فى صغرى.
- هو : وأنا كذلك، إنه طعام ألذ من الخبز ولكن هذه الحلوى لا يُبذل لنا منها إلا بقدر ضئيل.
- هى : وليس هذا هو حالهم، إنها مبدولة لهم تغصّ بها المائدة. أسيأكلون كل هذه الحلوى؟
- هو : نعم ولا ريب، فماذا عساهم يفعلون بها؟
- هى : ولماذا لا يأكلونها من فورهم؟
- هو : لأنهم غير جياع.
- هى : [وقد غلبتها الدهشة] غير جياع؟ ولماذا؟

- هو : لأنهم يأكلون منها متى أرادوا.
- هي : [ومى غير مصدفة] كل يوم؟
- هو : هكذا يقال.
- هي : هل يأكلونها كلها ولا ييجودون منها بسىء؟
- هو : على مَنْ؟
- هي : علينا.
- هو : إنهم لا يعرفوننا.
- هي : فلو سألناهم.
- هو : هذا غير جائز.
- هي : ولماذا؟
- هو : لأنه عيب.
- هي : [ومى تصفح مرخا] أوه، ما أجملهم!
- هو : [فى حماس] إنهم غارقون فى الضحك.
- هي : وهؤلاء الصغار الذين يرفصون؟
- هو : نعم 'نعم، فلنرقص نحن أيضا.
- [يتوانبان من المرح فوق الذك].
- هي : يا لها من بهجة.
- هو : الكعك يُقدّم لهم، إن أرادوا لمسة بأصابعهم
- فعلوا، إنهم يأكلون ويأكلون ويأكلون..
- هي : حتى الصغار منهم، أكلوا من الكعك منى وبلاب
- ورباع.

- هو : [وعد أسكره الطرب] يا لها من لذة.
- هى : [وهى ترعم فى الوهم أنها تعد قطعاً من الكعك] قد فزت أنا
باننى - عشرة - كعكة.
- هو : أما أنا فقد نلت أربعة أمثال نصيبك، على أننى
سأعطيك منها.
- [«يدق باب الكوخ» تلتليل وقد حمد وملكه الخوف، مخاطباً
أخته.]
- هو : ترى من يكون الطارق؟
- هى : [فى رعب] إنه بابا..
- [وإذ يتوايان عن فتح الباب يشاهد مزلاجه العليط يرتفع من
تلفاء ذاته، ويسمع له صرير، ثم ينشئ الباب عن امرأ عحور
ضئيلة تلبس نوباً أحصر وصدراً أحمر، هى حذاء عرجاء عوراء،
أنفها تقوس حتى لامس دهبها، تمشى بحبه الطهر تنوكاً على عصا،
لا سبيل للعن أن تحطئ أنها جنية].
- الجنينة : هل عندكم العسب الذى يدندن والطائر الذى
لونه أزرق؟
- هو : لدينا عسب ولكنه لا يدندن.
- هى : تلتليل عنده الطائر.
- هو : ولكنى لا أفرط فيه.
- الجنينة : ولماذا؟
- هو : لأنه ملكى.
- الجنينة : هذا سبب وجيه ولا ريب، وأين هو هذا الطائر؟

- هو : [منيراً إلى العصب] إنه في هذا الففص.
- الجنينة : «تلبس نظارها لتتفحص الطائر» إنه ليس مطلبى، ينبغي أن تذهباً لتبحنا لى عن الطائر الذى أريده.
- هو : ولكنى لا أدرى أين هو.
- الجنينة : ولا أنا، من أجل هذا ينبغي البحب عنه، إننى أستطيع إذا يثست أن أتنازل عن العصب الذى يدندن ولكنى لا بُد لى من أن أجد الطائر الأزرق، إنه لازم لابنى الصغيره، هى فى شدة المرض.
- هو : وما مرضها؟
- الجنينة : لا أحد يدرى حميفته، إنها تريد أن تكون سعيده.
- هو : حقاً؟
- الجنينة : أتعرفان من أنا؟
- هو : إنك تسبهين قليلاً حارتنا الست غُريبه.
- الجنينة : [وقد تملكها العضب محاه] لا سبه مطلقاً، ستان ما بيننا، هذه إهانته بليغة، إننى الخنيه غرناويه.
- هو : آه، صدّفتنا كلامك.
- الجنينة : ينبغي المضى فوراً.
- هو : ألسن آتيه معنا؟

- الجنية : هذا مستحيل، بسبب الحساء الذى أفضته هذا الصباح على النار فإنه يهدد بالفوران والاندلاق إذا ما غيَّب عنه أكثر من ساعة، [تشير بالتوالى إلى السقف والمدفأ والمافدة] من أين تريدان الخروج؟ من هنا أو من هنا أو من هناك؟
- هو : [وهو يشير تهيَّب إلى الباب] الأفضل أن أخرج من هناك.
- الجنية : [وقد عاودها العصب المالح] هذا مستحيل كل الاستحالة، ثم إن الخروج من الأبواب ليس إلا عادة سخيفة، [تشير إلى المافدة] سنخرج من هناك، وبعد، ففيم انتظاركما؟ ارتديا يابكما على الفور [يطيعها الاثنان، ويرتديان يابهما على عجل وتقتضى الحنية قائلة] سأساعد ميتيل.
- هو : ليس لدينا أحذية.
- الجنية : ليس هذا بالمهم، سأهيكما فلنسوه صغيرة مدهشة، أين والداكما؟
- هو : [مشيراً إلى الباب الأيمن] إنها هناك، نائمين..
- الجنية : وأين جدكما وأين جدتكما؟
- هو : مات الاثنان.
- الجنية : وإخوتكما وأخواتكما الصغار، أليس لكما أخوة وأخوات؟

هو : نعم نعم، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات صغيرات.

الجنية : وأين هم ؟
هو : ماتوا هم أيضاً.
الجنية : أتريدان رؤيتهم من جديد ؟
هو : نعم نعم، على الفور، الآن، دعينا نراهم.
الجنية : إنهم ليسوا في جيبى، ولكن بهختكما حسن، فسيتاح لكما رؤيتهم وأنتما تعبران «أرض الذكريات» في طريقكما إلى الطائر الأزرق، على اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق، ماذا كنننا تفعلان حين دققت الباب ؟

هو : كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك.
الجنية : وأين هو ؟
هو : في قصر الأولاد الأغنياء، تعالى أنظري، ما أبهاه من مشهد [يحرّان الجنية إلى النافذة].
الجنية : [وهي بالنافذة] ولكن أفواها غير أفواهكما هي التى تأكله.

هو : نعم ولكن يكفيننا أن نرى أكلهم من هنا.
الجنية : أفى فلبكما موجدة عليهم ؟
هو : ولماذا ؟

- الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله، إنه لخطأ كبير منهم أن لا يبذلوا لكما شيئاً مما يأكلون.
- هو : لا يبذلون لأنهم أغنياء، ما رأيك في بيتهم؟ كم هو جميل.
- الجنية : إنه ليس أجمل من بيتكما.
- هو : هيهات! بيتنا أقل ضوءاً ورحابة.. وليس به كعك.
- الجنية : ليس هناك أقل فرق بين بيتهم وبيتكما، إنما أنت لا ترى.
- هو : بالعكس، إنني أحسن الرؤية، وعناي لا تنقصها حدّة البصر، إنني على خلاف أبي أتبين من بعيد عقارب الساعة في فمة برج الكنيسة.
- الجنية : [تنفس فجأة] أقول لك إنك لا ترى، قل لي إذن كيف تراني؟ ما هو شكلي في نظرك؟ [تلتيل يلود بصوت المتعرج] هيا، أجبنني حتى أعرف إن كنت ترى، أنا جميلة أم دميمة؟ [يمتد الصوت ويزداد الحرج] ألا تريد أن تجيبنني؟ أنا صبيه أم عجوز؟ وبسرتي؟ أفي لون الورد أم هي مصفرة كالحة؟ ولعل لي أيضاً حدبة فوق ظهري..
- هو : [وهو يسترصها] لا، لا، إن حديثك ليست كبيرة.

الجنية : نعم، لى حديبه، ولكن دهسة نظرتك إليها تنبىء
أنك تراها آية فى الضخامة. ألى أنف معقوصه
وعين مفقوءة؟

هو : لا، لا، إنى أتبيّن ذلك، ولكن من الذى ففأها؟
الجنية : [وعد راد لملها] ولكنها ليست مفقوءة يا وقح،
يا لعين، إنها أجمل من أختها، هى أوسع وأصفى،
إن لونها فى زرفة السماء، وسعوى هل تراه؟ إنه
أسمر كستابل الفمّح بل قد يُظن أنه من
العسجد الخالص، ولى من هذا الشعر بروه تتعل
رأسى وتفرض من كل جانب، ها هو ذا على
يدى، ألا تراه [تعرض عليه حديلتين بحيلتين من شعر
أشهب].

هو : نعم، إنى أرى جديلة من سحرك.
هى : تقول جديلة؟ إنها حزمة ملء الذراعين كالنبت
الملتف، هى ذوب عسجد، إنى عالمه أن بين
الناس نفر يزعم أنه لا يرى منه شيئاً، ولكنك
- فيها أوّل - لست من هذا النفر الأعمى
الخبيث؟

هو : كلا كلا، إنى أرى كل ما تكشّف للعين منه.
الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقبته بسطارتك المعهوده،
ما أعجب بنى الإنسان! منذ أن انقضى عالم

السحر قد طمست أبصارهم وخبت مداركهم،
ومن حسن الحظ أنني مزودة دائماً بكل ما يبيع
النور في العيون المنطفئة. فما هذا الذي أخرجه
من كيسى؟

هو : أوه، ما أجملها من فلنسة صغيرة خضراء،
وما هذا الذى يبرق فى زُرّها؟

الجنيه : إنها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون.
هو : حقاً؟

الجنية : نعم، حين تضع القلنسة على رأسك تدير الماسة
قليلاً من اليمين إلى اليسار، مثلاً هكذا، أرايت؟
إنها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس
لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين.

هو : وهل سأحس بألم؟
الجنيه : على العكس، وانه سحر ستحسّ بلطفه، وفى
اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأسياء! سريرة
الخيز والنبيذ والفلفل.

هو : وتتجلى لى أيضاً سريرة السكر؟
الجنية : طبعاً، إنى لا أحب الأسئلة الفارغة، إن سريرة
السكر لا تفضل سريرة الفلفل، والآن ها أذا
أمنحكما كل ما تحتاجان إليه من أجل البحب
عن الطائر الأزرق ، إنى لا أجهل أن «خاتم

المُلك» الذى يحجب لا بهه عن الأنظار، وأن
البساط الطائر أنفع لكما، ولكنى أضعت مفتاح
الخزانة التى كنت خبأتها فيها، آه ! كدت أنسى،
[تشر إلى الماسه] حين تضع يدك عليها وتديرها
مرة أخرى فليلاً هكذا فسيتكشف لك الماضى،
ثم تديرها أيضاً فليلاً فيتكشف لك المستقبل،
إنها سىء عجيب نافع يعمل فى صمت.

: إن بابا سيأخذها منى.

: إنه لن يراها، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت
على رأسك. أتريد أن تجرب [تضع الفلسوه الصغيرة
الخضراء على رأس تيلتيل] والآن، أدر الماسه وانظر..

[ما يكاد تيلتيل يدير الماسه حتى يحدث تغير عجيب يشمل كل
الأشياء نغمته، وتنقلب الحنية العجوز فجأة إلى أمره جميله رائعه
البهاء وتضئ حجارة الصوان المنية بها الجدران بلمعان
الياقوت الأزرق، وتصبح شفافه براهه تخطف الأنصار سأن
الأحجار الكريمة، الأثاث الفخمر تدب فيه حياه داب بهاء،
المنصده المصنوعه من الخشب الأبيض تصبح تنطق بالوفار
والمجد مثل منصده من الرمر، ووجه الساعه يغير بعينه، وبيتسم
بشاشه، على حين يفتيح غطاء دولابها الذى يتأرجح رفاصها من
ورائه ميمناً ويساراً ثم تطلق منه الساعات وهى مشبكه الأندى
محلحله الضحكك، وتأخذ فى الرفص على نغم حلوه، وحق
تيلتيل أن يدهش].

: هاته الآنسان الجميلات، من هنّ؟

هو
الجنية

هو

الجنية : لا تخف، إنهن ساعات عمرك، هنّ في غمرة من
الحبور إذ ملكن الحرية والانكساف للأعين مدى
برهة ولو وجيزة.

هو : ولماذا تتلأأ الجدران؟ أهى من السكر أم من
الأحجار الكريمة؟

الجنية : كل الأحجار سواء، كل الأحجار كريمة، ولكن
الناس لا ترى إلا قلة منها.

[وإد يدور هذا الحوار بينها تتوالى لمسات السحر حتى تلعب كمال
غايته، وتبرز سرائر الأرغفة على شكل أهرام في سراويل بلون
فشرة الخس الحاف، سكارى من الدهشة، تاتر فوفهم الدقيق،
ويغرحون في صندوق الخبز فيدورون حول المصدة في حطى
مرحة عابته فتعترضهم سريرة «النار» الى قفرت من المدفاه
وهى في سراويل أصفر ورمزى وتتولى من الصحك وهى تطارد
سرائر الأرغفة]

هو : وهؤلاء الأقزام الأسماخ، من هم؟
الجنية : ليس أمرهم بالجليل، أنهم سرائر الأرغفة
ينتفعون بسفور عالم الحقيقة ليخرجوا من
سجنهم فى الصندوق الضيق.

هو : وهذا العفرين الأحمر كريد الرائحة؟
الجنية : اسكت، لا ترفع صوتك، إنها النار، وهى سرسة
الخلق.

[لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات السحر، وإذا بالكلب والمرة

وهما نائمان مكوران إلى جانب الصوان يطلقان معاً فحاة صرحة عالية ثم ينشق تحتها غطاء سرداب ويلعبها فيختبئان ويرر بدلهما قرمان أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من فصيلة «الولدوح» وقناع الآخر على هيئة وجه هرة، فإذا بالقزم الذي يلبس قناع الولدوح (وسكتى فيما يلى بكلمة «الكلب» لتسميته) يرتقى على تيلتيل يعانقه ويرشقه بقبيلات هوح، ويعرفه حتى يشل حركته بتمسحات رائطة متأحجة، على حين أن الفتاة القرم المثلثة بقناع الهرة (وسكتى فيما يلى بكلمة «الهرة» لتسميتها) تشرع تمشط وتلقق يديها وتسوى شارها من قبل أن تقترب من ميتيل].

: (وهو ينح ويقفز وينملت عبارته فيحيط كل شيء في طريقه تنهور لا يطاق] مولاي الصغير أهلاً، أهلاً بمولاي الصغير، وأخيراً، أخيراً، استطعت أن أتكلم، إن لدى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك فلم يُسعفى ويفصح عني نباح ولا هزّ ذيل، وكنت لا تفهم عني، أما الآن، أما الآن فمرحباً بمولاي، إلى أحبك، أحبك، أتريد أن أريك بعض ألعاب المدهشة؟ أن أقف وفقة المستجدي؟ أن أسبر على يديّ وحدهما؟ أن أرفص على قدميّ وحدهما؟

: [للحية] من هذا السيد الذي له وجه كلب؟
: ألا تدرك؟ إنها سريرة كلبك «تيلو» وقد استنقذتها أنت من الأسر.

الكلب

هو

الجنيه

الهرة : [تمد إلى ميتيل يدا موقرة منهية] بحيه يا سنى،
ما أجملك هذا الصباح.

هى : بحيه سيّدى [إلى الحية] من تكون؟
الجنبيه : من السهل أن ترى بنفسك أنها سريره هرتك
«تيليب» الى تمد إليك يدها فامنحها هبله منك.

الكلب : [وهو يرحح الهرة] وأنا أيضاً أريد أن أقبل مولاي
الصغير، وأقبل سى الصغيره، إنى أريد تفبيل
الحميع هنا، ما أسعدنى! سيطيب لنا هو كبر.
سأبدأ بأن أخيف تيليت، هاو، هاو، هاو [يسحها].
الهرة : [للكلب] سيدي، إنى لا أعرفك.

الجنبيه : [هى ترجز الكلب بعصاها السحرية] أما أنت فالزم
الهدوء وإلا رددناك إلى عالم الصمب إلى يوم
القيامة.

[وفى عين الوقت تكون لمساب السحر ماصيه فى عملها، تطلق
فى ركن الحجره عجله «المعرل»، وتدور سرعه هوحاء، وتسبح
أشعه من ضياء ذات بهاء، يبدأ الصور فى ركن آخر يصغر
نصوت عال وتبعث منه نافورة مصيئه تملأ الخوض بخدائل من
اللؤلؤ والياقوت، تملب منها سريره الماء على هيئه فتاه ساه
تنساقط منها القطرات، شعرها مشعث ونشيجها مرتفع وتبدأ من
مورها عراكها مع سريره البار].

تيلتيل : ومن تكون هذه السيده المبلله؟

الجنية : لا تخف، إنها سريرة الماء قد انفلتت من الصنبور.

[يقلب إريق اللبن ويضع من على المنصه ويتحطم على الأرض وينت من اللس المراق شخص أبيض حجل كأنه يتهيب كل شيء حوله]

هو : ومن تكون هذه السيدة الخائفة التي طلعت لنا بقميص النوم؟

الجنية : إنه اللبن وقد كسر إناءه.

[نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ في السمو ويزداد حجمه ويمزق ورق غلافه ويبعث منه شخص يصطع الرقه وهو نادى النفاق، يرتدى معطفا ملوناً على التوالى بالأبيض والأزرق ويتقدم إلى ميتيل وعلى شفثيه ابتسامه ترعم التفى والورع].

ميتيل : [في قلق] ماذا يريد؟

الجنية : أنه سريرة السكر.

هى : [وفد اطأب] هل عنده حلوى «بوت الخفير».

الجنية : ليس في جيبه شيء سواها، وكل أصبع في يده «بوت خفير».

[يسفط المصباح من على المنضده وما يكاد يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئه فتاة عذراء وصاهه فائمه الجمال، محللها غلالات شفافه راقه وتحمد في مكانها كأنها في وحد]

هو : إنها الملكة!

هى : إنها العذراء البتول.

الجنية : كلا يا أولادى، إنها بسمه النور.

[وإذ يحدث هذا يرى الطواحي النحاسية على الرف وهي تدور على محاورها كلعبة النحلة، وينفتح باب الصوان على مصراعيه يدوى، ويلفظ سيلاً رائعاً من أقمشه بعضها في لون أشعة القمر وبعضها في لون أشعة الشمس يختلط بها سيل لا يقل روعة من الخرق والمرى يهبط على السلم من المحرن، ثم يقرع الباب الأيمن فجاء بدفات ثلاث عبيقة نوعاً ما]

هو : [في حوف] إنه بابا، قد سمعنا.

الجنية : أدر الماسه من الشمال إلى اليمين [تبتلي يد الماسه عنف] لا تعفرتها هكذا، يا إلهى! لقد تأخرنا فضاغت الفرصة من أيدينا، أنت أدرتها بعجله سديده، لن يبقى لمن حولنا وف للعودة إلى أماكنهم المألوفة، وسنلقى متاعب كبيره.

[ترتد الجنية إلى امرأه عجوز تطفى حدران الكوح ضياءها، وتؤوب الساعات إلى مثواها، وتكب عجله المعزل عن الدوران، الخ الخ ويعم المكان هرح ومرج، وريكة، بحوب النار أرجام الخمره في حركة هوجاء لتبحث عن المدفأ، وإذ تفعل ذلك ترى رعيماً يحضر عن الاندساس في صدوق الخرفينفجر نكاؤه وتدوى صرخاب مزعة]

الجنية : ماذا حدث؟

الرغيف : لم يبق لى مكان فى الصندوق.

الجنية : [تنحى فوق الصندوق] بل فيه مكان، فيه مكان لك، [تدفع الأربعة التى سمب فاحتلت مكانها العديم فى الصندوق]

هَيَّا، هَيَّا، اسرعوا، انتظموا، أفسحوا بينكم مكاناً.

[يدق الباب من حديد].

الرجيف : [وهو مرتعب مضيق مجاهد عساً للدخول إلى الصدور]
لا وسيلة للدخول، سأكون أول ما يأكله.

الكلب : [وهو يتوانى حول تيلتيل] مولاي الصغير! إننى
لا أزال هنا، لا أزال أستطيع الكلام، لا أزال
أستطيع تفبيلك مرة، وبانبه، وبالنه.

الجنينة : ماذا؟ أنت أيضاً لم تنصرف بعد؟
الكلب : إننى محظوظ إذ لم ألحق العودة إلى عالم الصمم
فإن غطاء السرداب كان أسرع منى فانفقل
وبقيت.

الهره : كذلك كان شأنى، ماذا سيحدث؟ هل ستواجهنا
أخطار؟

الجنينة : يا إلهى! ينبغى أن أصارحكم بالحقيفة، كل من
سيصحب الصبيين فى رحلتها سيموت عند
نهايتها.

الهره : ومن لا يصحبهما، ما مصيره؟

الجنينة : يمتد أجله قليلاً.

الهره : [للكلب] تعال ناوى إلى السرداب.

- الكلب : كلا، كلا، لا أطاوعك فإنني أحب أن أصحب
مولاي الصغير وألا أكف عن مناجاته.
- الهرة : يا لك من غرّ أبله!
[الباب يدق مره أخرى]
- الرجف : [وهو يدرف دموعاً ساحية] لا أريد أن أموت عند
نهاية الرحلة، أريد أن أدخل فوراً إلى
الصندوق.
- النار : [وهي لا تنفك تدور في المحرقة بحركة هوحاء وترسل أريرا يسم
عس كرها] لم أعد أجد المدفأه.
- الماء : [وهي تحاول عسا الرجوع إلى الصبور] لم أعد أملك
العودة إلى الصبور.
- قمع السكر : [وهو يطوف باضطراب حول مرق علاقه] فد مزقّت
غلافتي.
- اللبن : [في سكينه وخجل] وفد كسرت إبريفي الصغير.
- الجنبة : يا لهم من أغبياء، أغبياء جنباء، إن بقاءكم في
صندوقكم الكريه وفي سراديبكم وصبوركهم
أفضل عندكم من مصاحبه الصبيين للبحث عن
الطائر الأزرق.
- الجميع : [فيما عدا الكلب وسمة البورا] نعم، نفضل العودة
فوراً، إلى صنبوري، إلى صندوقي، إلى مدفأتي،
إلى سردابي.

الجنبة : [إلى سمة الور وهي تصوّر نظرة حاله إلى حطام مصاحها]
وأنت يا بسمه النور ما فولك؟

بسمه النور : سأصحب الصبيين.
الكلب : [وهو يهتف بهرح] وأنا أيضاً، أنا أيضاً.
الجنبة : هذه شيمة أفضل، على كل حال قد فات أوان
النكوص، لم يبق لكم خيار، ستخرجون كلكم
معنا. ولكن أنت يا نار، لا تفسري من أحد،
وأنت يا كلب، لا تشاكس الهرة، وأنت يا ماء
اصلبي عودك وحذار أن تندلعي أينما حللت.
[لا يزال الباب الأمن يدق بعنف].

تبلتلبل : [وهو يتسّمع] هذا الدق مذ بدأ: هو دقّ بابا، إنه
نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه.
الجنبة : لنخرج من النافذة. ستأتون جميعاً إلى بيتي
لأُخّير لكل حيوان ولكل شيء ما يليق به من
النياب، وأنت يا رغيف، خذ معك القفص لنضع
فيه الطائر الأزرق، ستكون حارسه المسئول
عنه، هيا هيا، لنضع الوقت.

[تتسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب فيخرجون منها جميعاً ثم
تعود إلى وضعها الأول وتقفل مصراعها وهي تزعم الراء،
تعود الحجرة للظلام ويختفي المهدان في العتمة، يفتح الباب
الأيمن إلى آخره ويظهر في إطاره بابا وبابا تيل].

بابا تیل : لا سىء مريب، لم يكن إلا صرير الجنادب.
ماما تيل : هل فملك تيبين أولادنا؟
بابا تيل : نعم ولا ريب، إنها نائمان فى هدوء.
ماما تيل : إني أسمع أنفاسهما.
[ينتقل الباب].

[ستار]

الفصل الثاني

المنظر الثاني: بيت الجنية

أهو فخيم في قصر الجنية غرباوية، أعمدة من المرمر لها تيجان من الذهب والفضة، سلالم ومقاصير وشرفات إلح إلخ. يدخل إلى عيادة المسرح من اليمين كل من الهرة ومع السكر والنار وهم في ثياب بديعة، إنهم خرجوا من حجره ترسل فيضاً من الأضواء، هي خزانة ثياب الجنية، تلعت الهرة بغلاله بيضاء شفافه قوي فميص لها من حرير أسود، وارتدى مع السكر ثوباً من الحرير مزدوج اللون، أبيض وأزرق حائل، ولست النار معطفاً طويلاً مرمرى اللون، مبطناً بالذهب، وضعت فوق رأسها ريشه متعددة الألوان، يخترقون البهو كله طولاً حتى يلفوا مقدمة المسرح فتجمعهم الهرة في مصورة [.

الهرة : من هنا، إنني خبيرة بكل مسالك هذا القصر الذي ورثته الجنية غرباوية عن صاحب اللحية الزرقاء، لقد ذهبت هي والصبيان لزيارة ابنتها، فلنغتنم في غيبتهم آخر دقيقة ننعيم فيها بحريتنا، جمعتمك هنا من أجل أن نبحث معاً هذا الموقف الذي وجدنا أنفسنا فيه، فهل ينقصنا أحد؟
مع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس.

- النار : عجبى! أى ثوب هذا الذى يرتديه!
- الهره : إنه اصطفى لنفسه رداء الخادم الذى يحرس
عربة ساندريلا، لعمرى لقد اختار ما يليق به،
لأن له طبع الخدم، فلنختبئ في هذه الشرفة فإنى
لتأخذنى من الكلب ريبة أعجب لها. والأفضل
أن لا يسمع ما سأقوله لكم.
- قمع السكر : جهد ضائع فقد دلته حاسة السم علينا، انظروا
ها هى ذى سريرة الماء تخرج أيضاً من خزانة
الملابس، ما أبهى جاهلها.
[يلتحق بهم الكلب والماء]
- الكلب : [وهو يتواء] انظروا انظروا إلى جمالنا وبهائنا،
إلى هذه الدنتلا وهذه الزركشة، إن خيوطها من
ذهب خالص، لا ريب فيه.
- الهره : [إلى الماء] يخيل إلى أن نوبك ليس بغريب على،
لقد سمعت وصفه في أحذوثة للأطفال.
- الماء : نعم نعم، إنى وجدته فوق ذلك أليق الأنواب لى.
وجهلت أن لابسـة هذا التوب ينبغى أن تحمل
مظلة لا تفارقها.
- الماء : لا أفهم، ماذا تعنين؟
- النار : لا سىء، لا سىء.

- الماء : [تهزأ بالنار وتعرض بأنفها] ظننتك تتحدبن عن أنف
 حمراء متورمة رأيتها أخيراً..
- الهرة : هيا هيا، كفوا عن النقار والسجار، فأماننا سيء
 أفضل نفعله، أصبح لا ينقصنا إلا الرغبة. أين
 هو؟
- الكلب : هو يقيم الدنيا ويفعدها من أجل أن يختار نوبه.
 الهرة : حق لمن بدت بلاهته وبرز كرشه أن ينعب
 ويتخير..
- الكلب : وأخيراً اصطفى له طيلساناً من لباس الأتراك
 محلي بالفصوص وله خنجر وعمامة.
- الهرة : ها هو ذا قادم إلينا، إنه اختار أجل رداء
 لصاحب اللحية الزرقاء.
- [يدخل الرعيف مرتدياً النوب الذي وصفناه هو طيلسان من
 الحرير قد ضاق بكرشه البارز فلم تتعد أزراره فوق بطنه
 إلا بمشقة، للرغيف يد على مقبض الخنجر المثب على حزامه،
 واليد الأخرى ممسكة بالفص المعد للطائر الأزرق].
- الرغيف : [وهو يرقص أمامهم في خيلاء وغرور] والآن، كيف
 ترونني في هذا الطيلسان؟
- الكلب : [وهو يتوأنب حوله] ما أجمله! ما أسخفه.
 ما أجمله.. ما أسخفه.
- الهرة : [للرغيف] وهل ظفر الصبيان بنوبين لها؟

الرغيف : كان من نصيب السيّد تيلتيل نوب «عملة الأصبع» سترة زرقاء وسروال أحمر، ومن نصيب الآنسة ميتيل توب ست الحسن والجمال وحذاء ساندريلا. ولكن المشكلة كانت في اختيار نوب يلينى ببسمة النور.

الهرة : ولماذا؟

الرغيف : لأن الجنيّة أبت من فرط جمال بسمة النور أن تسترها بغطاء، فاحتججت أنا باسم كرامتنا نحن سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا الرفيع وأعلنت في النهاية أننى أرفض في هذه الأحوال أن أخرج في صحبه بسمة النور وهى عارية.

النار : كان ينبغى أن نسترى لبسمة النور ظليلة (أباجور).

الهرة : وبماذا أجابت الجنيّة؟

الرغيف : كانت إجابتها ضربات من عصاها على رأسى وبطنى.

الهرة : ثم ماذا حدث؟

الرغيف : آمنت بحُكمها صاغراً على الفور ولكن بسمة النور قررت في آخر لحظة أن تختار توباً لونه من ضياء القمر.

الهرة : كفى ترنرة، الوقت يتعجلنا، إن المسألة تتعلق بمستقبلنا. قد سمعتم ما قالته الجنيّة من أن نهاية الرحلة هي في الوقت ذاته نهاية عمرنا، فينبغي إذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة، بكل حيلة نملكها، ثم هناك مسألة أخرى، ينبغي أن نعي بمصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا.

الرجيف : كلام جميل، الهرة على حق.
الهرة : انصتوا لي : نحن جميع الحاضرين هنا من حيوان وجهاد وعنصر لنا سريرة لم يتبينها الإنسان بعد، ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستغلال ولكن لو عر الإنسان على الطائر الأزرق فإنه سيعرف كل شيء ويرى كل شيء، ونصبح جميعاً في قبضته، أسرى رحمته، هذا ما قالته لي صديفة قديمة هي فحمة الليل، إنها أيضاً حارسة أسرار الحياة. فمن مصلحتنا جميعاً أن نمنع - مهما كان الثمن - عثور الإنسان على الطائر الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر أن نعرض حياة الصبيين للأخطار.

الكلب : [في حق] ماذا تقول هذه البنت؟ أعيدى قولك لو تكرمت لأتبعك جليته.

الرجيف : سكوت! لم أعطك حق الكلام، وأنا رئيس هذا الاجتماع.

النار : ومن الذى أسند إليك الرياسة.

الماء : [لنار] سكوت. ما دخلك فى هذا؟

النار : أنا أتدخل حين أشاء، وليس لملى أن يعترض عليه ملك.

قمع السكر : [بمحاولة الصالحة] من فضلكم، من فضلكم، ينبغي أن نكف عن العراك، فالساعة عصيبة، أمامنا قبل كل شيء أن نتفق على خطة نتبعها.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر.

الكلب : هذا سخف، لا تنسوا وجود الإنسان، هذه هى

المسألة كلها، لا مفر لنا من طاعته والانصياع

لرغباته، هذه هى الحقيقة التى ليس غيرها

حقيقة أخرى، إننى لا اعترف إلا بالإنسان،

فليحيا الإنسان! حياتنا ومماتنا ملك يديه، وفى

خدمته، فالإنسان هو مولانا جميعاً.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى الكلب.

الهره : ولكن جُذ علينا بذكر مبررات فوك هذا.

الكلب : ليس هناك مبررات إنى أحب الإنسان، وفى

حبنى كفايه، فإذا تأمرتم عليه فإنى سأخفكم

أولاً نم أذهب إليه وأفضحكم عنده.

قمع السكر : [يتدخل بلهجة حلوة] من فضلكم، لا داعي لهذا
 النقاش المرّ، هناك وجهه نظر تسوّغ الفول بأن
 كلاً منكما على حق، ولكل رأيٍ ما له وما عليه.
 الرغيف : إن رأيي مطابق كل المطابقة لرأي قمع السكر.
 الهرة : ألسنا نحن الموجودين هنا جميعاً، الماء والنار،
 حتى أنت أيها الرغيف وأنت أيها الكلب، ألسنا
 ضحايا اسبديد غاشم؟ اذكروا العهد الذي كنا
 قبل مجيء الطغاة ننعّم فيه بالحرية ونروح ونغدو
 كما يحلو لنا على سطح الأرض؟ لم يكن للدينا
 من سيد إلا النار والماء، فانظروا كيف كان
 مصيرهما. أما نحن فلم نصبح على يد الإنسان
 إلا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام:
 وحوش الغابات. اسكنوا. انتبهوا. تصنعوا
 البراءة كأنما لم نجتمع لأمر، فإني أرى الجنيّة
 وبسمة النور فادمين نحونا، لقد انحازت بسمة
 النور إلى صفّ الإنسان، إن بسمة النور ألدّ
 أعدائنا، ها هما قد أقبلا.
 [تدخل الجنيّة من اليمين ومعها سمة النور وفي أثرها تيليل
 وميتيل].

الجنيّة : وئى وئى، ماذا أرى؟ فيم اجتماعكم في هذا
 الركن المنعزل؟ حالكم ينبئ بأنكم تتأمرّون، قد

آن أو أن البدء في الرحلة، وقد قررت أن تكون
بسمه النور فاندكم تطيعونها جميعاً طاعتكم لى
وسأستودعها عصاى السحريه، وسيزور
الصبيان هذا المساء أجداها الموقى ولا داعى
لمرافقتكم لها، حياءً من الفضول.. سيقضيان
هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما
فاغتتموا وقت غياهما وأعدوا العدة لرحله الغد
إنها ستكون مرحلة طويلة، هيا، انهضوا، وابدأوا
العمل، كل واحد منكم فى وظيفته.

الهره : [ساق] هذا هو عين ما كنت أقوله لهم
يا سيدتى، كنت أحهم على أداء واجهم
بحرص وحماس ولكن الكلب كان مع الأسف
لا ينفك يفاطعنى.

الكلب : ماذا تقول؟ مهلاً، مهلاً، (ويوسك أن يهجم على
الهره ولكن تيلتيل يحبس نيتته فيصده بإشاره
مهدة)

تيلتيل : ارهد يا تيلو، إذا عدت لهذه الفعله مره أخرى
فإنى..

الكلب : يا مولاي الصغير، أنت لا تدري، إنها هى التى..
هو : [وهو يرحله] اسكت.

الجنينه : كفى كفى، هيا نفرغ من ترتيباتنا، على الرغيف

أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتيل فمن الجائز
أن يكون الطائر الأزرق مختبئاً في طيات الماضي
عند الراحلين من أسرته، إنها فرصة على كل
حال لا بحسن إغفالها، وأنت يا رغيف، هات
القفص.

الرغيف : [لهجة مراسمية] ديفة واحدة من فضلك،
يا سيدتي، [يتحول إلى لهجة خطابية] إنني أتخذ منكم
جميعاً شهداء على أن القفص الفضّي الذي كان
في عهدتي..

الجنينه : [مقاطعة] كفى، كفى شقشقه، سنخرج من هناك،
أما الصبيان فسبخرجان من هنا.

هو : [وهو شديد التوجس] سنخرج وحدنا؟

هي : إني جائعة.

هو : وأنا أيضاً.

الجنينه : [لالرغيف] افتح طيلسانك التركيّ واقطع لها
سريحة من أطيب لحم في بطنك.

[يفتح الرغيف طيلسانه ويستل حجره ويقطع به من بطنه
شريحتين كبيرتين يمنحها للصين]

فمع السكر : [يعترب من الصين] اسمح لي أن أقدم لكما أيضاً
سيئاً من حلوى نبوت الخنفر [يكسر من يده اليسرى
أصابعها الخمس واحداً بعد آخر ويمنحها للصين].

- هو : ماذا يفعل؟ إنه يكسّر أصابعه كلها.
- جمع السكر : [وهو عهها بكرم] هيّا، ذوقاها، إنها حلوى بديعه،
نبوب خفير بحق وحقيق...
- الجنية : حذار يا ولدتي من الإفراط في أكل السكر ثم
لا تنسبا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند
أجدادكما.
- هو : أهم هنا؟
- الجنية : سترانها وسكاً.
- هو : وكف نراهم وهم موني؟
- الجنية : كف تقول عنهم موني وهم يعيسون في
ذاكرتكما، إن الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم
لم يبلغوا من العلم إلا قليلاً، أما أنب فستري
بفضل الماسة أن الموقى الباهن في الذاكرة
يعيسون في هناء كما لو كانوا غير موني.
- هو : وهل سأنى بسمه التور معنا؟
- بسمه التور : من الألبق أن لا نفسد على الأسره خلوتها إذا
اجتمعت، وسأبقى قريباً فلا أظهر لهم حتى
لا أتهم بالفضول وقله الحياء، ثم لا تنس أننى لم
أتلو منهم دعوة.
- هو : من أى طريق ينبغي أن نذهب؟
- الجنية : من هناك، أنتما الآن على عتبه أرض الذكريات،

وحالما تدير الماسة ستري سجرة سامقة عليها
 لافتة فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن إياكما أن
 تنسيا العوده في الساعه التاسعة إلا ربعا، هذا
 سىء في غاية الأهمية، فاحرصا قبل كل سىء
 على العوده في الموعد المحدد، وسضيع كل سىء
 هباء إذا تأخرتما، فإلى اللقاء إذن، [تنادى امره
 والكلب وسمه النور إلخ إلخ] أنتم من هنا، والصبيان
 من هناك.

[مخرج من اليمين مع سسمه النور ورمزه الحيوان إلح إلح
 ومخرج الصبيان من اليسار]

[ستار]

المنظر الثالث أرض الذكريات

[صباب كييف، على اليمين في مقدمه المسرح حدع شجره بلوط صحمة، معلق عليها لاهته، الضوء كاللبن المسكوب، عامض عبر شفاف تيلتيل وميتيل عند حدع الشجره]

هو : هذه هي الشجره.
هي : وعليها اللافتة.
هو : عيني لا تستطيع فراءها، انظري، سأصعد فوق هذه الجذور، نعم، هي المفصودة حقاً، فمكتوب عليها «أرض الذكريات».
هي : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا.
هو : نعم، هناك رسم سهم يشير إليها.
هي : ولكن أين جدى وحدتى؟
هو : من خلف الضباب، فلنصبر حتى نرى.
هي : إني لا أرى شيئاً، بل لم أعد أرى يديّ وقدميّ [بلهجة متناكه ساكبه] أحس بالبرد يقرصني، ولا أريد متابعة الرحلة، أريد أن أعود للبيـب.

هو : سدّي حيلك، أهكذا دأبك، البكاء، كما تفعل
صاحبتنا الماء، ألا نخجلن؟ فتاة شابة منلك؟
انظري، ها هو ذا الضباب ينفضع، وسنرى ماذا
كان يخفيه عنا.

[يبدأ الضباب فعلا في التموج، فيرق ويشف، ويتدد ويتشعر،
ويحل محله ضوء يزداد سطوعه شيئاً فشيئاً، يتكشف تحت سقيفه
من الأغصان بيت ريمى صغير ينطق بالبشر، تغطيه نباتات
متسلقه، النوافذ مفتوحة، وكذلك الباب، ويرى بح عريشه
حلايا نحل، وأصص زهر على حافة النوافذ، وفصا به شحور
أسود قد أعفى، ويحاسب الباب دكة يجلس عليها شيخ ووجهه
العوز، كلاهما مستغرق في نوم عميق هما الجدة والجدة]

تيلنيل : [يعرفها فجأة] هذا جدّي، وهذه جدنى.
ميتهل : [تصفق طرناً] نعم، هو جدّي، وهذه جدق.
هو : [ربعض الشك لا يزال يساوره] أحذرى، فلسنا ندرى
هل هما قادران على الحركة فلنختبئ وراء
السجرة.

[تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها وتتمطى وتتهدد، وترمى
الجدة تيل وهو ينفلت من قبضه النوم قليلاً قليلاً]..

الجدة : فلبى يحدتنى أن حفيدينا سيزوراننا اليوم من
عالم الأحياء، لاسك.
الجدة : لاسك أننا خطرنا على بالهما بدليل خفان فلبى
وخدر سافى.

الحده : أظن أن وصولهما قد اقترب لأن دموع الفرح
تترافص أمام عيني.
الجد : كلا كلا، هما لا يزالان على بُعد وإلاً لدبت
الهمّة في بدني.
الجدّة : أؤكد لك أنها أصبحت بالقرب منا، فهي هي فواى
تعود إلى كلها.

سلتل وميتل : [وهما يدفعان نحوهما من رواء الشجرة]
ها نحن قد جئنا، ها نحن قد جئنا، يا جدّى،
يا جدّى. نحن حفيداكما، نحن حفيداكما.
الجد : ها هما قد وصلا. ألم أقل لك؟ كنت واثقاً أنها
سيحضران اليوم.

الحده : تيلتيل، ميتيل حفيداى [تحاول الهوض لنسقيهم في
اللقاء] لا استطيع الجرى فلم يفارفتي الروماتزم.
الجد : [يحاول الجرى وهو يرح] وأنا أيضاً عاجز عن
الجرى على سافى الخسبية، أين هي من سافى
التي انكسرت يوم سقطت من على سجرة
البلوط.

[يشترك الحفيدان والجدان في عناق حار].
الجدّة : شدّ ما قوى عودك ونما ياتيلتيل.
الجد : [وهو يربّ على شعر ميتل] ومينيل، انظري إليها!

برك ما أجمل شعرها، وما أجمل عنائها، ثم
سذى عرفها، ما أطيبه !
الجدّة : هيا نتعاق مرة أخرى، تعالا اجلسا فى حجرى.
وأنا؟ ألم يبي لى نصيب؟
الجد : كلاً كلا، أنا أولاً، كيف حال بابا وماما.
هو : على أحسن حال يا جدنى، كانا نائمين حين
خرجنا.

الجدّة : [وهى ترميها ولا تكف تربي عليها] تالله ما أبهى
جمالكما، وظرفكما ونظافتكما، وجواربكما غير
ممزقة، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها، لماذا
لا نواليان زيارتنا؟ فإن هذا سرنا كسرنا اميد
نسيانكما لنا شهوراً طويلاً، ولم نعد نرى أحداً
منكما.

هو : لم نكن نقدر ما جدنى، وإذا كنا قد جئنا اليوم
فذلك بفضل الجنية.
الجدّة : نحن هنا دائماً نترهب من الأحياء زياره ولو
قصيرة، إنهم لا يحضرون إلا نادراً، فأخر مرة
جئتما فبها.. دعونى أتذكر، متى كانت؟ نعم
كانت فى عيد جميع القديسين حين كانت
أجراس الكنائس تدق أنغامها.

هو : عبد جميع الفديسين؟ إننا لم نخرج ذلك اليوم
بسبب الزكام.

الجدّة : نعم ولكن زارنا فكركما.

هو : نعم، كنا نفكر فيكما.

الجدّة : في كل مره تفكران فبنا سستيقظ وبراكما من
جديد.

هو : كيف؟ أيكفى أن..

الجدّة : بلا رب، أنت تعلم هذا..

هو : كلا، لا أعلم.

الجدّة : [للجدّ] ما أعجب حال أهل الدنيا! إنهم

لا يعرفون هذا! هل عجزوا عن الإدراك..

الجد : كنا ملهم في عهدنا، ما أغبى حديد الأحياء
عن الراحلين.

هو : أكنها نائمون طول الوقت؟

الجد : نعم، نحن نبقى نائمون ننتظر أن يمر ذكرنا ببال

أحد الأحياء فنستيقظ، ما أحلى النوم حين تولى

الحياه ولكن ما أحلى اليفظه أيضا بين الحين
والحين.

هو : فأنت لست بميت حقا، وكذلك جدتي.

الجد : [وهو يفرز] ماذا تقول؟ ماذا يقول؟ ها هو ذا

ينطق بكلمات لم نعد نفهمها، أهي كلمة
مستحدثة أم اختراع جديد.

هو : تعني كلمة «مت» ؟
الجد : نعم هذه الكلمة ما معناها ؟
هو : معناها ننطبق على كل من انتهت حياته.
الجد : ما أغباهم أهل الأرض.
هو : أنتم في راحة هنا ؟
الجد : لا بأس، لا بأس، وحبذا أيضًا لو أتيح لنا
التدخين.

هو : أغر مسموح لك به ؟
الجد : نعم، التدخين مباح ولكني كسرت غلوتي^(١).
الجد : سنكون بخير إذا أكرتنا من زيارتنا، أتذكر
يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيره
تفاح جميلة وكف أفرطت في الأكل منها حتى
مرضت.

هو : لم آكل فطيرة تفاح منذ العام الماضي وليس
لدينا تفاح هذا العام.
الجد : كفى هراء، النفاح موفور هنا.

(١) يعلى هذه المقرة من اسرجه الانجليريه لأنها في الأصل الفرنسى واردة على
صوره لاتنسى مع بقية الحوار.

- هو : الأمر يختلف.
- الجد : كيف يختلف ؟ لا يختلف ما دمنا نتعاقب.
- هو : [وهو ينقل نظره بين الحد والحدّة] سكلك يا جدّى لم يتغير، وكذلك جدّى، بل قد زدتما وسامه وجمالا.
- الجد : لا بأس بحالنا، لم نعد نتقدم فى العمر فنكبر، أما أنتما فما كان أسرع نموكما، إنه نموّ مليح. التفت إلى الباب، عليه علامه هياس طولك آخر مرة، يوم عيد جميع الفديسن، فلننظر الفرق، سد فامتك [تيلتيل يستد إلى الباب ويشد قامته] الفرقه أربعة أصابع، يالها من طفرة هائله، [ميتيل تنبّد قامتها هى الأخرى] وميتيل ؟ أربعة أصابع ونصف أصبع، ما أسرع نموّ النباتات الشيطانيه، عجبى لطولكما، عجبى لطولكما.
- هو : [يتأمل فيما حوله تمتعه واسهار] كل شيء هنا باقى كما كان، كل شيء فى موضعه، وإن ازداد جمالا، هذه هى الساعه وعقريها الكبير الذى كنت كسرب رأسه.
- الجد : وهذا هو قدر الحساء الذى كنت كسرت طرفه.
- هو : وهذا هو الخرم الذى أحدثته بالباب يوم وقع المنقاب فى يدى.
- الجد : نعم، ما كان أكر اتلافك، وهذه هى سجره

البرفوق الى كنت تحب تسلقها حين أغيب..
إنها لا تزال تجود بنمر أحر سهي.
: ولكنه ازداد جمالا. هو

: وهذا هو الشحرور الهرم.. ألا يزال يُغنى. هي

[يستيقظ الشحرور ويطلق في الغناء]

: أرايت؟ أنه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال. الجدة
: [يلحظ بدهشة أن الشحرور لونه أزرق] أن لونه أزرق، هو

أذن هو الطائر الأزرق الذي ينبغي أن آتى
الجنية به، كيف سكتما عن اخباري أنه عندكما.
نعم. نعم. أنه أزرق اللون، يسبه الزرقاء من
الحبات الزجاجية التي تلعب بها، [يستعطف الجد
والجدة] يا جدي، يا جدتي، هل لكما أن تسمحا
باعطائه لي.

: نعم، ربما، ربما، ما رأيك يا ستي؟ الجد

: نعطينه ولا ريب، فما نفعه هنا. لا صنعة له الجدة

إلا النوم، فلا نسمع له شذوًا.

: سأضعه في ففصى، ويى، أين هو قفصى؟ نعم، هو

لقد نسيته خلف الشجرة. [يجرى إليها ويعود بالمقص
ومحس فيه الشحرور] أحقا سمحتما به هدية
لا تسترد؟ ستسر به الجنية. أما عن بسملة النور
فلا تسألني عن فرحتها حين تراه.

المجد : ليكن في علمك أننى لا أضمنه، وأخسى أن
لا يألف من أهل الأرض اضطراب حياتهم
فيركب أول ريح يهب إلينا ويعود، على كل حال
سنرى ماذا يكون من أمره، أما الآن فدعه إلى
حين، وتعال نلقى نظره على خلايا النحل^(١).
هو : [وهو يلحظ خلايا النحل]: وكيف حال النحل.
المجد : لا بأس بحالها، لعل أهل الأرض يقولون عنها
ماتت أيضًا ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط.
هو : [يفترس من الخلايا] نعم، أفى أسم رائحة العسل،
لا ريب أن الخلايا عامرة، فكل الأزهار هنا
جميلة، وشقيقاى اللآلى متن، أهن هنا أيضًا.
هى : وأسفائى الثلاثة الذين واريناهم التراب. أين
هم؟

[ما تكاد تنطق بهذه العباره حتى يقلب من باب الكوخ واحدًا
إثر آخر سبعة من الأولاد محتلفون طولًا، يحمل كل منهم مرمار
(بان) رمز الطيعه بين أرباب الأغريق وهو لا يرسم
إلا بمزمارة].

الجدة : ها هم أمامكم، حالما مرّ ذكرهم ببالكم أو ينطق

(١) تلى نظرة على البقره، هكذا فى الأصل والترجمه الانجليزى، وأطنها غلطه
مطبعيه للتشابه فى الفرنسىة بين كلمه «بقره، وكلمه «خلايا» إذ لم يرد للبقره ذكر فيها
بعد.

باسمهم لسانكما فإنهم يظهران، ما أعز أولادى
جميعاً.

[تيليل وميتيل يجران للقاء أحوتهن ويشيع التراحم والتعاق
والرقص والدوران وهتافات الفرح]

هو : تعال يا بيرو، [يشد كل منها شعر أحيه] سنتعارك كما
كنا نفعل فى الايام الخوالى، وأنت يا روبير، أنعم
صباحاً يا جان، أين نحلثك التى تلعب بها؟
مادلين، بيريت، بولين، هاهى ريكيت.

هى : ريكيت، ريكيت، إنها لا تزال تحبو على اليمين
والقدمين.

الجدة : نعم، لم تكبر.

هو : [يلحظ الكلب الصغير وهو يسح حوله] ها هو كيكى،
كنت قطع ذيله بمقص بولين. أنه لم يتغير أيضاً.

الجدة : [فى لهجة الحكيم] لا سىء يتغير هنا.

هو : ولا يزال على أنف بولين دملها.

الجدة : إنه ضيف نميل، لا يرحل ولا نستطيع طرده..

هو : ما أبدع صحتهم وامتلاء أبدانهم وصفاء بشرتهم
وتورد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعام
وفير.

الجدة : صحتهم بحسب مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من
معاناه الخوف والمرض والقلق.

[تدق الساعة في الكوخ ثمانى دقائق]	
: [في دهسة] ما هذا؟	الجدّة
: لَعمرى لست أدري، لا بدّ أنها الساعة.	الجد
: هذا مستحيل، إنها لم تدق قط من قبل.	الجدّة
: نحن لم نفكر في الساعة، فهل فكر فيها أحد منكم.	الجد
: نعم، أنا، كم الساعة الآن.	هو
: لست أدري وربي، لم نعد نبالي بالوقت، وقياسه، لقد دفت ثمانى مرات، لا بدّ أنها الساعة الثامنة في حساب أهل الأرض.	الجد
: إن بسمه النور تنتظرني في الساعة التاسعة إلا ربعاً، هذا هو أمر الجنية، إنه موعد هام فلا بدّ لي من أن أنصرف.	هو
: أيرضبك أن تتركنا وقد حان موعد العشاء، فلنعدّ المائدة فوراً أمام الباب، من حسن الحظّ أننى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعاً وكذلك فطيره برقوق.	الجدّه
: ولم لا ما دمت قد ظفرت بالطائر الأزرق، تم إن حساء الكرنب لم أذوه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافر مبلّ، أنه طعام لا يقدم في الفنادق.	هو

الجدد : ها هو الحساء، فد تمّ إعداده، هيّا إلى المائدة
يا أولادى، إن كنتم تستعجلون الذهاب
فلا تضيّعوا الوقت.

[أسعروا المصباح وفد حل المساء وحلّس الأحفاد مع الحدين
حول مائدة العشاء وهم يتراجون ويلكر بعضهم بعضاً ويسعّو
صحكم وصيحات فرحهم]

هو : [ياكل سراقة] ما اللّذ من حساء، ياله من حساء
لذيذ، مزيداً منه، مزيداً منه.
الجد : يا للعيب! اهدأ قليلاً، لا زلت كعهدي بك سبئ
الأدب، إنك ستكسر طبعك.

هو : [يهض صف هوى من على معده] أريد المزيد.
[يمسك بالقدر ويسحبها نحوه فيقلبها ويدلق الحساء هوى
المائدة ويتساقط على ركب الأطفال ويحرفها فيصرخون من
الألم]

الجدد : أرايب؟ ألم أحذرك؟
الجد : [وهو يهوى على حد تينليل بصفعة رثاة] هذا جزاؤك..
هو : [يتجادل لحظة ثم يصع يده على خدّه متلذذاً] هكذا كانت
صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى بيننا،
ما أبركها، وما ألدّها، ينبغى أن أقبل اليد اللى
صفعتنى..

الجد : طيّب طيّب، عندي منها المزيد إذا أحبيب.

[تدفى الساعه النصف بعد النامة]

هو : [وهو يتر] الائمة والنصف، [يمدو بالملمعة] هيا، لم

يبقى أماننا إلا الوقت الذي يلزمنا.

الجدة : أبجمل بك هذا، اصبر بضع دقائق، فبيتكم لم

يندلع فيه حريق، نحن لا نراكما إلا نادراً.

هو : كلا، لا أستطيع فإن بسمه النور طيبة القلب،

وقد وعدتها، هيا يا ميتيل، هيا.

الجد : عجبى للأحياء، لا يخرج من يدهم إلا إزعاج

الغير، متعللين بأشغالهم واصطراب أيامهم.

[ياخذ تيلتيل القمص ويدور على الجميع يعانهم معله]

هو : الوداع ما جدى، الوداع يا جدنى، الوداع

يا إخوتى وأخواتى، بيرو، روبير، بولبن، مادلبن،

ريكين وأنت أيضاً يا كيكي، إن مقامنا بينكم

قد آذن بالانتهاء، لا تبك يا جدنى، سأتى

لزيارتكم مراراً.

الجدة : تعال كل يوم ومعك أختك.

هو : نعم، نعم، سنعود ما أمكننا.

الجدة : هذا هو كل ما بقى لنا من أسباب الفرح، ويوم

بمر ذكرنا ببالكما هو عندنا يوم عيد.

الجد : هذه هى تسليتنا الوحيدة.
هو : البدار! البدار! أين القفص؟ أين الطائر؟
الجد : [يعطيه القفص] ها هو ذا، ليكن مفهوماً أننى لست
ضامنه ولا ضامن صدق لونه.

هو : الوداع، الوداع.
الإخوة والأخوات: الوداع يا تيلتيل، الوداع يا ميتيل، لا تنسيا
أن تجيئنا لنا بحلولى، عودا إلينا، عودا إلينا.
[يلوح الجميع لها مما ديلهم على حى يستعد الصبيان سطم
ويحدث أثناء الفقرات الأخيرة من الحوار السابق أن الصاب
الذى شاهدناه فى مطلع المطر يعود فينعد وتحت الأصوات
وتختفى المرتبات كلها إلا تيلتيل وميتيل وهما واقعا والستار بهم
بالرول عند شجرة البلوط الصخرة]

هو : من هنا الطريق يا ميتيل.
هى : أين بسمه النور؟
هو : لست أدرى، [يضر إلى الطائر فى القفص] عجبى! لم
يبقى له لونه الأرقى، أصبح أسود اللون.
هى : خذ بيدي فأنا فى سده الخوف والبرد.

[ستار]

الفصل الثالث

المنظر الرابع: قصر فحمة الليل

[هو فسيح رائع، له فخامة تنطق بالحد والصرامة ووفار الأضرحة، واشتركت مختلف المعادى في إقامته، تخيل لرائته إنه بإراء معبد إغريقى أو فرعونى، أعمدته وعمودها وكذلك زيتته وكساء أرضه من المرمر الأسود، والذهب والأوس، النهو على هيئة مستطيل صلعا الأفعان متواريان والأمامى أطول من الخلفى، وصلعا الحابييان عبر متوازيين، درجات السلم الذى تسلفه تكاد تشغل عرصه كله، وتقسمة إلى ثلاثة مسطحات تؤدي إلى عيانتة، الواحد منها يرتفع عن سائعه قليلاً، من الأعمدة على اليمن واليسار أبواب من البرونز الداكن، وفي وسط النهو من ناحية الخلف باب صخم من النحاس، لا يعم النهو إلا ضوء عامض كأنه مستمد في أغلجه من بريق المرمر والأوس، وبرى عند رفع السار «فحمة الليل» على هيئة امرأة رائحة الجمال ترتدى بوناً أسود طويلاً، حالسه على درج المسطح الثانى، تحف بها طفلان، أحدهما يكاد يكون عارياً شأن كوبيد رسول الحب عند الإغريق أما ثانيهما فواقف حامداً، تعطيه علاله من رأسه إلى أخمصيه، تدحلق الهرة من على اليمن في مقدمه المسرح]

فحمة الليل : من القادم؟

الهرة : [وهى تنهاوى من الإعياء على درج السلم المرمرى] أنا
يا أمى، قد هددنى التعب.

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى، لقد بدا عليك النحوب
والهزال وتلطفخ بالطبن جسدك حتى سواربك

فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزارب
محت البلج والمطر؟

الهرة : ليس الشأن شأن أسطح ومزارب، بل شأن
جلال يهتد السر الذي بيننا. لقد نجحت في
الهرب لحظة لأطير إليك بالخبر، ولكن أخشى
أن يكون الأمر قد خرج من بدنا.

فحمة الليل : ماذا نقولين؟ ما الذي حدث؟
الهرة : سلف لي أن حدثتك عن تبليل ابن الخطاب
وعن الماسة السحرية، إنه سبحضر إليك لطلب
منك الطائر الأزرق.

فحمة الليل : دعبه يجرى وراءه.
الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب إن لم نصنع معجزة،
سأفص عليك ما جرى، إن بسمه النور التي
تقود خطى تبليل وتخوننا جميعاً قد انضمت قلباً
وقالباً إلى صف الإنسان، وقد علمت بسمه النور
أن الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد
الذي يقوى على العيش في ضوء النهار مختبئ هنا
بين أشباهه في اللون من طيور الأحلام التي
تستمدّ غذاءها من ضوء القمر ونموت حالما نرى
الشمس، وبسمه النور على علم بأن اجتياز عتبة
هذا القصر محرّم عليها ولكنها سترسل الصبيين

بدلاً منها، وإذا كنت أنت لا تستطيعين صد
 الإنسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدري
 ما الحال. لأنه إذا حَلَبَ النكبة وفاز الصبان
 بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا إلا أن نختفى.
 فحمة الليل : يا إلهي، يا إلهي، ماذا جرى للعالم في أي زمن
 أصبحنا نعس؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة
 واحدة وعجزت في السنوات الأخيرة عن فهم
 الإنسان. ما غرضه؟ أحتم له أن يعرف كل
 شيء؟ لقد نجح إلى اليوم في أن يهك من
 أسرارى تُلْهِها، فالمخاوف التي أطلقها أصبح
 بدورها خائفة، ولا نجرؤ على الخروج للناس،
 والأسباح التي استخدمها قد هربت وأغلب
 الأمراض التي أنسرها قد أفعدنها العليل.
 الهرة : أعلم هذا يا أمي فحمة الليل. وأعلم أن الزمن
 عصب، إننا نكاد ننفر وحدنا في خوض غمار
 المعركة ضد الإنسان، ولكن ها أنذا أسمع خطو
 الصبيين يقترب، فلا أجد أماناً إلا حلاً واحداً
 ينبغي - لأنها في مرحلة الطفولة - أن نقذف في
 قلوبهما من الرعب ما يسلبهما السجاعة على
 المضى في سبيلهما أو على فتح الباب الكبير في
 نهاية البهو للوصول إلى طيور العمر التي نختفى

وراءه. أما أسرار بمية الكهوف فهي كفيلة بأن
تزيغ بصرها أو تزلزل من الرهبة فليبيها.
فحمه الليل : [وهي تسترئ السمع إلى صحنه في الخارج] ماذا أسمع؟ إن
الفادمين أكبر من اثنين.

الهره : لا نخس شيئاً، إنهم أصدفأونا، الرغيف وفع
السكر، أما الماء فقد أفعدنا المرض والنار
عاجزة عن المجيء لأنها نمت بنسب إلى بسمه
النور أما الكلب فهو وحده الذي ليس من
حلفائنا، وهيئات لنا أن نهرب من ملاحفته.
[تيلتيل وميتيل والرغيف وفع السكر والكلب يدخلون تتهيب
من اليمين عند مقدمه المسرح].

الهره : [تسارع إلى التقدم للماء تيلتيل] من هنا، من هنا،
يا سيدي الصغير، لقد أنبأت فحمه الليل
بمقدمكم وفد سرها كل السرور أن تسنبلكم،
واعذروها إذا هي لم تسارع إلى باب المصير
للحفاوة بكم فإن بها وعكة خفيفة.

هو : طاب صباحك سيدي فحمه الليل.
فحمه الليل : [بصوت محو] طاب صباحي؟ هذا كلام
لا أستسيغه، وكان ينبغي أن يقول «طاب
ليلتك» أو على الأقل «طاب مساؤك».

هو : [وهو خلل من دنده] عفواً سيدي، كنت أجهل هذا

[يُشِرُّ مَأْصَعَهُ إِلَى الطُّفْلِ الْمَلَامِينَ لِحِمَةِ اللَّيْلِ] أَهْمَا
ابْنَاكَ الصَّغِيرَانِ؟ مَا أَلْطَفُهَا.

فَحْمَةُ اللَّيْلِ : نَعَمْ، الْأَوَّلُ هُوَ السَّبَاتُ.

هُوَ : وَلِمَاذَا هُوَ جَدَّ سَمِينٍ؟

فَحْمَةُ اللَّيْلِ : لِأَنَّهُ يَسْبَعُ مِنَ النَّوْمِ.

هُوَ : وَهَذَا الْآخَرُ الْمَتَسَّرُ. لِمَاذَا يَحْجُبُ وَجْهَهُ؟

مَا عَلَنَهُ؟ مَا اسْمُهُ؟

فَحْمَةُ اللَّيْلِ : إِنَّهَا بِنْتُ، هِيَ أُخْتُ السَّبَاتِ وَمِنَ الْخَيْرِ أَنْ
لَا أَذْكَرُ لَكَ اسْمَهَا.

هُوَ : وَلِمَاذَا؟

فَحْمَةُ اللَّيْلِ : لِأَنَّ اسْمَهَا تَنْفَرُ مِنْهُ الْأَدَانُ، دَعْنَا نَتَكَلَّمُ فِي
مَسْأَلَةٍ أُخْرَى، لَقَدْ انْبَأَتْنِي الْهَرَّةُ أَنَّكَ جِئْتَ
تَبْحَثُ عَنِ الطَّائِرِ الْأَزْرَقِ.

هُوَ : نَعَمْ سَيِّدَتِي، فَهَلْ لَكَ إِنْ أَذْنْتُ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ
هُوَ؟

فَحْمَةُ اللَّيْلِ : لَا أَعْرِفُ عَنْهُ سَيِّئًا، يَا صَدِيقِي الْعَزِيزِ، غَايَةَ
مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودًا هُنَا
وَأَنْتَى لَمْ أَرَهُ قَطُّ.

هُوَ : لَا. لَا. لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي بِسَمَةِ النُّورِ أَنَّهُ هُنَا. وَهِيَ
عَلَى مَا تَقُولُ أَمِينَةٌ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَعْطِيَنِي
مِفَاتِيحَكَ.

فحمة الليل : ولكن يا صديقي الصغر أنت تدرك ولا ريب
أننى لا أستطيع أن أسلم مفاتيحي لأول فادم.
فإنى فبمه على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة
عنها. ومحرم على كل التحريم أن أعهد بمفاتيحي
إلى أحد فما بالك إذا كان طفلاً.

هو : ليس لك الحق فى حجزها عن الإنسان إذا
طلبها، إنى على علم بهذا.

فحمه الليل : من الذى قال لك؟

هو : بسمه النور.

فحمة الليل : بسمه النور مرة أخرى، بسمه النور دائماً أبداً،
ما دخلها فى هذا؟

الكلب : أنحب يا مولاي الصغير أن أنزع منها المفاتيح
عنوة؟

هو : الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب [إلى فحمه
الليل] لا داعى للجدل سيّدنى، اعطنى المفاتيح
من فضلك.

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل، أين هى؟

هو : [يلمس فمه فلتسوته] أترين الماسة؟

فحمة الليل : [ود أسقط فى يدها] أمرك، ها هو ذا مفتاح كل
أبواب البهو، ذنبك على جنبك، إذا أصابك سرّ.
فإنى بريئة مما يحدث لك.

الرغيف : [في قلق شديد] أئمه أخطار؟
 فحمة الليل : أخطار؟ غاية القول أنني أنا نفسي لا أدرى
 كيف أسلم حين نسق بعض هذه الأبواب
 البرونزية عن الهوة، وراءها، فهناك حول البهو
 في كل كهف من كهوف البازالت مجمع كل علة
 وكل بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل
 المحن والأرزاء، وكل تدبير خفي يعاني منه
 الحياة. منذ الخليقة وليس إلا ببذل غاية الجهد
 إن استطعت حبسها في مخاضها بعون من
 «القدر»، وأؤكد لك أنني أجد أكبر المسفة في أن
 أفرض شيئاً من النظام على هذه الكائنات
 الهوج المتمردة، فأنت ستري رأي العبن ماذا
 يحدث حين يهرب أحدها وينفلت إلى سطح
 الأرض.

الرغيف : إن بطاول عمري وتجربتي وإخلاصي تؤهلني
 بطبيعة الحال لأن تسند إليّ حمايه هذين الصبيين،
 من أجل هذا، سيّدي فحمة الليل، اسمحي لي
 أن أوجه إليك سؤالاً.

فحمة الليل : هاته.
 الرغيف : إذا حاق بنا خطر فمن أي ناحية نهرب؟
 فحمة الليل : لا وسيله للهرب.

هو : [بأحد المفتاح ويصعد أول الدرج] لنبدأ من هنا، هذا الباب البرونزي ما وراءه؟

فحمه الليل : وراءه الأسباب فما أعتقد لقد مضى زمن طويل منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرة.

هو : [بضع المفتاح في القفل] سأرى [إلى الرغبة] قفص الطائر الأزرق. أين هو؟

الرغبة : [أسنانه تصطك] لا أقول هذا لأنني خائف ولكن ألسنت ترى من الأفضل أن لا نفتح الباب وأن نكتفي باختلاس نظره من نصب القفل؟

هو : لم أطلب مستورتك.
ميثيل : [تندجر بالبكاء فجأة] أنا خائفة. أين قمع السكر؟ أريد أن أعود للبيت.

قمع السكر : [يمتد منها وهو مهموم لها ويمتنع بها] إنني هنا بجانبك يا آنسى، كفكفى دمعك، سأقطع أحد أصابعي وأهبك حلوى نبوت الحفير.
هو : فُضُوها وخلصونا،

[يدير المفتاح في القفل ويجذب الباب بحذر وحالما يفعل تنفلت حمسه أو سته أشباح لكل منها هيئة عجيبة مختلف عن هيئة الآخر، وتنتشر في كل جانب، يُلقي الرغبة من الرعب بالقفص ويختبئ في غيابة البهو وتقوم فحمه الليل بمطارده الأشباح وهي تصرخ في وجه تيلتل].

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا، اغلقوا الباب وإلا خرجوا
جميعاً ولم نستطيع أن نقبض عليهم. إنهم في
محبسهم يعانون الملل منذ ألف الإنسان أن يهزأ
بهم [تطارد الأشباح وتحاول أن تسوقهم إلى باب محبسهم
مستعينة بسوط على شكل أفعى] أعينوني، أعينوني، من
هنا، من هنا.

هو : [إلى الكلب] أعنيها يا تيلو، هيا.

الكلب : [وهو يقفر وينح] نعم. نعم. نعم.

هو : الرغيف، أين هو؟

الرغيف : [من مخبئه في غيابة البهو] إنني هنا، بجانب الباب
حتى أتمكن بقيتهم من الخروج.

[وحيث يتقدم أحد الأشباح إلى ناحيته يراه يهرب منه جرياً وهو
يطلق صيحات مرتعة].

فحمة الليل : [إلى ثلاثة أشباح قبضت على أعناقهم] أما أنتم فعن

هنا، [إلى تيلتل] وارب الباب قليلاً، [تدفع بالأشباح

إلى الكهف] لا خبر من بقائهم هناك، [الكلب يسوق

شبحين آخرين إلى المحبس] هيا ادخلا أنتما أيضاً، أنتم

تعلمون أن لا خروج لكم إلا يوم عيد جميع

القديسين [تقف الباب].

هو : [يذهب إلى باب آخر] وماذا وراء هذا الباب!

فحمة الليل : وما جدوى بحبك؟ لقد فلت لك إن الطائر الأزرق لم يأت هنا قط، ولكن الأمر أمرك، افتحه إن كان هذا يروقك. ستجد من ورائه الأمراض.

هو : [والفتاح في القفل] أينبغي الاحتراس منها حين أفتحه؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك، إنها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة مستخدّية لا تعرف طعم السعادة فإن الإنسان يسنّ عليها منذ زمن غاراته العنيفة وبالأخص منذ أن اكتشف الميكروب، فافتح إذن لترى بنفسك.

[تلتيل يفتح الباب على مصراعيه فلا يرى شيئاً].

هو : أهم لا يخرجون!
فحمة الليل : لقد سلف لي أن أخبرتك، فأغلبها قد أقعدته العلة وقلة الهمة، لأنها لم نجد في قلوب الأطباء أقلّ ذرة من الرحمة، فادخل لحظة فستري بعينك.

هو : [ما يكاد يدخل حتى يخرج] لم أجد الطائر الأزرق، إن الأمراض بادية العلة لم تقو حتى على رفع رؤوسها.

[مرض صعر في مباله من نيات المرل حف وعاءه وطافيه من
القطى محرج وينزع البهو حيثه ودهاناً].

هو : انظروا، هذا مرض صعر فد هرب، مَنْ هو؟
فحمه الليل : انه أصغرهم ولا خطر له، هو الزكام. إنه أهلهم
لقاءً للاضطهاد، وأوفرهم عافيه. [تنادى الركام]
تعال هنا يا ولدى، قد بكرت في الخروج قبل
أوانك، ينبغي لك أن تنتظر حلول الربع.
الزكام : يعطس ويسعل ويمسح أنفه ويعود إلى الكهف
فيغلق تيلتيل بابه.

هو : [ينجه إلى الباب المجاور] لنر حكايته، وما وراء هذا
الباب؟

فحمه الليل : احترس. وراءه الحروب، إنها بلغت اليوم ما لم
تبلغه من قبل من الضراوة والعنفوان، الله وحده
يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منها
ولكنها لحسن الحظ مفرطة البدانة من أتر
التخمة، نقبله الحركة، فلنتساند جميعاً ونستعد
لصد الباب وأنت تواربه لتلقى نظرة عجيلى إلى
ما وراءه.

[تيلتيل يأخذ كل حذره وهو يوارب الباب بحيث لا ينفرح
إلا بأهل قدر يبيع له أن يصوب من خلاله نظره، فما يكاد يفعل
حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد الباب ويصرخ].

هو : أسرعوا أسرعوا أسرعوا، صدّوا الباب في وجوههم، قد رأيتي فأقبلت هاجمة على الباب تريد أن تقتحمه.

فحمة الليل : هيا بنا جميعا نصدّ عليها الباب بقوة، وأنت يا رغيف، ماذا دهاك؟ ماذا تفعل؟ تعال معنا نصدّ الباب جميعاً فما أسدّ قوّنها، ها قد نجحنا، إنها قد استسلمت، جاء نجاحنا في آخر فرصة، [إلى تيلتل] أرايت؟

هو : نعم، ما أشدّ ضخامتها وما أبسّع منظرها، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها.

فحمة الليل : لا ريب أنه ليس عندها، وإلاّ لكانت التهمته على الفور، هل قنعت الآن؟ ألسب ترى أن لا جدوى من بحثك؟

هو : ينبغي أن أرى كل شيء، هذه هي وصية بسمّة النور إلىّ.

فحمة الليل : وصية بسمّة النورا ما أسهل الكلام على مَنْ يخاف ويقع في داره.

هو : فلنمض إلى الباب المجاور. ما خبره؟

فحمة الليل : انني أحبس وراءه أصناف الدياجير والرعب.

هو : هل أستطيع أن أفتح الباب؟

فحمة الليل : كل الاستطاعة، فإنها على شيء من الهدوء، شأن الأمراض.

[تلتلّيل يفتح الباب وتوجس ويحارف نظرة إلى ما وراءه].

هو : لا أرى شيئاً. إنها ليست وراء الباب.
فحمة الليل : [تنظر بدورها إلى الكهف] يا بنات الدياجير، ماذا تفعلن فلتخرجن إذن قليلاً، ففي الخروج متعة لكنّ تفكّ عنكن تجمّد أوصالكن، ويا بنات الرعب، لا تخشين شيئاً.

[تخرج بنات الدياجير وسات الرعب، الجماعة الأولى في ثياب سود، والجماعة الثانية في ثياب يميل لونها إلى الاخضرار، ويتلمس بمذلة خطوة لمن قصيرة خارج الباب فإذا صدرت من تلتلّيل حركة غير متعمدة يسرعن إلى دخول الكهف]

فحمة الليل : ماذا أصابكن، تجلّدن قليلاً، فليس هو إلا صبيّ لا يخرج من يده إيذاؤكن، [إلى تلتلّيل] قد بلغ التهيبّ عندهن ذروته، اللهم إلا كبرياتهن اللآتي تبصرهن في غيابة الكهف.

[تلتلّيل يصوب بصره إلى غيابة الكهف]

هو : ما أبسع منظرهن.
فحمة الليل : إنهن مقيدات بالسلاسل، هن وحدهن اللآتي لا يخفن من الإنسان، أقفل الباب وإلاّ نار غضبهن.

هو : [يتنمل إلى الباب المحاور] هذا باب يخبئ عليه الظلام،
ما خبره؟

فحمة الليل : وراءه أصناف من الأسرار، فإذا لم تعدل عن
إصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن إياك أن
تدخل، وكن أسدّ حذراً، ولنستعد نحن جميعاً
لصدّ الباب عليها كما فعلنا مع الحروب.
[تيلتيل يوارب الباب بحذر شديد ويمد بحوف رأسه من خلال
الفرجة]

هو : وئى، ما أسدّ البروده، إنها تلسع عينيّ، أسرعوا
إلى الباب فاغلقوه، صدّوه لإحباط جهد من
يدفعه، [فحمة الليل والكلب والهره وياى الزمره يصدون
الباب] آه، قد رأيت..

فحمة الليل : ماذا رأيت؟
هو : [وهو مضطرب] لا أدري، إنه سيء مرعب، كن
جميعاً جالسات كالأصنام التى لا عيون لها. مَنْ
كان هذا العملاق الذى أراد إمساكى؟
فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب،
لا ريب أنك رأيت شبيهاً مرعباً فلا زلت
لا يفارئك شحوبك وارتعاشك.
هو : نعم، رأيت شبيهاً لم أكن أتصوره، شيئاً لم

يصادفني فط من قبل، إن يدى فـد جـمـدتـا من
الصقيع.

فحمه الليل : سيحيني بك عما قريب بلاء أسدّ إذا مضيت في
بحبك.

هو : [يتعل إلى الباب المحاور] وهذا الباب.. أمن ورائه
أيضاً سىء مخيف؟

فحمه الليل : كلا، وراءه خليط من أسياء كبيرة، إنى أحتفظ
وراءه بالنجوم الخامدة، وعطورى المفضلة،
وبعض أصناف من الوميض الذى أختص به
وحدى كومض السعالى وميض الدود المنير
واليراعة المضيئة وأضم إليها أيضاً قطر الندى
وأغنيه الليل وما إلى ذلك.

هو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخافية وأغنيه
الليل كما تزعمين، لا ريب أن هذا هو بابها.
فحمة الليل : افتحه إن شئت فليس كمن وراء سر يصيب
أحداً.

[تبتل يفتح الباب على مصراعيه وما يكاد يفعل حتى تغلب
النجوم من المحبس على هيئه فتيات رائعات الجمال، بجللهن
وميض منوع الألوان، وتنتشر فى السهو وتؤلف على الدرج
وحول الأعمدة حلقات دات ظرف وحسن، يغمرهن صوء مثل
صوء الغسق، ثم تبدأ فى رقصة دائرية، وتمتلك أيضاً عطور
فحمه الليل على هيئة أطياب رقت حتى تكاد العين لا تراها،

وبفلت كذلك وميض السعال واليراعة المصينة وقطر الندى
الشفاف وتنضم إلى ساقاتها، على حين تبعث من الكهف أغنية
الليل وتغوب أرحاء قصر فحمة الليل]

ميتيل : [وهي تصفق بابهار] ما أجملهن من فتيات.
هو : ما أبرع رقصهن!
هي : وما أطيب عرفهن!
هو : وما أحلى غناءهن.
هي : ومن هي هذه الأطياف التي تكاد لا تراها.
فحمة الليل : هي عطور ظلالى.
هو : وهاتيك اللاتي يشبهن سبائك النور الصافي، مَنْ
هُنَّ؟

فحمة الليل : إنهن جماعة قطر الندى الذى تألفه الغابات
والسهول ولكن آن للهوهن أن ينقضى،
سيتمادين فيه فلا يفرغن منه أبداً، إنهن إذا
أخذن فى الرقص فلن أفلح إلا بعد مشقة بالغة
فى سوقهن إلى المحبس من جديد [تدعوهن إلى
الانصراف بنق كَفَّ على كَفَّ] هيا هيا أسرعن
يا نجوم ليس هذا أوان الرقص فالسواء قد
حجبتها سحب كثيفة، هيا هيا أسرعن أرجعن
جميعاً، وإلا ذهبت أتصيد شعاعاً من الشمس.
[النجوم والعطور تهرب فى رعب وتهرع إلى الكهف فيقبل
عليها الباب وتنقطع أغنية الليل].

هو : [ينحه إلى الباب الكبر في عياة الهو] هذا هو الباب

الكبر، باب وسط البهو.

فحمة الليل : [جذّ] لا تفتح هذا الباب.

هو : لماذا؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحَرَّم.

هو : إذن فالطائر الأزرق مخبئ وراءه، هذا ما قالت

لى بسمه النور..

فحمة الليل : [تكله حسان الأم] أنصت إلىّ يا بنى، لقد عاملتك

بطيبه وبجاملة، وفعلت لك ما لم أفعله هنا لأحد

من قبلك، كسفت لك عن أسرارى، لأننى أحبك

وأسقى على صباك وبراءتك، وها أنذا أكلمك

كلام أم لوليدها، انصت إلىّ، صدقنى يا بنى، كف

عن بحثك ولا تمض فيه، وإياك أن تتحدى

الفدر فتفتح هذا الباب.

هو : [وقد تزعزع كثيراً] ولكن لماذا؟

فحمة الليل : لأننى لا أحب لك أن نهلك، لا أحد، اسمع

كلامى، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار

شعرة رجع حياً لضوء النهار، فإن كل

ما يتصوره العقل من أصناف المخاوف وكل

أنواع الهلع، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض

من الأهوال البسعة المنكرة لا تعدّ شيئاً مذكوراً

إذا فست حتى بأهون ما يهاجم الإنسان مها
إذا ما لمحت أول نظره له حافه الهاوية الى
لا يجرؤ أحد على تسميتها، ينبغي اتقاء هذا
الباب، حتى أنا، إن بقبت أنت على إصرارك
رغم كل تحذير لن أجسر على التصدى لهذا
الباب ولو يلمسه من طرف أصبعي، فأرجوك أن
تصبر حتى ألوذ ببرج لي منيع ليس به نوافذ،
الأمر الآن بين يديك، وفق عقلك وتفكيرك.

ميتيل : [تفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا يبين في طبها
كلامها ويحاهد في حرّ تيلتيل].

الرجف : [أسنانه تصطك] لا تقدم ياسيدي الصغير [يركم
أمامه] رحمه بنا، إنني أتوسل إليك وأنا راكع
أمامك، أنت ترى أن فحمة الليل على حق.
الهرة : إن حياتنا جميعاً هي التي تضحي بها.

هو : لا مفر من أن أفتح الباب.

ميبيل : [بدها] ينتفض من التنسج لا أريد، لا أريد.

هو : ليأخذ كل من الرجف وقمع السكر أختي ميتيل

من يد للهرب معها فأني عامد إلى فتح الباب.

فحمة الليل : ليهرب من فدر، سارعوا إلى الخروج، فقد آن
الآن.

[يهرب فحمة الليل].

الرغبف : [يهرّب في دعر] انتظر حتى نبليغ على الأقلّ باب
البهو.

الهرة : [يهرّب أيضاً] انتظر، انتظر.
[يحتبثون وراء الأعمده في الطرف الأدنى من البهو ويمعى
تلتيل وحده مع الكلب بحاب الباب الكير].

الكلب : [بلهث ويلحنه الفواق وهو يحاهد في كتم هلهه] أما أنا
فسأبقى، سأبقى، لست بخائف، سأبقى، سأبقى
إلى جانب مولاي الصغر سأبقى، سأبقى.

هو : [يرتب عليه] أحسن، أحسن، تعال يا تيلو
قبلي، ها نحن قد أصبحنا لا نال لنا فلنتجلّد،
وإلا فالويل لنا.

[يضع المفتاح في الفعل فتعث صرجه رعب من الطرف الأدنى
للهو حيث لاد الهاربون، وما يكاد المفتاح يلمس الفعل حتى
يشق الباب الكبر من وسطه وينزل مصراع إلى اليمين
ومصراع إلى اليسار ويختفيان داخل حدار الباب فتتن فحاه
حده مدهشه كأنما أبدعتها أروع الأحلام وجللتها بضياء
الغسق، جاوزت في حاملها حدّ كل تصديق وكل فيد وكل وصف
بالكلام، يحلّ بها خلال الكواكب والحووم سروب من طيور
ررق كأنها الحور تضيء كل شيء تلمسه وهي لا تنفك في
طراها تلم بجوهرة إثر جوهرة وتشفل من شعاع إثر شعاع من
أشعة العمر، وهي يحوم دواماً وفي انسجام حتى تبلغ حدّ الأفق،
أصبح من كثرتها يُطن أنها أنفاس هذه الحديقه المدهشه

وسماؤها الزرقاء، بل يطس أنها هي الحديقة داتها، تيلتيل واهف
يفمره ضوء الحديقة وهو منبهر في دهول].

: ما أبدعها من سماء [يلتفت ناحية الهارين] أسرعوا،
تعالوا، الطيور الزرقى هنا، بعينها وذاتها، لمد فزنا
بها أخيراً، آلاف من الطيور الزرقى، بل ألف
ألف منها، عندنا منها هنا أكبر من مطلبنا بكبير،
تعالى يا ميتيل، تعال يا تيلو، تعالوا جميعاً،
أعينونى [يندفع نحو الطيور] إنها فى متناول اليد.
طبعة لا ترهبتنا، تعالوا من هنا اتسرع إليه ميتيل
يرافقها الآخرون ويدخلون إلى الحديقة المدهشه ولا تتخلف
عهم إلا فحه الليل والهمرة [انظروا، انظروا، ما أوفر
عددها، إنها تنهاوى على أكتافنا، انظروا، إنها
تأكل ضوء القمر، ميتيل، أين أنت اذن، من
كثرة الأجنحة الزرقى وريسها المتساقط
أصبحت لا أتين شيئاً سواها، إياك أن تعضها
يا تيلو، لا تؤذها تناولها برفق.

: [تحف بها الطيور الزرقى] اقتنصت سبعة منها. كم
تصفق أجنحتها، إن يدى لا تفلح فى القبض
عليها.

: وأنا كذلك، فقد أمسكتُ منها بعدد أكثر من ملء
يدى، ها هي قد هربت، ها هي قد عادت، وتيلو

هو

ميتيل

هو

كذلك فد أمسك ببعضها، إنها تجرفنا معها وتكاد
نحملنا إلى السماء، تعالوا نخرج من هنا، إن
بسمه النور تنتظرننا، ما أسد سرورها حين ترى
غنيمتنا، من هنا، من هنا.

[يعادرون الحديقة في لهفه وأيديهم ملأى بطيور ررق تصفق
أحبتها ويحترقون الهو وسط موحة من أحسنه مضطربة
ويخرجون من ناحية اليمن من حيث دخلوا من قبل، وراءهم
الرغيف وجمع السكر ولم يسك أحدها بطائر وتبقى فحة
الليل والهره وحدهما فتصعدان إلى غياية الهو تتأملان الحديقة
بعلق].

فحمة الليل : أتراهم قد فازوا بالطائر الأزرق؟
الهرة : كلا، فإني أراه فوق شعاع من أسعه القمر لم
تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه.

[وهبط الستار فلا تلت أن تدخل سسه النور من اليسار
أمامها في عين الوصف الذى يدخل فيه من اليمن أمام الستار
كل من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون وأيديهم متعلة
بالطيور الزرق ولكنها أصعب حننا هامده، رؤوسها متدللة
وأجبتها. محطمه]

بسمه النور : هل ظفرتم بطائر أزرق؟
هو : نعم، نعم، بفدر ما نوّد، بل بألف منه إن سئنا،
ترحل هي ذى أمامك، هل ترينها؟ [يظفرون إلى
الطيور وهم يمدّون بها إلى سمة النور فيتبنون أنها عارق

الحياه [ماذا جرى، إنها ماتت، ماذا فعلوا بها؟
 طيورك أنت يا ميتيل، أميتة هي أيضاً طيور تيلو
 مبيتة كذلك [يُلقى وهو محنق بجث الطيور] مستحيل
 أن أصدق، يا للبساعة! من الذى قتلها، إننى
 جدّ بعيس. [يحمى رأسه فى إبطه وينتفض بدمه بالنسيج].
 بسمة النور : [يحضنه بحنان الأم] لا تبكى يا بنى، إنك لم تمسك
 بالطائر الأزرق الذى يفوى على العيس فى
 ضوء النهار. لقد أفلت منا، ولكننا سنجده
 ولا ريب.
 الكلب : [يتأمل جثث الطيور] أتصلح للأكل ؟ [مخرجون جميعاً من
 اليسار].

[ستار]

المنظر الخامس

الغابة

[الغابة، والوقت ليل، والقمر مصيء، وأسحار هرمه من أوصاف مختلفة، من أبررها
سجرة سديان، وزان، ودردار، وخور، وصوبر، وسرو، وريرون، وفسطل إلح
إلح..].

[تدخل الهرّة].

الهرّة : [وهي بحني رأسها بالتحية والتوقير أمام كل شجرة] إلى كل
سجرة هنا، نحية وسلامًا.

الأنسجار : [وأوراقها نهمس] تحية لك وسلامًا.

الهرّة : يومنا هذا يوم أغرّ، فإن عدونا سيأتي ليفكّ
عفالكن ويسلم إليكن رقبته، إنه تلتيل ابن
الخطاب الذي طالما نالكن بالأذى، إنه ييحب
عن الطائر الأزرق الذي يخفيه عن الإنسان
منذ بدء الخليقة، والذي يعلم وحده سرّنا، همس
أوراق الشجر] ماذا تقلن؟ آه! إنها سجرة الحور
التي تتكلم، نعم إنه يملك الماسة السحرية التي
تكسف عن سريرتنا، إنه فد يرغمنا على أن

ندفع له بالعصفور الأزرق، ونصبح جميعاً بعدئذ
أسرى في قبضة الإنسان وتحت رحمته، [هس
أوراق الشجر] من تتكلم؟ أنت يا سجرة
السنديان؟ كف حالك؟ [هس أوراق شجرة
السنديان] لا يفارئك الزكام أبداً؟ هل كفّ
الليمون عن علاجك؟ تسكين دائماً من
الرومايزم؟ سببه - صدّيقني - هو هذه
الأعشاب الكثيرة التي تفرطين في لفّ قدميك
بها، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن؟ [هس
أوراق شجرة السندان] ماذا تقولين؟ نعم، لا مجال
للتردد، هذه فرصة متاحة لنا ينبغي أن نغتنيها
لأبدي من القضاء على الصبي [هس أوراق الشجر]
ماذا تقلن؟ نعم، إنه مع أخيه، ينبغي أن نموت
هي أيضاً، [هس أوراق الشجر] نعم، الكلب
يرافقهما أيضاً، هبهات أن نبعد عنها، [هس
أوراق الشجر] ماذا تقلن؟ نقدم إليه رسوة؟ هذا
مستحيل، لقد جرّبنا كل حبله فلم نفلح، [هس
أوراق الشجر] ها أنت يا سجرة الصنوبر
تسكلمين. اعددن أربعة ألواح من الخشب
لأربعة نعوس، فتلتيل ترافقه أيضاً النار وجميع
السكر والماء والرغيف، إنهم جميعاً في صفنا

اللهم إلا الرغيف فهو غير مضمون، بسمه
النور وحدها لها ولاء للإنسان ولكنها لن تأتى
فقد فمت بإقناع تيلتيل وأخته بالتسلل خفية
حين نامت، هذه فرصة فريدة [هس أوراق الشجر]
هأنذا أسمع صوت سجرة الزان، نعم، الحق
معك، نعم، ينبغي إبلاغ الخبر إلى الحيوانات،
هل الأرنب ما يزال يملك طبلته؟ إنه عندكن؟
فليدق على الطبله لينادى جميع الحيوانات،
ها هم أصحابنا قد أتوا.

[يتعد صوت دق الطبله، يدخل تيلتيل وميتيل والكلب]

: أهذا هو المكان؟

تيلتيل

[الهرة تسرع فى اهتمام إلى لقائهما وتفرط فى مطاهر الاحترام
لها والحفاوة بها].

: ها أنت ذا قد أتيت يا سيدي الصغير، ما أجمل
طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء، لقد سبقتك
لأعلن عن مقدمك، كل سىء على ما يُرام،
سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرة، إنى واثقة من
ذلك، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته مناديا أكابر
حيوان هذه المنطقة، إنها متهيبه لا تجسر على
الاقتراب [ضجة أنواع مختلفة من الحيوان من بينها قر

الهرة

وحاموس وحنازير وجياد وحمير إلح إلح. الهرة تنتحي نيتليل
جاننا وتهمس له [ولكن لماذا جئت بالكلب؟ لقد
سلف أن قلت لك إنه على خصام مع الجميع
حتى مع الأسجار، وأخشى أن يفسد كل شيء
برفقته الكئيبة.

هو : لم أستطع التخلص منه [إلى الكلب مهدداً] هل لك

أن تغرب عني أيها اللعين!

الكلب : مَنْ؟ أنا؟ لم؟ ماذا فعلت؟

هو : قلت لك اغرب عن وجهي، أصعب عليك أن

تفهم؟ المسألة بسيطة، لسنا في حاجة إليك،

أنت تضايقنا بإصرارك وقد نفذ صبرنا.

الكلب : سألجم لساني، سأتابعكم من بعيد فلا يراى أحد،

هل أقف لك على ساقى وقفة المستجدي؟

الهرة : [تهمس لنيتليل] هل تصبر على هذا العصيان؟

اضربه بعصاك مراراً على أنفه، إنه حقاً

لا يُطاق.

هو : [يصرب الكلب] هذا درس يعلمك المسارعة إلى

الطاعة.

الكلب : [يصرح من الألم] أئى، أئى، أئى.

هو : ماذا تقول؟

الكلب : ينبغي أن أقبل اليد التي ضربتني، ضرب

الحبيب كأكل الزبيب، [الكل يغالى فى التمسح

بتلليل ويرشقه بقلات حارة].

: رسادك، أحسنت أحسن، وهذا يكفى،

فاغرب الآن عن وجهى.

: كلا كلا، أريده أن يبقى، إني أخاف من كل

شئ فى غيبته.

[ينب الكل إلى مبتل حى يكاد يوقعها ويفص حماسه ولطفه

وهو يرب عليها]

هو

مبتل

: نعم الفتاة الطيبة القلب، ما أجملها! ما أطيبتها،

ما أجملها وأرقها، ينبغى أن أقبلك مرة وأخرى.

: يا له من غرّ مأفون، لنُدع هذا لما بعد،

ولا نضع الوقت، [إلى تيلليل] أدر الماسة.

: أين ينبغى لى أن أقف؟

: تحت هذا الشعاع من القمر، إذ تحته نحسن

الرؤى، نعم هكذا، أدر الماسة برفق.

الكلب

الهرة

هو

الهرة

[تيلليل يدير الماسة فما يكاد يفعل حتى تدب رعشه فى الفصوص

والأوراق وتنشق جذوع الأشجار التى هى أكثر هرمًا وصخامة

لتلفظ سرانرها المكونه وكل سريره تطابق شحرتها فى الطبع

والهيئة، فسريه شجرة الدردار مثلاً على هيئة فزم بمسوح

أكرش لا ينفك يلهث من فرط بدائنه، وسريه شجرة

الريزفون مطمئنة ذات إلف وشاشة، وسريه شجرة الزان

أنيفة خفيفه المحركه، وسريه شجرة التاول بيضاء البشره

متحفظة قلقة، وسريرة شجرة الصفصاف مذكوكة مشعنة الشعر
نواحة، وسريرة شجرة الصنوبر هيباء بمشوقة القائمة ذات تكتم
وصمت، وسريرة شجرة السرو ذات شحن يوحى بجو مأساة،
وسريرة شجر القسطل ذات عرور وحديقة، وسريرة شجرة
الحور ذات مرج وبروات وثرثرة، بعض السرائر تخرج من
جذوع الأشجار متناقلة محمدة الأوصال فتتمطي كأنما تنقلت
من قيد أو كرى طال دهوراً، وبعضها يحرح قفزاً في نشاط
ويقطة وعجلة، وتلزم كل سريرة ما أمكها جوار الشجرة التي
ولدتها]

شجرة الحور : [وهي أول من ينطلق وتصرخ بصوت عال] جاءنا أناس،
جاءنا أناس في سنّ الصبا، سيتاح لنا أخيراً أن
نتكلم، قد انتهى عهد الصمت، انتهى، من أين
أتيا؟ ما شأنهما؟ من هُما [تتقدم شجرة الزيزفون على
مهل وهي تدخن عليوها هدهو] أتعرفينها أنت
يا شجرة الزيزفون؟

شجرة الزيزفون: لا أذكر أنني رأيتها من قبل.
شجرة الحور : كيف؟ رأيتها من قبل ولا ريب فأنت تعرفين
الناس جميعاً فمقامك دائماً بجوار بيوتهم.
شجرة الزيزفون: [تتمحص الصين] أؤكد لك أنني لا أعرفها، فهما
لا يزالان صبيين، إنني لا أعرف إلا العشاق
الذين يأتون لزيارتي في ضوء القمر، السكارى
الذين يسربون الجعة تحت غصوني.

شجرة القسطل : [في أفنة وهي تُحكم في كبرياء مصطبة وصع نظارتها الفرد فوق
عين لها] ما الذي أرى؟ إنها من الفقراء، من
الفلاحين.

شجرة الحور : بعض هذا التعاظم يا ذات الصون والعفاف،
هذا دأبك مذ ترفعت إلا عن سكنى الشوارع
الفسيحة في العواصم.

الصفصاف : [تتقدم وهي نواحة، في قدمها حُفان من خشب] يا إلهي،
يا إلهي، لقد عاد الإنسان مرة أخرى ليقطع
رأسي وأوصالي ويحملها حطباً له.

شجرة الحور : اصمتي، ها هي شجرة السنديان تخرج من
قصرها، إنها عليلة هذه الليلة، ألا ترونها قد
ساخت؟ كم يبلغ عمرها في ظنكن؟ تقول
شجرة الصنوبر عنها إن عمرها أربعة آلاف
سنة، ولكني واثقة أنها تغالي، انتبهن، إن شجرة
السنديان ستفضي لنا بخبرها.

[تتقدم شجرة السنديان هدهو، لا مثيل لهرمها إلا في تهاويل
الأساطير والحرافات، على رأسها تاج النباتات، وعلى بدنها
ثوب طويل أحصر مركزش بالأعشاب، هي عمية، شعرها
الأشعث متهدل حول وجهها، تعتمد يد لها على عصا معقدة،
ويد أخرى على شجرة سديان صغيرة تقود خطاها، الطائر
الأررق حاطط على كتفها، وحين تقترب تصطف بقية الأشجار
وتنحني لها تبيجلاً واحتراماً].

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها [إلى شجرة السديان]

اسرعى، اسرعى، تعالى من هنا، اعطنى الطائر.

الأسجار : اصمت، إنها سجرة السنديان.

شجرة السنديان: [تيلتيل] من أنت؟

هو : أنا تيلتيل يا سبّدى، متى أستطيع أخذ الطائر

الأزرق؟

سجرة السنديان: تيلتيل ابن الخطاب؟

هو : نعم سيّدى.

شجرة السنديان: قد أصابنا على يد أبيك سرّ كبير، فقد صرع

من أسرى ستمائة من أبنائى، وأربعمائة وخمسة

وسبعين من أعمامى وعمّائى، وألفاً ومائتين من

أولادهم، وبلانمائه وبمانين من زوجات أبنائى

وانئى عشر ألفاً من أحفادى.

هو : لا أعرف هذا يا سيّدى، غير أنه لم يصرعهم

عمداً.

شجرة السنديان: ماذا جئت تفعل هنا؟ ولماذا أطلقت سرائر

الأسجار من مكائنها؟

هو : عفوا سيّدى إذا كنت قد أزعجتكن، هى الهره

التي قالت لى أننى سأعرف منكن أبن هو

الطائر الأزرق.

شجرة السنديان: نعم، أعلم هذا، أنت تطلب الطائر الأزرق وهو

السِّرَّ الأعظم للأشياء كافه، وهو سِرُّ السعادة
أيضاً، وبذلك يتاح للإنسان حين يملكه أن يستد
في تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية.
هو : كلاً يا سيدنى، وإنما أطلبه لبس الساحرة
غرباويه فإنها جد مريضة.

سجرة السنديان: [تومئ إليه أمره بالصمت] كفى، مالى لا أسمع
الحيوانات؟ أين هم فإن حكايتك نهمهم كما
تهمنا، وينبغى إذن أن لا يمع على عاتق
الأشجار وحدها اتخاذ القرارات الخطيرة الى
يتطلبها الموقف، فلو علم الناس ما نحن
مقدمات على فعله لانتصموا منا بعسوة، فينبغى
إذن أن تكون خطتنا مرسومة باتفاق الجميع
ليصحَّ تعهد الجميع بكتمان السِّرِّ والتزام
الصمت.

شجرة الصنوبر: [بعد نظرها ومى تملو بقية الأشجار] الحيوانات قادمة
وراء الأرنب، هذه هى سريرة الجواد والنور
والجاموسة والبقرة والذئب والحمل والديك
والعنز والحمار والدب، وكلها ذكرت سجرة
الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريرته نم نجمعت
السرائر وجلست بين الأشجار، اللهم
إلا سريرة العنز فإنها أخذت تتوانب هنا

وهناك وإلا سريرة الخنزير فإنها عمدت إلى
نبش جذور الأشجار.

شجرة السنديان: هل حضر الجميع؟
الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها رافدة على بيضها،
والأرنب البري بأن وراءه مشواراً، والغزالة بألم
في قرنيها، والثعلب بأنه مريض، وأرسل شهادة
بذلك من طبيبه، أما الأوز فلم تفهم، والديك
الرومي انفجر غاضباً.

شجرة السنديان: تخلف هؤلاء يؤسف له لكل الأسف، ولكن عدد
الحاضرين كاف لعقد الاجتماع. يا أخواتي
أنتم تعلمون المسألة. هذا الصبي الذي أمامكم
يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل
طلسم اختلسه من قُدره الأرض وبذلك ينتزع
منا السر الذي حوصنا على إخفائه منذ بدء
الخليقة. ونحن على علم بالإنسان بحيث
لا يخامرنا أقل شك في المصير الذي ينتظرنا،
إذا تملك هذا السر. من أجل ذلك فإن كل تردد
من جانبنا هو في نظري جرم وحقاقة، الساعة
خطيرة، وينبغي القضاء على الصبي قبل فوات
الوقت.

تيلتيل : ماذا تقول؟

- الكلب : [يدور حول سجرة السديان وهو مكشّر عن أبيانه] هل
 ترين أسناني أبتها العجوز الكسيحه ؟
 سجرة الزان : [في حى] إنه يهين سجره السندبان.
 شجرة السنديان: أهذا هو الكلب؟ اطروده، ينبغى لنا أن
 لا نصبر على اندساس خائن بيننا.
 الهره : [همس إلى تيلتل] أبعده ! هذا سوء تفاهم دعه لى
 فأنى سأعالج الأمر، ولكن ينبغى أن تسرع فى
 إقصاء الكلب.
 هو : [إلى الكلب] ألا تنصرف ؟
 الكلب : دعنى أمزّق خفيّ هذه الكسحانه وسنضحك
 مما يحدث لها.
 هو : احترس وانصرف، انصرف يا وفتح يا نفيل
 الدم.
 الكلب : طيّب طيّب، سأنصرف وسأعود حين نحتاج إلى.
 الهره : [همس إلى تيلتل] من الأحوط أن تقيّده وإلا عاد
 لحماقاته، إن الأسجار بغضب وتكون العوافب
 وخبمة.
 هو : ماذا أفعل ؟ لقد أضعت سلسلته.
 الكلب : [وهو يرمح يهدد شجرة السديان] سأعود، سأعود
 يا مقطوعة النفس يا فريسة الربو، تباً لكن
 من أسجار كسيحات فى سن اليأس، إن الهره

هى رأس المؤامرة، سأصفى الحساب معها ذات
يوم، فيم همسك ووسوستك يا خائنة، يا لئمة،
[ينحها].

الهرة : [لئيليل] أرايت كيف يهين الجميع؟
هو : هو حقاً لا يطاق، إنه يسوس علينا فلا نسمع
ما يقال، سبدي اللبلاب، هل لك أن تفدّه؟
اللبلاب : [يتقدم بحدرد إلى الكلب] هل بعض؟
الكلب : [وهو يرمح] على العكس، على العكس، إن
الكلب سيقبلك انتظر فسوف ترى ما بحدرد
لك. افترب. افترب قليلاً أيها الوغد بأحابيلك
العتيفة.

هو : [بهدهه بالعصا] تيلو!
الكلب : [يحتم تحت قدمي تيليل ويهز ذيله] ماذا تريد مني أن
أفعل يا مولاي الصغير؟
هو : ارفد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يفيّدك
والآ..

الكلب : [يرمح واللبلاب يقيده] أوصالك خيوط مزقه
يا حبل المستنفة، يا معودالنور، يا سلسله
الخنزير، انظر يا مولاي الصغير، إنه سلوى
ساقى.

هو : حزاءً وفاً، فهذا ما كنت تطلب، اخساً واهداً،
فأنت لا تطاق.

الكلب . لا أبالي، ولكنك مخطيء، إنهم يضمرون لك
أسوأ النيات فاحترس يا مولاي الصغير،
ها هو يكتم فمى فلن أستطيع الكلام.

اللبلاب : [وعد كور الكلب بعد شدّ وناقه] أين أمضى به ؟ لقد
أحكمت وناقه ولن يفتح فمه.

شجرة السنديان: اربطه باحكام وراء جذعى وسده إلى أضخم
جذورى، وسندبر مصيره فيما بعد.

[يستمن اللبلاب شجره الحور ويحملان الكلب ويصعانه وراء
حذع شجره السديان]

شجرة السنديان: هل فرغنا؟ حسن، الآن وقد تخلصنا من هذا
الساهد المعلق، هذا الخائن، فلتساور
فيما يفضى به الحق والعدل في نظرنا، لا أخفى
عليكم ما أحسن به في أعماقى من احتياج
مُضن، فهذه أول فرصة يتاح لنا فيها أن نحاكم
الإنسان، وأن نسعره بسطوتنا، أظن أن
الإنسان بعد كل الذى ذفناه على يديه من
الشرور ومن المظالم الفادحة لا نخامره أدنى
شكّة في الجزاء الذى يستحقه.

كل الأسجار : نعم، نعم، هو يعلم الآن علم اليقين، إلى المسنعة،

وكل الحيوانات إلى الموت، لطالما ظلمنا، وطالما سدر في غلوائه،
لقد نفذ صبرنا، فلنسحبه ونلتهمه، فوراً، فوراً..

هو : [لله] ماذا جرى لهم؟ إنهم غاضبون.
الهرة : لا ننزعج، إنهم غضاب لأن الربيع قد تأخر
هدومه دع الأمور لي، وسأعالجها جميعاً.

شجرة السنديان: كان حتماً أن يصدر حكمنا باجماع الآراء، وبقي
علينا أن نعرف إذا شئنا تجنب نأر الإنسان
كيف يختار من بين طرائق القتل أحكمها
وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلها دلالة على
التهمة إذا ما عر الناس على جسي الصبيين في
الغابة.

هو : ما هذا كله؟ ما هدفهم؟ لقد بدأت أضيئ ذرعاً
بهم، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر
الأزرق فلتسلمه إلى.

الور : [يتقدم إليه] أيسر طرائق الموت وأحكمها أن
أطعنه بقرني في بطنه، فهل تريدون أن أنطحه؟
شجرة السنديان: من الذي يتكلم؟

الهرة : إنه الور.

البررة : الأفضل لي أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لي
في هذا الموضوع، وإني منصرفه إلى أكل هذا
العشب كله في المراعى التي ترونها في زرقة

العمر، إن ورائي عملاً طويلاً يسغلني.
الجاموسة : وكذلك أنا، وإنى على كل حال أقرّ مقدماً كل
سوء تفعلونه.

شجرة الزان : إني أهدم أعلى فروعى ليسبق عليها.
اللبلاب : وأكون أنا حبل المستنفة.
شجرة الزان : وأمدكم أنا بالواح للنعوس الأربعة الصغيرة.
شجرة السرو : وأهيبُ أنا لهم قبرهم الأبدى.
شجرة الصفصاف : أسهل الطرائق أن نعرفهم في أحد الأنهار
التي أطلّ عليها، دعوهم لى.

شجرة الزيزفون : (وهى مهد للصلح) رسادُكم رسادُكم، أحتّم أن نلجأ
للعنف، إنها لا يزالان في نضارة الصبا، ونحن
نفدر بسهولة أن نغلّ أيديهما عن السرّ بأن
نبقيهم أسرى داخل سياج أتولى أنا بنفسى
إقامته من ضلوعى.

شجرة السنديان : مَنْ الذى تتكلم هكذا ؟ [يدلنى صوبها المعسول أنها
شجرة الريزفون].

شجرة الصنوبر : صدق.
شجرة السنديان : إذن نكبنا كالحَيوان باندساس خائن بيننا، لقد
ظفرنا إلى اليوم بولاء جميع الأشجار اللهم
إلا أشجار الفاكهة وهى على كل حال لا تعدّ
في الحقيقة أشجاراً بمعنى الكلمة.

الخنزير : [يدبر مفلتن صعبتين همتن] أما أنا فأظن أنه ينبغي
أولاً أن نلتهم البنت الصغيرة فلا بد أن لحمها
طري.

تيلتيل : ماذا بفول هذا الأحمق؟ انتظر قليلاً يا...
الهرة : لا أدري ماذا دهاهم، إن مسلّكهم لا يسرّ
بخير.

شجرة السنديان: سكوت! المسألة الآن هي أن نعرف من ينال
شرف توجّه أول طعنة ومن يزيح عن هامتنا
أكبر خطر يتهددنا منذ ولد الإنسان.
شجرة الصنوبر: هذا الشرف حق لك فأنت أمانة وسبّدتنا.
شجرة السنديان: أهذه شجرة الصنوبر التي تتكلم؟ إنني مع
الأسف عجوز طاعنة في السنّ، عمياء عليله،
وأصبحت أوصالي من الخدر تأبى أن تطعني،
كلّا، بل أنتِ يا أختي يا شجرة الصنوبر دائماً
مخضرة، مسنقمة لا تعرف الانحراف، شهدت
عينك مولد أغلب هذه الأشجار، أنت أحقّ
بدلي بمجد نحربرنا جميعاً.

شجرة الصنوبر: شكراً لك يا أمي المبهجة، ولكن ما دمت قد
نلت أنا شرف إعداد قبر لهذين الصغيرين فأني
أخسى إذا وقع اخبارك على أن أنير غبره
زملائي، وأظن إذا منحينا نحن الاثنين عن هذا

السرف فإن الجديرة بعدنا هي سجره الزان،
لأنها تفوقنا عرافة، نم إن ضربتها أسد لأنها
أصلبنا عودًا.

سجرة الزان : لا يغيب عنكم أن السوس قد نخر أوصالى وأن
ضربى لم تعد مُحكمة، أما سجره الدردار
وسجرة السرو فلها سلاح ماضٍ.
سجرة الدردار : ليس أسهى على من نوال هذا السرف ولكنى
أكاد لا أحسن صلب عودى، وقد فرض فأر
هذه الليلة إيهام قدمى.

سجرة السرو : أما أنا فعلى استعداد، ولكنى على غرار أحنى
سجره الصنوبر إذا فاتنى سرف إعداد القبر
فإنى سأحظى على الأقل بميزة الانفراد بذرف
الدموع على هذا القبر وليس من العدل أن
أجمع بين وسامين. واسألا سجره الحور.
سجرة الحور : أنا؟ هل اتجه ذهنكما إلى؟ ولكن خسى طرى
سأن لحم الأطفال، ثم إني لا أدري ماذا دهانى،
إني أرتجف من الحمى، انظروا إلى أورامى، لأبد
أن البرداء أصابتنى اليوم عند الفجر.

سجرة السنديان: [تنفجر عاصه] أنت ترهبين الإنسان حتى هذين
الصبيين الغريرين، وكلاهما مضىع أعزل من
السلاح، إنها ينفخان فى قلبك بهذا الرعب

الحففى الذى طالما طوّفنا بما نحن فيه من دُلّ ورقّ، إني أرفض هذا الكلام، كفى، ما دام الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هي فرصة العمر فسأَمْضِي أنا وحدى، أنا العجوز الكسيحة المربوسة العمياء للاقتصاص من عدوّنا الأزلى. أين هو؟

[تتهادى بحدرد على عصاها وتتقدم نحو تيلتيل].

هو : [يستلّ السكين من حيبه] منى وحدى تريد أن تفص هذه العجوز أمّ الثبوت الضخم.

[تند من بعيه الأشجار صرحه فزع لرؤيه السكين، هي في يد الإنسان سلاح محارون في سره، يثار لا يعاوم، فيتوسط بين الاثنين ويمسكن سحره السنديان].

الأسجار : السكين! احترسى، السكين.
سجرة السنديان: [وهى تدافعهن] اتركنى، فما الجدوى، إن نجوت من السكين فلن أنجو من البلطة، منّ التى نمسك بي؟ أأنتن جميعاً هنا؟ ماذا؟ أهذا اتحاد منكن على نية واحدة. [تذف عصاها] إذن لتكن منسيثكن، والعارُ لنا جميعاً، لن ينقذنا بعد إلا الحيوان.

النور : نعم هو هذا، أنا لها، فينطحه واحدة من فرنى
[تعمد الفرة والحاموسة إلى شدّه من ديله].

- البقرة والجاموسة: لماذا تحسّر نفسك، إياك والحماقة، هذه مسألة
وخيمة العواقب سندفع نحن غرمها، دعها إذن
للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها.
- النور : كلا كلا بل سأنى أنا، اصبرا فتريا، ولكن إذا لم
تمسكا بى فقد تقع نكبة.
- تيلتيل : [إلى ميتيل وقد اسعثت منها صرخة حادة] اختبئى ورائى،
لا خوف وهذه السكين فى يدى.
- الديك : سباجة هذا الصبى يا لها من شجاعة..
هو : هل قرّ قراركم؟ الاقتصاص منى أنا؟
الحمار : أكيد يا بنى، كيف تطلّب فهمك للحقيقة مثل
هذا الوقت الطويل.
- الخنزير : لك أن تصلّى، فافعل، فقد حانت منيتك، ولكن
لا تحجب عنا صبيّتنا الصغيرة، أريد أن أمتع
عينى بالنظر إليها فإنها هى أوّل من سألتهم.
- تيلتيل : وهل أنا أجرمت فى حقكم؟
الشاة : لا سمح الله.. ما الاجرام فى أنك أكلت وليدى
وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة، وعمتى، وأبى
وأُمى، صبرا صبرا، حين يُطرح بك أرضا
سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا.
- الحمار : وأن لى ظلّفا حادّا قوى الشكيمة.
- الحصان : [يمحس الأرض بقوائمه مرهوا] سترى ما سترى،

فل لى، أيهما أحب إليك؟ أن أنهنك بأسناني أم
أبظك بحوافرى [يهدم بخيلاء نحو تيليل فيتصدى له
ويشهر السكن في وجهه فصاب الحصان فحاه بالذعر وولى
الأدبار وينطلق كالسهم] يا للداهية، لىس هذا بعدل،
لبس هذا من أصول اللعب، أن بدافع عن
نفسه..

الديك : [وقد عجز عن كتمايو إعجابه] لا ساك أنه صبي
جسور.

الخنزير : [للذب والذنب] فلنهجم عليهما جميعاً وسأسندكما
من خلف سنطرحهما أرضاً، ونفتسم الصبيّة حين
تقع.

الذنب : سأغلّهما من أمام، على حين أفوم أنا بحركة
التفاف [ويدور حتى يحثي خلف تيليل ويهجم على ظهره
ويكاد يطرحه أرضاً].

هو : يا خائن! [ينفض معتبداً على ركبته واحده ملوفاً بالسكين،
حاميا أخته قدر طاقته وهى تولول من الفزع وحين يشين
للأشجار والحيوان أنه يوشك أن يقع على الأرض تغترب
جميعها منه تحاول كل منها أن تصيبه بصره، نعيم الظلام فجأة،
تيليل يستنجد باضطراب] النجدة النجدة تيلو، تيلو،
تيلو، أين الهرة؟ تيلو، تيلو، تيلو. أسرع إلى
أنت والهرة.

الهرة

: لا أستطيع فقد التوت فدمى.

هو

: [يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده] النجده
النجده، لقد خارت فواى، إنهم أكر منى عددًا،
الدبّ والخنزير والذئب والحمار وسجره
الصنوبر وسجرة الزان.

[بحر تيلو حاله المتقطع بعد أن وثب من وراء حديق شجرة
السديان ويشق طريقه مراحماً الشجر والحيوان حتى يلقى
بمسه أمام تيلتيل ويدافع عنه بصراوه]

الكلب

: [وهو يهسّ يهوه ميمناً ويساراً] لبيك لبيك يا مولاي
الصغير لا تخف، إن فكى جبار، خذ، هذه لك
أما الدب، فى عجيزتك الضخمة، أين من يريد
منكم ميلها؟ وهذه للخنزير وهذه للحصان،
وهذه لذيل الور، غام غام، هأنذا قد مزفت
سروال شجرة الحور وإزار سجرة السنديان
أما شجرة القسطل فقد هربت، أف أف، الدنيا
حرّ..

هو

: [متصمماً] خارت قوى منذ ناولتني سجره
السرو ضربة سديده على نافوخي.

الكلب

: إنها ضربة من سجرة السرو وقد كسرت أيضاً
فدمى.

هو : ها هم يعودون للهجوم، كلهم معاً، فد جاء دور الذئب هذه المرة.

الكلب : انتظر، سترى كيف أعالجه بهجومى عليه.

الذئب : أيها الغبي، بيننا أخوة فأنت من سلاتنا،

أنسيت أن أهله أبوا تربية صغارك فأغرقوها.

الكلب : وحسناً فعلوا فقد كانت تشبهك.

كل الأشجار : أيها العاقّ لجنسك، أيها الخائن والغرّ الأبله،

وكل الحيوانات انفض يدك منه، ألا ترى أن الموت محقق به،

انضم إلينا.

الكلب : [في نشوة من الحُب والإخلاص] كلا كلا، سأقف

وحيداً ضدكم جميعاً كلا كلا، سأظل وفياً لمن

ينتمى لهم مولاي، إنهم أفضل منكم وأجلّ

قدرًا، [لتلليل] احترس، هذا هو الدبّ، خذ بالك

من الثور، سأثب إلى حلفه، أى أى، هذه رفسة

من حافر، لقد هشمّ الحمار سنين من فكى.

هو : هذنى الإعياء، تيلو، أى أى، هذه ضربة من

شجرة الدردار، أنظر إلى يدي يسيل منها الدم،

إنه الذئب أو الخنزير.

الكلب : سلامتك يا مولاي الصغير، دعنى أقبلك، هذه

هى لعقة طيبة من لسانى ستريحك، قف ورائى

ولا تتحول، فلن بجرأ أحد منهم على مهاجمتك..

بل. نعم. نعم سبجراًون، فها هم قد عادوا.

الخطر كبير هذه المرة فلصمد لهم..

: [ينهاوى إلى الأرض] لم تبقى لى قدره على المفاومه.

: أصدقائنا فادمون، تنبئنى بهم أذننى وأنفى.

هو

الكلب

: من أين؟ ومن يكون القادم؟

: من هناك، إنها بسمه النور، لقد اهدت إلى

مكاننا، فد نجونا يا مولائى، يا مليكى الصغر،

قبلنى، نجونا، نجونا، أنظر إلى أعدائنا، إنهم

يتوجسون سرّاً ويتفرقون مرتعبين.

: يا بسمه النور، يا بسمه النور، أهدمى

وأسرعى، لقد يارت ضدنا الأسجار والحيوانات

وتألبت علينا.

هو

[تدخل سمه النور، وكلما تقدمت يتوالى إسرائى الفجر على

القاه حتى يعمها الصياء].

بسمه النور : ما الخبر وماذا جرى، كيف غلبك الضلال

يا مسكن. أدر الماسه فإنها ستعبدكم إلى عالم

الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها.

[يدير تيلتيل الماسه فتهرع كل سريريه إلى جذع شجرها

وتدحله فينطبق عليها ويحفى أيضاً سرائر الحيوان ويرى من

بعيد نوره وشاه ترعيان العشب فى سلام إلخ إلخ وتستعيد

القاه براءها].

- هو : [يتلفت حوله من فرط دهشته] أين هم، ماذا كان قد جرى لهم؟ ف هل كانوا جميعاً قد أصيبوا بالجنون؟
- بسمّة النور : كلا، هذه هى حقيقتهم دائماً، ولكننا لا نعلمها لأننا لا نراها، وقد حذرتك من قبل من خطر إيقاظها فى غيبى.
- هو : على كل حال لولا الكلب، ولولا أن كان عندى سكن.. لم أكن أتصور من قبل أنهم على مل هذه السراسه.
- بسمّة النور : ها أنت ذا ترى أن الإنسان يفف وحيداً ضد الجميع فى هذه الدنيا.
- الكلب : [ليتل] عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير يا مولاي.
- تيلتل : مسألة بسيطة، أما عن ميتيل فقد عجزوا عن لمسها ولكن أنت يا عزيزى تيلو، حدثنى عن نفسك، فد سال الدم على فكك وانكسرت قدمك.
- الكلب : إصابة هيئة لا تستحق الذكر، من غد سلتهم الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حاميه هذه المعركة!
- الهره : [خارجه من غيل وهى تعرج] معركة حاميه ولا ريب،

فقد طعننى العجل بفرنه فى بطنى، لا ترى العين
أر الطعنة ولكنها تؤلمنى، أسد الألم، وسجرة
السنديان كسرت قدمى..

الكلب : أحب أن أعرف أن قدمى هى ؟
مستيل : [ترى على الهره] تيليت يا مسكينة، أحفًا

ما تقولين؟ إذن أين كنت فى لم المحك.
الهره : [مافقه] أميمنى، قد جرححت من فورى حبن

هاجمنى الخنزير القذر الذى أراد التهامك
فناولتنى حبنثذ سجرة السنديان ضربة دوختنى.

الكلب : [وهو يهس بالكلام من بين أسنانه المطبقة] أنت ! فليكن
فى علمك أنه سيكون بينى وبينك حساب، ولن

يفيدك الانتظار شيئًا، فجزأوك لن يتغير.
ميتيل : [للكلب] دعها فى حالها يا لعين.

[ويخرج الجميع].

[س ت ا ر]

الفصل الرابع

المنظر السادس: أمام الستار

[يدخل تيلتل ويسمه النور والكلب والمره والرعف والبار ومع السكر والماء واللبس].

بسمه النور : تلفيف رسالة عاجلة من الجنية غرباويه تخبرني فيها أن الطائر الأزرق موجود هنا في أغلب الاحتمال.

تيلتل : في أى مكان هنا؟
بسمه النور : هنا، في المقبرة التي وراء هذا الجدار، يبدو أن أحد الموتى في هذه المقبرة يخفيه في قبره، يبقى علينا أن نعرف أيهم هو، لذلك ينبغي المرور بالموتى واحداً واحداً.

هو : واحداً واحداً؟ وكيف نفعل؟
بسمه النور : المسألة بسيطة، ننتظر منتصف الليل، ثلاً نفرط في إزعاجهم، ثم تدير أنت الماسة فإذا بهم

مخرجون من الأرض، وأما الذين لا يخرجون
فستظل عليهم في قبورهم.

هو : ألن يحنفهم عملنا هذا؟

بسمه النور : لن يحنفهم، بل لن يبينوا أن خروجهم بإرادتنا،
حفا إنهم لا يحبون أن يفلفهم أحد، ولكن من
عادتهم على كل حال أن يخرجوا في منتصف
الليل فلا إزعاج لهم.

هو : لماذا شحب لون الرغبة وفتح السكر واللبن
ولماذا خرس لسانهم؟

اللبن : [وهو يترج] أحس أننى سأصاب بالخنورة.
بسمه النور : [همس لتيتيل] لا تسغل بالك بهمومهم، فما بهم
إلا الخوف من الموتى.

النار : [تطوف ببطى لاهيه] أما أنا فليست خائفة، فقد
ألفْتُ أن أخرقهم، كنت أحرفهم جميعاً في
الماضى فكانت لى متعة لا أجدها فى أيامنا هذه.

هو : ولماذا يرتجف تيلو؟ هل هو خائف أيضاً؟
الكلب : [وأسانه تصطك] أنا؟ إننى لا أرتعس، أنا
لا أخاف أبداً، ولكن إن تركتم هذا المكان
فسأتركه معكم.

هو : وما للهرة لا تنبس بكلمه.

الكلب : [فى غموض] ليس علمى علمكم.

هو : [لسمة النور] هل ستأتين معنا؟
 سمة النور : كلا، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع
 الأشياء والحيوان، لم يأت وقتي بعد، فربه النور
 غير فادرة للآن أن تنفذ إلى دور الموتى،
 سأتركك وحدك مع ميتيل.

هو : هل يمكن إذن لتيلو أن يبقى معنا؟
 الكلب : نعم، نعم. سأبقى هنا، أحب أن أبقى مع مولاي
 الصغير.

سمة النور : هذا مستحيل، إن أوامر الجنية صريحة، ومع ذلك
 فليس هناك سوء يخشى منه عليكما.
 الكلب : طيب طيب، ما باليد حيلة، إذا وجدتهم أنسرار
 يا مولاي الصغير فما عليك إلا أن تفعل هكذا
 [بصفر] وسترى، سأسعفك كما أسعفك في الغابة
 [يسح وا وا وا].

سمة النور : هيا بنا، وداعا يا صغبري العزيزين، لن أكون
 بعيدة عنكما، [تعاق الصبيان] أن الذين يحبونني
 والذين أحبهم سيجدونني دائما [للأشياء والحيوان]
 أما أنتم فمن هنا.

[مخرج مع الأشياء والحيوان ويبقى الصبيان وحدها وسط
 المسرح فتتفتح الستار على المنظر السابع]

المنظر السابع

المقبرة

[بالليل في نور القمر، مصره ريعيه، فور عديدة، رى محضره، صلبان من الخشب،
كسوه مفار من الرعام إلح إلح].
[ميلتل وميتيل وافعان بالغرب من نصب على هيئه عمود مستقيم].

هى : إلى خائفه.
هو : [ناطمشان مرعزع] أما أنا فلا أخاف أبداً.
هى : هل الموني أسرار؟ فل لى؟
هو : كلا، كيف يكونون أسراراً وهم غير أحياء؟
هى : هل رأيت من قبل واحداً منهم؟
هو : نعم، مرة واحدة، منذ زمن بعيد، أيام أن كنت
صغيراً جداً.
هى : كيف هو؟ فل لى..
هو : شخص كله بياض، هادئ جداً، بارد جداً،
ولا يتكلم.
هى : هل سنراهم؟ قل لى..
هو : ولا ريب، فهذا هو ما وعدتنا به بسمه النور.

- هى : أين مكانهم هؤلاء الموقى ؟
- هو : هنا تحت العسب أو تحت هذه الأحجار النقلة
- هى : أهذا هو مكانهم على مدار العام ؟
- هو : نعم.
- هى : [مسيره إلى الأحجار فوق المغار] أهذه أبواب بيوتهم ؟
- هو : نعم.
- هى : أليكون خروجهم حين برقّ الهواء ؟
- هو : أنهم غير فادرين على الخروج إلا بالليل..
- هى : ولماذا ؟
- هو : لأنهم لا يترندون إلا الفمضا..
- هى : وهل يخرجون أيضاً فى المطر ؟
- هو : إذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم.
- هى : هل بيوتهم جميلة ؟ قل لى..
- هو : يقولون إنها ضيقة جداً.
- هى : هل معهم أولاد صغار ؟
- هو : طبعاً، معهم كل من يموت.
- هى : ما هو غذاؤهم ؟
- هو : إنهم يأكلون جذوع الأشجار.
- هى : وهل سنراهم ؟
- هو : لا ريب، فإن إدارة الماسة سنجعل كل سىء
- بنكشف لعوننا.

- هى : وماذا سيفولون؟
هو : لن يقولوا شيئاً لأنهم لا يتكلمون.
هى : ولماذا لا يتكلمون؟
هو : لأنه ليس لديهم شيء يقال؟
هى : ولماذا ليس لديهم شيء يقال؟
هو : وجعت لى دماغى [فتره صم].
هى : متى ندير الماسه؟
هو : بسمه النور أوصنا بانتظار منتصف الليل. هذه
ساعه لا يزعجهم الخروج فيها إلا قليلاً.
هى : ولماذا يقل انزعاجهم عند الخروج فى هذه
الساعه؟
هو : لأنها ساعه الخروج لتنسم الهواء.
هى : هل حلّ نصف الليل؟
هو : ألا ترين ساعه الكنبسه؟
هى : نعم، بل أرى العقرب الصغير.
هو : إذن برين أنها على وسك أن ندق انتقى عسرة
مرة، ها هى تدق، أسمع؟
[تسمع الدفاب الاثنتا عشره]
هى : أريد أن أعود.
هو : لم نحن العوده بعد، سأدير الماسه.

- هى : كلا كلا، لا تفعل، أريد أن أعود، إننى خائفه
يا أخى. أنى متعبه جدًا.
- هو : ولكن ما من خطر علينا.
- هى : لا أريد أن أرى الموتى، لا أريد أن أراهم.
هو : لك ما تريدن، أفعلى عنيك فلا ترينهم.
- هى : [تنشب شيا به] تلتل، لا أستطيع، مستحيل، إنهم
سيخرجون من تحت الأرض.
- هو : لا ترجفى هكذا، إنهم لن يخرجوا إلا لبرهه
وجيزة.
- هى : ولكنك أنت أيضًا ترجف. هل سيكون منظرهم
مرعبًا؟
- هو : أرف الوقت، فقد أصبحنا فى منتصف الليل.
[يدير تيلنيل الماسه، لحظه مرعبه من الصب والهمود ثم يحدث
سطه ترنح الصلجان واشعاع الأرض فى الربوه المخضره
وارتفاع الحجاره عن العبور].
- هى : [وهى تحتوى بحضن أحبها] إنهم يخرجون، ها هم
أمامنا.
- [حينئذ ينبعث شيئًا فشيئًا من العبور المفتوحه لفيف زهور باثته،
هى أول الأمر رفيفه متهبه، إنها كسحابه من البحار، ثم تتحول
إلى بياض كوساح البكر، ويرداد درجه بعد درجه التفاعها
وعلوها وفيضها وبهاؤها وبحل شيئًا فشيئًا وسلطان لا يعاوم
كل الأشياء فتحيل الممره إلى حديقه ملائكيه توحى بالطهاره،

ثم لا يلبث الفجر أن يرف إليها أول صباه فيتألا بالدي،
تفتح الأسحار والأزهار، ويوسوس السيم من أوراى العصور
يطى الحل، تستيقظ الطيور فتأل سواكير سنوتها أرحاء
الكون أناشيد مريحها بالشمس والحياه، تلتيل وميتيل تملكها
الدهشه والإعجاب، يده بمسك يدها، ويعلان الخطى من الزهور
بحناً عن آثار القور

: [هى تبج فى العشب] أين هم هؤلاء المونى؟
: [يبح سلها] ليس هناك مونى.

هى
هو

[ستار]

المنظر الثامن

أمام ستار يمثّل سحبا جميلة

[يدخل بيليل وميتيل وسمه النور والكلب والهرة والرغيف والبار وشمع السكر
والماء واللس]

سمه النور : في اعتفادي أن يدنا ستقع هذه المرة على الطائر
الأزرق وكان ينبغي أن أدرك هذا منذ أول
مرحلة في رحلتنا ولكن لم يحدث إلا في هذا
الصباح حين جدد الفجر فواى أن أسرق هذا
الإدراك على ذهني إسرائف سماع من السماء،
نحن الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث
يجتمع في حراسه القدر كل ما يعرفه الإنسان
من شخوص البهجة والهناء.

بيليتيل : وهل هناك كبر منهم، أكون لنا منهم نصب
أبنهم صغار مثلنا أيضاً؟

سمه النور : فهم الكبير والصغير، والجلف والرفيق، فهم
من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل

لطفاً، أما أسوأهم طبعاً ففد سبى طردهم من هذا الفردوس فوحدوا ملجأ لهم في ديار سخوص البؤس إذ ينبغي أن لا يغيب عنكم أن سخوص البؤس يقيمون في مسكن مجاور نافذ على فردوس الهناء، لا يفصل بينهما إلا حاجز كأنه البخار أو كأنه ستار خفيف نزاح كلما هبت عليه رياح من علماء العدالة أو من قاع الأبد، يحسن بنا أن نعمل بنظام وأن نتخذ بعض تدابير الحبيطة، فسخوص الهناء هم في العادة خرون إلا أن منهم من هو أسد من سخوص البؤس خطراً وحداعاً.

الرجف : عندى فكرة، ما دام سخوص الهناء لهم مل هذا الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن نبقى جميعاً عند الباب حتى نحمل الصبى بسواعدنا إذا اضطرا للفرار بعد دخولهما؟

الكلب : كلا كلا، أريد أن أكون مع مولاى ومولاى أينما بذهبان فليبنى بالباب كل من برنجف قلبه من العرب، فليس لنا حاجة إليه [نظر إلى الرعى] ولا إلى الجبناء [نظر إلى اله] ولا إلى الخائنين. : أما أنا فذاهبة معهما، يقال إن فى غبان هذا النار

الفردوس متعه كبيره وأن أهله لا ينمطعون عن
الرفص.

الرجيف : وعن الأكل أيضا ؟
الماء : [تتهد] لم يدخل حياقي قط هناء ولو صغير وأود
أن أعرفه اليوم.
بسمه النور : اعفدوا ألسنتكم، لم يسألکم أحد رأيکم، إليکم
قرارى، الكلب، والرجيف وفتح السكر
يصحبون الصبيين، والماء لا تدخل لأنها سديده
البرودة، ولا النار لأنها مفرطه فى الاضطراب،
وأناسد، اللبن أن يلزم الباب لأنه سريع التأثر،
أما الهرة فهي حرّة.
الكلب : إنها خائفة.

الهره : إذن سأصرف فأسلم فى طريقى على بعض
شخوص البؤس فيبنى وبينهم صداقة فديده، فهم
يسكنون بجوار سخوص الهناء.
هو : وأنت يا بسمة النور، ألا تأتين معنا ؟
بسمه النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على سخوص
الهناء فإن أكرهم لا يحتملوننى، ولكن لدى
الوساح الغليظ الذى أغطي به إذا زرت
السعداء، [تعد وشاحاً كبيراً تلفه حولها باحكام] ينبغى

أن لا يزعجهم سماع من نوري، إذ أن من
شخص الهناء من يعيس في وجل محروماً من
السعادة أما إذا دخل هكذا فلن يخشاني أحد
حتى أقلهم جمالا وأقلهم لطفاً.

[يفتح الستار على المظر التاسع]

المنظر التاسع

فردوس الحياة الدنيا

[يفتح الستار عن ردهه مقامه في مدخل الفردوس برسمها أعمده عاليه من المرمر، تتدلى بينها أستار من المحمل الثقيل الأرحواقي، تعدها حبال ذهبيه، بحس بحس عيانه المنظر، طرار الساء يوحى بذروه ما بلعه يوما عصر الفضة في الندهه والأراضى الواطئه من استعراى في الملدات الحسيه والترف كما تسهد به لوحات الرسام فيروبيرى وروبان، أكائل ومائم وحدائل وزهرنات ومائل ورده ذهبيه مسوره سخاء، في وسط الردهه مائده بقيله فحمة من ححر الشب المحرف بالنسيفساء، تردحم عليها سمعدانات وأكواب من البللور وآنيه من الذهب والفضه، بمص بأطعمه فاحره، مجلس حول المائده سخوص الترف في الأرض وهم يأكلون وسربون وسدفعون في الاهتاف والعناء، فيهم المريح وهو وسان، وفيهم المسعروى في النوم، ومن أكداس من لحم الوعل وفاكهه مهوله اعطب الأباريق والأكواب على المائده، كل واحد منهم مفرط في البدانه، محتق الوجه، في ملاس من القطفه، على الرأس تاح بحلى بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكرمه، فان فائبات لا تفك عن السعى بأطباى مزينه وسراب مسعسع، وموسيقى تنم عن دوى فح ماجن بح الصخب بعلب فيها عرف الآلات الحاسيه، المسرح عارى في صوء أحر ميل

تلتل وميبل والرعيث وقمع السكر بعلهم سىء من الدهسه والانهار أول الأمر بم سحلقون على الثمن في مقدمه المسرح حول سسمه النور، وبضى الهره دون أن بسس بكلمه إلى عيانه المسرح، من الباحه اليمنى أيضاً - وترفع ساره قائمه اللون وبخفى]

هو : من هم هؤلاء الساده الضخام الذين يلهون ويلهمون كل هذه الأطمعه السهيه؟

بسمة النور : إنهم سخوص الريف في الأرض، ممن تراهم
العيون، ومن الجائز - وإن كان الاحتمال
ضئيلاً - أن يكون الطائر الأزرق قد سرد
فتريب عندهم قليلاً، لذلك لا تتعجل إداره
الماسه، وعلينا الآن دفعاً لوهم الفصير أن
نستكشف هذا الجانب من الردهه.

هو : وهل نستطيع الاقتراب منهم؟
بسمه النور : نعم ولا ريب، فهم غير أسرار وإن كان فيهم
من هو جلف، ومن هو سيء الأدب.
هى : عندهم فطائر لذيدة.

الكلب : ولحم صد طري ومفد، وأزناد خراف وأكباد
عجول، هذا أطيب طعام في الدنيا، لا يفضل
طعام آخر، فلا سيء يفضل أو يمايل كبد
العجل.

الرغبف : إلا الخبز المصنوع من خالص دقيق القمح،
عندهم أوفر صنف منه ما أجمل أرغفتهم!
ما أجمل أرغفتهم، انها أضخم منى.

قمع السكر : عفواً عفواً ومائه مرة عفواً! اسمحوا لى،
اسمحوا.. لا أريد أن أخرج شعور أحد ولكن
أنسيتم أن الحلوى هى مجد هذه المائدة فلها من
الرواء البديع ما يفوق - إن جاز لى هذا

التعبير- كل شيء لا في هذه الردهة وحدها
بل ربما في أى مكان آخر.

هو : يا لسمه الرضى والسعادة البادية عليكم،
لا يكفّ لهم هتاف وصحك وغناء، أظن أنهم قد
رأونا.

[ويغوم فعلاً من المائدة نمر من شخوص الترف ويحطون
بصعوبه مسدين أكراسهم بالأكف، ويتقدمون نحو تيلتل
وصحته].

بسمه النور: : [لتيلتل] لا نخس شيئاً، انهم أهل حفاوة وكرم
ضيافة وأظن أنهم سببدعونك للعشاء معهم فلا
تقبل دعوه ولا طعاماً، لئلا تنسى مهمتك.
هو : ماذا؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة؟ إن
فطائرهم تبدو نهية طازجة مُسكره، محسوة
بالفاكهة، عامره بالقسده.

بسمه النور : إن عواقبها وخيمة فهي ستحطم إرادتك
وينبغى أن تعرف كيف تضحي ببعض الأشياء
في سبيل أداء الواجب. فافرض بأدب، ولكن
بحزم، ها هم فادمون.

[زعيم الترف مد يديه إلى تيلتل]

زعيم الترف : مرحباً بك يا تيلتل، أهلاً وسهلاً.
هو : [ددهسه] أتعرفني إذن؟ مَنْ أنت؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف، أنا النراء، إننى فادم نيا به عن
أخوتى، أدعوك أنت وصحبك لتسرف مآدبتنا
التي لا انقضاء لها، وستجد نفسك بين من هم
أفضل وأصدق شخوص الترف فى هذه
الأرض، واسمح لى أن أقدم لك أهمهم، هذا هو
صهرى ترف الحيازة والتملك، ويطنه على هيئة
الكمثرى، وهذا هو ترف الغرور والاكتفاء
بالنفس، إنه يزهو بأوداجه المنتفخه، وهذا هو
ترف الشرب حين لا عطس، وهذا هو ترف
الأكل حين لا جوع وهما توأمان وأقدامهما من
عيدان المكرونة، [يعومان بتحية تيلنيل وهما يترحان]
وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم، وهو
أصم كالصخر، وهذا هو ترف الاستغناء عن
كل فهم، وهو أعمى كجرذ الجحور، وهذا هو
ترف الترفع عن كل عمل، وهذا هو ترف
الاسترسال فى النوم بعد الشبع منه، ولهما أيد
من لباب الخبز وعيون من مربى الخوخ، وهذا
ترف الضحك الغليظ، إن فمه مسقوق حتى
الأذنين، ولا أحد يفاوم عدواه.

[يعوم بتحيه تيلنيل وبده يرتج ويتلوى من الضحك]
: [يشير إلى ترف آخر منتح حاساً] ومن هذا الذى

هو

لا يجرأ على التقدم ويدبر لنا ظهره ؟
 زعيم الترف : لا بلح في السؤال، انه في خجل، إذ لا يلبى
 تقدمه للصغار [عسك يد تيلتل] ولكن تعال إذن،
 سنبدأ المأدبة من جديد، لقد تكررت عشرين
 مرة منذ الفجر، ولسنا في انتظار أحد غيرك،
 هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوتك،
 لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعاً فهم عديدون،
 [تمح ذراعه لليسن] اسمح لي أن أفودكها إلى
 مقعدى السرف.

هو : سكرأ سدى زعيم الرف، يؤسفنى أسد
 الأسف أننى غير قادر فى هذه اللحظة أن ألبى
 دعوتكم، إننا فى عجلة، فنحن نبح عن
 الطائر الأزرق. فلعلك تعرف صدفة أين هو ؟
 زعيم الرف : الطائر الأزرق ؟ انتظر إذن، نعم. نعم. أذكر
 الآن، لقد سمعتُ عنه من قبل، إنه فيها أظن
 طائر لا يؤكل، على كل حال إنه لم يمل فوق
 مائدتنا، ولكن لا نجهد نفسك، فلدينا أساء
 أخرى أفضل منه، فنعال لتساركنا حياتنا
 وتسهد كل ما نفعل.

هو : وماذا نفعلون ؟
 زعيم الرف : كل فعالنا أن لا نفعل شيئاً، فنحن لا نرتاح

ولو دقيقة، إذ ينبغي أن نأكل وأن نسرب وأن
ننام، وكل هذا يستنفد وقتنا كله.

هو : وهل في ذلك متعة؟

زعم الرف : من كل بُدٍّ، فلس في الأرض متعة سواها.

بسمه النور : أهذا هو اعتقادك؟

زعم الترف : [همس إلى تينيل مشيراً إلى سمة النور] مَنْ يكون هذه

السابة السيئة الأدب؟

[وأساء الحوار السابق محتجاً بحوض ماويه من الترف
بالكلب وضع السكر والرغيف ويقودهم إلى المائدة الصاحبه
وفحاه بلحظ تلتيل صحبه وقد جلسوا على المائدة في إحاء مع
بعيه الصوف، يأكلون ويشربون ويتربحون]

هو : [لسمه النور] أنظري! إنهم على المائدة.

سمة النور : نادهم وإلا كانت العاقبة وخيمة

هو : تلوا تيلوا تعال هنا، تعال هنا حالاً، سامع؟

وأنت يا قمع السكر، وأنت يا رغيف من سمح

لكما بالابتعاد عني، ماذا تفعلان هناك بغر إذن

مني.

الرغيف : [وفيه عحشوا] ألا سسطع منادانا بلهجه أكر

أدباً.

هو : يا للعجب! منذ مني نعلّمت هذه الجرأة على؟

ماذا دهاك! وأنت يا نيلو. أهذه هي الطاعه

عندك؟ هيا، تعال هنا، اركع اركع وأسرع
مما تفعل.

الكلب : [بصوت واطى ومن طرف المائدة] أنا حين آكل
لا أجيب أحداً ولا أسمع شيئاً.

قمع السكر : [بلهجة معسولة] اعذرنا، إننا لا نستطيع أن نخذل
أصحاب بيت لهم مثل هذا الظرف.

زعيم الترف : حلمك حلمك، إنهم بضربون لك المبل،
فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار،
سنرغمك بلطف على الجلوس، هيا يا سخوص
الترف، ساعدوني، ادفعوه دفعاً إلى المائدة حتى
ينعم بالسعادة رغم أنفه.

[تتقدم سخوص الترف وهي تترجح وتتماسك قدر جهدها
وهلل في فرح ويحذب الصيبن وهما يهاومان، بينما يلف ترف
الصحك الغليظ ذراعه على حصر سسمه النور]

بسمه النور : [إلى تيلتيل] أدر الماسة فقد آن الأوان.

[تيلتيل يستحيب لها، ما يكاد يدير الماسة حتى يعمر المنظر
ضياء لا وصف ولا حد لنفائته، كأنما تعكس عليه الملائكة لون
أجنحتها الوردية، صاف رفراق، تنفك وتختفى عن مقدمه المنظر
رحارفه التعليلة وأستاره الصنيفة الأروحانية، فتكشف عن
حديثه ناعمه كأنها من عالم الجرافة، سودها دعه وسكينه، هي
أشبه شيء بصرح أقامته مملكة الباب، ترتاح العين لانسجام
خطوطه وأبعاده، إياها حديثه ثرية بأغصان فتيه تترقق عليها
الصياء، ملتفه ومتشاككه بلا فوضى، الزهور سكرى نطهارها.

ومياه صافيه تنطق بالحدل وهي تصب وتسيل وتصلطق في
حداول حاربه، كأنما بمد رحاب الهاء إلى حدود الأفق، تهد-
مائده العريده ولا يلقى لها أثر، ستائر المحمل والحرير وتيجان
سحوص الترف ما تكاد تتلمى أوائل أنفاس هذا الصياء
المشعشع الذي يعمر المطر حتى ترتفع وتترقى وتنهاوى،
وكذلك الأفنعة الصاحكة الملقاة تحت أقدام الصيوف وقد
عزتهم الدهشة، ويسقط افتتاح سحوص الترف تبعاً على
مرأى العين انشغاط مئانه انمحرب، يتبادلون البطراب
وأجفانهم تطرف من أثر هذا الصياء المجهول الذي تعسّى له
أبصارهم، وحيثما تتحلى لهم حقيقتهم ويرون أنفسهم سحوصاً
ديممه، رحيه، رزية تبعب منهم صيحات الحجل والرحل، تشين
الأذن بوصوح من بينها صيحه ترف الصحك العليظ بسب
علوها على صيحات الآخرين، وتrof الاستعواء عن كل فهم
يظل ساكناً كل السكون، على حين يصطرب رملؤه وقد
أحسوا بالضياع، يتلمسون وسائل الهرب بالاحتفاء في الأركان
للتسبر بعتمتها فيما يأملون، ولكن ساء الحديفة الرائعه لم يترك
بها أثراً لظل، فيعمد بعضهم في يأسهم من النجاه إلى افتتاح
بذير الستاره المائلة في ركن على اليمين، المنعقدة فوقها سفيمه
باب كهف سخوص النؤس، وكلما هم كل واحد منهم في رعيه
بإزاحة الستاره قليلاً سمعت من أغوار الكهل سيل من الساب
واللغات والشنائم، أما الكلب والرعيه وقمع السكر فقد
مخاذلوا وتدلب آدانهم وانضموا إلى صحنه الصبيين واختشوا في
خجل وراءهما].

تلتيل : [وهو يرقب فرار سخوص الترف] ما أبسع دما متهم.

إلى أين فرارهم؟

بسمه النور : جُن جنونهم ولا ريب، أنهم يلجئون إلى

سُخُوصُ الْبُؤْسِ وَأَخْسَى أَنْ يَحْتَجِزُوهُمْ عَنْهُمْ
إِلَى الْأَبَدِ.

هو : [يلتفت حوله مسحوراً بما يرى] ما أجملها من حديقة،

ما أجملها من حديقة، ولكن أين نحن؟
بِسْمَةِ النُّورِ : لم يتبدل مكاننا، إنما التبدل في نظرة العيون،
نحن الآن نشهد حقيقته الأسبَاء، سرى
سُخُوصُ الْهِنَاءِ الَّتِي تَحْتَمِلُ سِنَاءَ الْمَاسَةِ.

هو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء، بجبل
إِلَى أَنَّا فِي اعْتِدَالِ الرَّبْعِ، مَا الَّذِي أَرَى؟ مِنْ
الْقَادِمُونَ عَلَيْنَا مِنْ هُنَاكَ، لَعَلَّهُمْ سَيَعْنُونَ
بِأَمْرِنَا.

[وتبدأ الحديقة فعلاً بالانحلال من حول ملائكتيه كأنما انقلب
من سبات طويل ويحذر باسحاح خلال الأشجار، عليها
ملابس يشع منها ص، له أطياف تريح العين لتتناسفها
وبهائنها، تمتلح الرهد في الحديقة، ويعبر بفر الحداويل، ويسرى
سواء بحر وليد، وتتلأأ الندى].

بِسْمَةِ النُّورِ : ها هي ذى فؤده من سُخُوصِ الْهِنَاءِ قَادِمَةٌ إِلَيْنَا،
بَدَفْعِهِمْ حَ، السُّطْلَعِ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ ظَرْفِ
وَسَمَاحَةِ، سَنَعْلَمُ مِنْهُمْ الْخَبَرَ.

هو : وهل تعرفبتهم؟
بِسْمَةِ النُّورِ . نعم، أعرفهم جميعاً فإنني ألم بهم مراراً دون أن
بدرکوا من أنا.

هو : ما أكرههم، ما أكرههم، إنهم فادمون من كل صوب.

بسمه النور : كانوا أكر عدداً من قبل، فقد أضر بهم شخوص الترف.

هو : لا ضير عليهم فقد بقي منهم عدد لس بالليل.

بسمه النور : وسترى كسراً غيرهم كلما طاف صياء الماسه

بالحديثه، فإن شخوص الهناء في الأرض أكر

مما نطن، ولكن أغلب الناس لا ينتبه إليهم.

هو : ها هم صغارهم يتقدمون إلنا، فلنجر للفائهم.

بسمه النور : لا تتعب نفسك، فكل من يعنينا أمره سيمر من

هنا ولا ينسح وقتنا لمعرفة الآخرين.

[صغار شخوص الهاء تونب وتتضاحك بلاء الأفواه، تقدم من

مؤخره الحديقه وترقص متحلفه حول الصيين].

هو : ما أوسمهم، ما أوسمهم، من أين أتوا؟ ومن هم؟

بسمه النور : إنهم شخوص هناء الأطفال.

هو : هل لى أن أكلهم؟

بسمه النور : لا داعى للكلام فهم لا يعرفون إلا الغناء

والرقص والضحك، أما الكلام فلم يتعلموه

بعد.

هو : أهلاً أهلاً [إلى بسمه النور] انظري إلى هذا الطفل

السمن الضاحك ما أجل خدودهم وما أبهى

ملايسهم. أكلهم أرياء؟

بسمه النور : كلاً، هنا كما في كل مكان يزيد الفراء على الأغنياء.

هو : وأين الفراء بهم؟

بسمه النور : لا تتبينهم العين لأن هناء الأطفال ملفوف في أجل كساء في الأرض أو في السماء.

هو : [وهو لا يستقر في مكانه] أريد أن أرفض معهم.

بسمه النور : هذا مستحيل، فليس لدينا وق، أنى أرى أن

الطائر الأزرق ليس عندهم، وهم فوق ذلك في

عجلة، فأنت تراهم قد أخذوا في الانصراف.

وهم أيضاً وقتهم قليل فلا يُضبعونه هدرًا، فأمد

الطفولة قصير.

[سهرع إلى الحديفة فثمة من شخوص الهناء أطول من السامين،

يتعالى غناؤهم وهم يهتفون: ها هم قد أتوا، ها هم قد أتوا، اسمح

يروننا، ثم يرفضون مرح حول الصبيين وعند نهاية الرفصه

يتقدم من هو في الظن زعيم هذه الفئة الصغيرة نحو تيلتيل وبعد

له يده]

الهناء : أهلاً بك يا تيلتيل.

هو : مرة أخرى أجد من يعرفني، [إلى بسمه النور] قد

بدأت أن أكون معروفًا لدى الجميع هنا، [إلى

الهناء] مَنْ أنت؟

الهناء : أنت لا تعرفني؟ أراهنك أنك لا تعرف أحدًا منا هنا.

هو : [بلا حرج] فعلاً، لا أعرف أحدًا، فلا أذكر أنني رأيتك من قبل.

الهناء : [لزملائه] أسمعون؟ كنت وانفأ أنه سيقول أنه لم يرنا، [تنفجر نفية شحوص الهناء بالضحك] ولكن يا عزيزي تيلتيل، أنت لا تعرف أحدًا غبرنا، نحن دائماً من حولك، في صحبتك، نأكل ونشرب ونصحو ونتنفس ونعيس.

هو : نعم. نعم أنت على حق، أدرك الآن صدق ما تفعله، فيأني تذكرت ولكني أود أن تنبؤني بأسمائكم.

الهناء : رأيت أنك لا تدرك شيئاً، أنا هناء بيت الأسرة، بيتك، وزعيم كل هناء آخر يسكنه.

هو : أفي البيت أشكال أخرى من الهناء؟

[يفج شحوص الهناء بالضحك]

الهناء : هل سمعتم؟ يسأل أفي البيت هناء آخر، البيت

يا بنى مكتظ بأسكال من الهناء حتى تكاد

تفيض من سدود أبوابه ونوافذه، ونحن نزحه

بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران

تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير، ولكن

مهما بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا برانا. أرجو
 أن ترجع عقلك لرأسك قليلاً من فادم، وإلى أن
 يحدث لك هذا تعال صافح أعاننا حتى إذا
 رجعت لبيتك سهل عليك تبينهم ثم يعرف في
 نهاية يوم سعيد كيف تسجعهم بابتسامه منك
 وتسكرهم بكلمه طيبة، لأنهم يبذلون كل
 جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خفسه
 الحمل، دعني أهدم لك نفسي أولاً، خادمك
 المطيع: هناء الممتع بالصحه والعافيه، ولعل
 جمالى لا يفوق جمالهم بريقاً، ولكنى أهيمهم،
 أتعرفنى الآن؟ وها هو هناء التمتع بالهواء
 الطلق، إنه يكاد يكون سفاقاً، وها هو هناء تمتع
 الولد بحبه لأبويه، ينمّ لون نوبه الرمادى عن
 حنمته ولا يسلم من حزن طفيف لأن العيون
 فلما تأبه به، وهذا هو هناء التمتع بالسما
 الزرفاء، نوب أزرق بطبيعته الحال، وهذا هو
 هناء التمتع بالغابه، ونوبه أخضر بطبيعته الحال
 أيضاً، ستراهم جمعاً إذا جلست إلى النافذه،
 وهذا هو هناء التمتع بإسراق الشمس، له لون
 الماس، وهذا هو هناء التمتع بالربيع، إنه فى
 لون الزمرد وبه طيس.

هو

الهناء

: هل لكم هذا الجمال كل يوم؟
 : أى نعم، فكل الأيام يوم عيد في كل البيوت،
 إذا عرف أهلها كيف يفحون عيونهم، ثم إذا
 حل المساء وأتاك أصحابى هؤلاء، دعنى أهدمهم
 لك، هذا هو هناء التمتع بالغروب، وهو أبهى
 من كل ملوك الأرض، ثم يتبعه هناء التمتع
 بطلوع النجوم وببابة من ذهب كآلهة الأقدمين،
 ثم إذا تَكَارَت السحب وأتاك صاحبي هذا، إنه
 هناء التمتع بالمطر وبوبه مطرز باللؤلؤ، ومعه
 هناء التمتع بمدفأة الشتاء الذى يسدل على
 الأيدي المنسلجة وساحه الفرمزي، ولكنى لم
 أحذرك عن أفضلنا جميعاً لأنه يكاد يكون أخاً
 سقيماً للنعم الكبرى الصافية التى سراها
 قريباً، وأعنى به هناء التمتع بفكر طاهر برىء،
 وهو أكثرنا نقاءً، وها هو هناء آخر، ولكن
 ما أكر من احتاج إلى تقديمه إليك، ولو فعلت
 لما انتهيت، فينبغى لى أن أنبئ بمقدمكم النعم
 الكبرى المسرفة علينا هناك، فى آخر الحديد،
 بالقرب من باب السماء، فإنها لا تعلم بعد أنكم
 قد أتيتهم، سأبعب إليهم بهناء التمتع بالجري
 على قطرات الندى بأقدام حافية، فهو أخفنا

حركة [عاطف الهباء الذى وقع عليه اختياره، فيتقدم مسرعاً
فى الترحيب بالحركة والتوب - ويستطرد الهباء قائلاً له]
هَيَّا، طِرْ إِلَى حَيْثُ أَرْسَلْتُكَ.

[يتقدم فى هذه اللحظة هباء آخر، عارٍ إلا من سر أسود على
خاصرته، يراحم بعبه سخوص الهباء وهو يهمهم بكلمات عبر
مفهومة، ويفترب من تيلتيل وهو يتوب، فيعانه بوضع كفه
على الأنف وتلعيب أصابعه، محاولاً صفعه أو ضربه بالقدم، وإذا
هم تيلتيل بصدده تقلص منه].

هو : [وقد علته الدهشة والحنق] من هذا المتوحش؟
الهباء : أمرى لله، لا مفر من أن أهدمه لك، إنه هباء
العفرتة، وقد هرب من كهف سخوص البؤس،
لا ندرى أين نحتجزه، فإنه يهرب من كل
محبس، بل إن سخوص البؤس ترفض إيواؤه.
[بتمادى هباء العفرتة فى معاكسة تيلتيل الذى يحاول عثا صده
عنه، ثم إذا به ينفجر ضحاً بضحكة عالية ويصرف بلا دافع
كما أتى].

هو : ماذا به؟ هل أصابه مس من الجنون؟
بسمه النور : لست أدري، والظاهر أن حاله يكون كحال
حين تتحامق وتركب رأسك، ولكن بقى علينا
أن نسأل عن الطائر الأزرق فلعل زعيم هباء
البيت لا يجهل مكانه.

هو : [يسأل الزعيم] أين الطائر الأزرق؟

- الهناء : صاحبنا لا يعرف الطائر الأزرق.
[يضحك كل شخص هناك] [صحكاء أخرى]
- هو : [غضب] نعم، لا أعرف أين هو، وليس في هذا مدعاة للضحك.
- الهناء : حلمك، لا تغضب، [ثم إلى بقية أشخاص الهناء]
دعونا الآن نتكلم بجد، إنه صادق في قوله إنه لا يعرف ابن الطائر الأزرق. وما العجب في ذلك؟ إنه ليس بأقل غفلة عن بemie الناس، ولكن ها هو هناك التمتع بالجرى على فطرات الندى بأقدام حافية قد نقل النبأ إلى النعم الكبرى وها هي ذى تتقدم إلينا.
- هو : ما أجملهن، لماذا لا يضحكن. أهّن غير سعيدات؟
- بسمّة النور : لا يكون الضحك دائماً دليلاً على فرط السعادة.
- تلنيل : مَنْ هُنَّ؟
- الهناء : هي النعم الكبرى.
- هو : أتعرف أساءهن؟
- الهناء : أعرفها بطبيعة الحال، فلطالما لعبت معهن، ها هي ذى أولاً وفي مقدمته الباقيات، نعمه الفدره

على العدل، وهي تبتسم كلما رأب انتصاراً على ظلم، وأنا لصغر سنّي لم أرها ببسم بعد، ومن ورائها نعمة طيبه القلب، هي أكرهن سعادته وإن كانت أكرهن أسي، ونحن لا نحتجزها إلا بمسقة عن مضها لسخوص البؤس الذين تود أن تواسبهم، وعن السمين نعمة الراحة في إنجار العمل، بجانبها نعمة الفكر، ثم نعمة الفهم، وهي تبحت دائماً عن سفيقها: برف الاستغناء عن الفهم.

: ولكني رأب سفيقها، إنه ذهب إلى سخوص البؤس مع سخوص النرف.

: كنت وانما من ذلك فإنه أصبح ضالاً أحمى من فرط معاسرته لقرناء السوء، فأصيب طباعه بالسذوذ، ولكن حذار من أن نجى سيرته على لساننا أمام شقيقته وإلا مضت تبحت عنه وفقدنا بذلك وجود نعمة كبرى بيننا، وها هي ذى أيضاً واحده من النعم الكبرى إنها نعمة رؤيه الجمال أينما كان، إنها بضي كل يوم مزيداً من بهاء أسعتها على الضوء الذي بغمر هذا المكان.

: ومن هي المائلة هناك، بعداً، بين السحب

هو

الهناء

هو

الورديه، لا أراها إلا إذا سبب غابه جهدى
على أصابع قدمي.

الهناء : هذه هى نعمه الفدره على الحب، ولكن هبها
لك أن تتبينها كل البن فأت ما زلت صغيراً.
هو : وَمَنْ هُنَّ الواففات إلى الخلف، بمنعهن الهب

عن النقدم إلينا، ولماذ وجوههن محبه؟
الهناء : هى النعم التى لم يعرفها الإنسان بعد
هو : وماذا بدره الأخريات لنا، وما هن قد انسفن
صقبن؟

الهناء : لاسقبال نعمه أخرى فادمه، لعلها أكر النعم
طهارة وصفاء.

هو : وَمَنْ نكون؟
الهناء : ألم تتبين بعد؟ فأمعن النظر إلها، وافتح عينك
لطل منها قلبك أيضاً. هذه النعمه قد رأنتك، قد
رأنتك، إنها تجرى نحوك فأنحة لك ذراعها، إنها
نعمه الأمومه متمسلة فى أمك، وإن نعمه الأمومه
لبس كمنلها نعمه أخرى.

[تراحم النعم حول نعمه الأمومه وترحب بها بم تصطف بس
يديها وتلمر الصب توفيراً لها]

نعمه الأمومه : تبلس وأب با مبنيل، كيف أجدكها هنا؟ لم
أكن أوقع لقاءكها، إذ كنت أعانى من الوحده

في البب، فإذا بكما تعرجان إلى السماء حب
سألني بالسرور أرواح كل الأمهات، ولكن
لنبدل العناق والقبلات، قبال كسره، هدر
ما نسنطع، أرغما في حضني فلبس في العالم
سعادة أكبر من هذه السعادة، لماذا لا ببسم
من البسر با تلسل، وأنت كذلك يا متبل،
ألا تبينان حب أمكما، انظرا إلى بامعان،
ألا تران عيني وسفني وذراعي.

هو : نعم، نعم، إنني أبينها ولكني لم أكن أدري، لك
صوره أمنا ولكنك أجل منها.

نعمة الأمومة : هذا حق لأنني أصبح لا أنفدم في
السبخوخة، وكل يوم بمضي عنحنى قبضا من
القوة والسباب والسعادة، وكل بسمه منكما
ترفع مما مضى لى من عمر سقل كاهلى سنة
بأكملها، لا يبين لكما هذا في البب ولكن كل
نساء هنا منبين على حقيقه.

هو : - بأخذة الدهسة وبأمل أمه وبحضنها ويعانها
بدوره - ما هذا النوب الجميل، من أى نسبيج
هو؟ أهو من حرير أو من فضة أو من لؤلؤ.

نعمة الأمومة : كلا، إنه من حنّ النظرات والقبلات
واللمسات، فكل قبلة نهيه شعاعا من القمر أو

من الشمس.

هو : هذا عجيب، فلم أكن أحسب قط أنك على
مثل هذا النراء، فأين إذن كنت تخفين هذا
البوب الجميل، أفي الصوان الذي مفتاحه مع
أبي؟

نعمة الأمومة : كلا، كنت ألبسه كل يوم، ولكن العين لا تراه
لأنها لا ترى شيئاً إذا كانت بلا بصيرة فكانها
مغمضة؛ هذا الرء لكل أم تحب أولادها،
فقيره هي أم دميعة أم عجوز، فإن حب الأم
لأولادها هو من بين النعم الكبرى أكثرها
جمالاً وبهاء وكل سحابة من الحزن على وجه أم
يكفيها لكي تنقشع وتتبدد قبلة واحدة تهبها
أوتناها وتصبح الدموع نجوماً تتلألأ في
محجرها.

هو : [يطر إليها في دمه] نعم، هذا حق، فإني أرى
نجوماً تتلألأ في محجريك، إنها عيناك كما
عرفتها ولكنها الآن أكثر بهاء، وها هي ذي
يدك أيضاً، وها هو ذا خاتمك، بل ها أنذا أرى
أنر الحرق الذي أصابها ذات يوم وأنت تسعلين
المصباح، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء
بشرتها، كأنما يفتح منها النور. أهي تعينك الآن

في العمل كما كانت تفعل سابقنها في البيت؟
نعمه الأمومة : نعم، فهي يد واحدة لم تتبدل، أفلم تكن تراها
في البيت تتألق باللبياض ويفج منها النور كلما
ربتت عليك بحنان؟

تيلتل : هذا عجيب يا أمي، هذا هو صوتك بعينه،
ولكن كلامك هنا أجمل من كلامك في البيت.
نعمة الأمومة : أنسبت كثرة مشاغلي في البيت وزحمة العمل،
ولكن إحساس القلب يغني عن شهادة الأذن
والآن وقد أبصرتني فهل ياترى ستتبين، صوري
هذه إذا عدت للكوخ غداً ورأيتني في بيابي
الممزقة؟

هو : لا أريد أن أعود مادمت أنت هنا، فإني أحب أن
أكون معك طوال بقائك في هذا المكان.

نعمه الأمومة : الأمر سيان، لا فرق بين بقائنا معاً هنا وبين
بقائنا معاً في البيت، أنت وأنا، أنت لم تأت
هنا إلا لتدرك وتعرف في أية صورة ينبغي لك
أن تراني حين تراني في البيت. أفاهم أنت
يا تيلتل؟ أنت تحسب أنك الآن في عالم
علوي، ولكن هذا العالم العلوي لم يكن
ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق والمبلات،
ومعنى الأم لا يقبل النسيئة، فليس لك أم

سواى، لكل ولد أم واحدة لا تتبدل، هى
عنده دائما أجمل الأمهات ولكن ينبغى له أن
يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها، ولكن فل
لى كيف فعلت حى وصلت إلى هذا المكان
ووجدت طريقا ظل الإنسان يبحث عنه منذ
أن سكن الأرض؟

هو : [مشيرا إلى سمه الور] هى التى قادتنى [تراجع سمه
النور متحسمة].

نعمة الأمومة : ومن تكون هى؟

هو : إنها بسمه النور.

نعمة الأمومة : إذن هى صاحبتك التى سمعتُ عنها، يقولون
إنها تحبك كثيرا، وإنها طيبة القلب. ولكن لماذا
تتخجّب؟ ألا تسفر عن وجهها أبدا؟

هو : نعم نعم، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء إذا
تجلّت له الحقائق بفضلها.

نعمة الأمومة : ألا تدرى صاحبتك إذن أنها هى التى ننتظرها
دون أحد سواها، [تنادى على نقيه النعم] أقدمن
يا أخواتى، أقدمن جميعكن، هذه هى بسمه
النور جاءت أخيراً لتزورنا.

[تربط النعم وهلل وهى تفترب].

النعم : بسمه النور هنا، بسمه النور هنا.

- نعمة الفهم : [تزيح كل أحواتها لتفرد بمعانها سمة النور] لم تكن ندرك أنك بسمه النور، فأنت أذن هي، لقد لبنا ننتظرك زمنا طويلا، أتعرفيننى؟ إتنى نعمة الفهم الى طالما بحب عنك، إتنى فى غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من أنفى..
- نعمة العدل : [تعانها دورها] هل تعرفيننى؟ إتنى نعمة العدل التى طالما ناسدتك البعون، إتنى فى غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من ظلى.
- نعمة الجمال : [تعانها كذلك] إتنى نعمة القدرة على رؤية الجمال التى طالما هامت بك، إتنى فى غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامى.
- نعمة الفهم : كفى كفى يا أخوانى وإلا طال انتظارنا، نحن لا ننقصنا بهات القوة، ولا ننقصنا سلامة الطوية، [مخاطبة سمة النور] هيا، انزعى كل الأحجية التى تخفى عنا بقية الحقائق، وبفيه النعم، ها أنت ذى ترين كل أخوانى راكعات عند قدميك، فأنت مليكتنا، وأنت نوابنا.
- سمة النور : [وهى شمس فى حجب وجهها] أخوانى، أخوانى، الجميلات، إن لى مولى أطعته، لم يحن الوقت بعد، لعله يحين فمبا بعد، حينئذ سأقبل عليكى بلا خسبة، منفلة من حجب الظلال، فوداعا،

انهضن تتبادل العناق، مرة بعد أخرى، سأن
سفيغات اجتمعن بعد فراق، انتظاراً منا لليوم
الموعد.

نعمة الأمومة : لن أنسى كرم رعايتك لولديّ الحبيبين.
بسمّة النور : إنني سأرعى دائماً كل أناس يحب بعضهم بعضاً.
نعمة الفهم : لتكن آخر قبلاتك قبله على جيبني.
[تتبادلان العناق طويلاً ثم تفصلان وإذا العيون دموع
تترقرق].

هو : [بدهشة] لماذا تيكسان؟ [ينظر إلى بقية العم] وأنتن
أيضاً، لم البكاء، لماذا لم تبقي واحدة لم تترقرق
في عينيها الدموع؟
بسمّة النور : اسكت يابني...
[سستار]

الفصل الخامس

المنظر العاشر: عالم الغد

(هو فسيح في قصر الأثير، حيث يقيم الأطفال الذين لم يولدوا بعد، على مد النظر أعمده من الياقوت تسند عقوداً من الزمرد، كل مائ البهو من صوء وعتبات لازورديه، وشعنه هاية البهو حيث تتراحع الأعمده، وتنبهم أواخرها. كل الأشياء كبيرها وضئيلها محللها علالة من زرعه لطيمه كأنها من عمل السحر أو من سح الخيال، سد عن ذلك فواعد الأعمده وتيجانها والأحجار واسطه العمود وبعض الكراسى والمقاعد الدائره فإنها من الرمام أو المرمز، إلى اليمين، بين الأعمده أبواب ضخمة من العقيق، هذه الأبواب الى سيفتحتها الدهر قبل حتام المنظر فتتكشف الحياه على الأرض ومطائع الفجر، يتناثر تناسق في كل أرحاء البهو حشد من الأطفال، يلبسون ثياباً في زرعه السماء، بعضهم يلعب، وبعضهم يتمشى، وبعضهم مستغرق في الحديث أو الأحلام، وكبر منهم في سباب، وكبر مهم أيضاً يشتعلون بين الأعمده تتجارت تسرع عن محترعات الغد، ما يصنعونه من أدواب وعدد وأحرة، وما يزرعونه أو يحنونه من نهاب وزهور وفاكهه تلفها جميعا علالة من الزرقة السماوية التي محلل البهو كله، يحوس بين الأطفال في صلب سخوص كأنها من ملائكة، لها قامه مديده، وبهاء رائع مطمش.

يدخل من اليسار، وكان الدخول جلسة، بالتسحب حلف الأعمده في مقدمه المسرح كل من تيلتيل وميتيل وبسمه النور فينور لدخولهم بين الأطفال هرح ومرج، ثم يهرعون إليهم من كل صوب، ويتحلفون حول هؤلاء الروار الأغراب وينظرون إليهم بدشهة]

مسئل : أين قمع السكر والهرة والرغيف؟

بسمه النور : ليس من شأنهم الدخول هنا، فلو تركناهم
يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة.

ميتيل : والكلب؟

بسمه النور : بحسن أيضاً أن لا يعلم ما ينتظره على مرّ
القرون، لقد جمعهم كلهم في قبو الكنيسة.

هو : وأين نحن؟

بسمه النور : نحن في عالم الغد، بين الأطفال الذين لم يولدوا

بعد، وبما أن الماسه ستيح لنا أن نبصر هنا

بوضوح كل ما يعجز الإنسان عن رؤيته فإننا

في أغلب الاحتمال سنعر هنا على الطائر

الأزرق.

هو : عسير أن لا يكون أزرق اللون، فهذا هو لون

كل شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجل هذا

المشهد.

بسمه النور : أنظر إلى الأطفال الذين يجرون إليك.

هو : هل أغضبهم حضورنا؟

بسمه النور : كلا، فأنت ترى أنهم يتسمون ولكنهم في

دهشة.

الأطفال الزرق : [يجرون إليهم وقد تكاثر عددهم] أحياء صغار، تعالوا

وانظروا الأحياء الصغار.

هو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار؟

بسمه النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء.

هو : وماذا يفعلون إذن؟

بسمه النور : إنهم ينتظرون ساعه مولدهم.

هو : ساعه مولدهم.

بسمه النور : نعم، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون في

الأرض، وكل واحد منهم ينتظر ساعه، وحين

يود الأباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فإن

هذا الباب الكبير الذى تراه هناك، على اليمين،

ينفتح ويخرج منه هبتهم من الأطفال.

هو : ما أكثر عددهم، ما أكثر عددهم؟

بسمه النور : وهناك كثير أيضا غيرهم، فنحن لا نراهم

كلهم، نحيل عدد الأطفال الذين سيعمرون

الأرض إلى آخر الدهر، لا أحد يفوى على

إحصائهم.

هو : ومن هى تلك الشخصوس الزرق؟

بسمه النور : لا يدري أحد أمرها على وجه التحقبن، يقال

إنها الحارسات الحفظه، وعهدا بالأرض نأى

بعد عهد البشر، غير أنه لا يجوز لنا أن

نستجوبها.

هو : ولماذا؟

- بسمه النور : لأن ما عندها هو سر الأرض.
- هو : وما القول في الصغار؟ هل نستطيع أن نكلمهم؟
- بسمه النور : نعم، وينبغي أن نتعارف، انظر، ها هو ذا واحد منهم أسد من الآخرين تطلُّعا إليك فاهترب منه وكلمه.
- هو : وماذا أفول له؟
- بسمه النور : ما شئ، كأنما تتحدث إلى رفيق.
- هو : وهل لي أن أصافحه؟
- بسمه النور : بطبيعته الحال. فهو لن يؤذيك، ولكن عجباً لك، لم هذا التهيب، سأترككما وحدكما لتجد راحتك معه، نم لا بُد لي من أن أتحدث مع السخوص الزرى.
- هو : [يعترب من الطفل الأزرق ويد له يده] أهلاً وسهلاً، [يلبس بأصبعه نومه الأزرق] ما هذا؟
- الطفل الأزرق : [يلبس بجدّ قمعه تيلتيل] وما هذه؟
- هو : هذه هي فبعتي، أليس لك فبعه؟
- الطفل الأزرق : لا، وفيهم لبس القبعات؟
- هو : خلعهما يعنى الإسارة بالتحبه، ثم إنها تنفع في البرد.
- الطفل الأزرق : ما هو البرد؟
- هو : حين يرنجف جسدك هكذا [يملد تيلتيل حركه ارتجاف]

المقروء] وحين تنفخ في كفيك وتطوح بذراعيك

هكذا [يطوح تيلتل بذراعيه].

الطفل الأزرق : هل في الأرض برد؟

هو : نعم، في فصل الشتاء، حين لا حطب في المدفئة.

الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب؟

هو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نفود لشرائه.

الطفل الأزرق : ماهى النفود؟

هو : هى السوء الذى ندفع به.

الطفل الأزرق : فهمت.

هو : وبيننا من عنده نقود، وبيننا من ليس عنده

نقود.

الطفل الأزرق : ولماذا؟

هو : لا نقود إلا عند الأغنياء، هل أنت غنى؟ كم

عمرك؟

الطفل الأزرق : سأولد عما قريب، بعد عشر سنوات، كيف

وجدت أنت الولادة، هل طببت بها؟

هو : نعم وسررت أيضاً.

الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتناها؟

هو : لم أعد أذكر، ففد مضى عليها وقت طويل.

الطفل الأزرق : سمعنا كلاماً كثيراً عن جمال الأرض وجمال

الأحياء.

هو : صدقت، فأنا لا أشكو من شيء، فعندنا طيور
وكك ولعب، بعض الأولاد عندهم كل هذا،
ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها في يد
الآخرين.

الطفل الأزرق : سمعنا أن الأمهات يفنن بالأبواب لمراقبتنا،
يفال إنهن طبيبات القلب، أحقّ هذا؟

هو : نعم، الأمهات أبدع شيء في الأرض، والجدات
أيضاً، غير أن الموت بتخطف الجدات سريعاً.

الطفل الأزرق : تقول الموت؟ ما هو الموت؟

هو : رحيل ذات مساء بلا عودة.

الطفل الأزرق : لماذا؟

هو : لا أحد يدري، لعلّ الدافع على الرحيل هو
طلب النجاة من الأحزان.

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميها جدتك؟

هو : نعم، وكانت طيبه القلب جداً.

الطفل الأزرق : ماذا جرى لعينك، إنها تذرفان لؤلؤاً.

هو : ليس لؤلؤاً.

الطفل الأزرق : ما هو إذن؟

هو : لا شيء سوى أن انبهار بصرى من انتشار

الزرفة حولي.

الطفل الأزرق : وما اسمه؟

- هو : اسم ماذا؟
- الطفل الأزرق : هذا الذى بنرفق فى عنبك.
- هو : ما هو إلا فطرات من الماء.
- الطفل الأزرق : وهل ينبع من العينين؟
- هو : نعم، أحياناً، عند البكاء.
- الطفل الأزرق : تقول البكاء؟ ما هو البكاء؟
- هو : إننى لم أبك، الذنب ذنب الزرقة من حولى، ولو بكيت لكان حالى أيضاً كما نرى.
- الطفل الأزرق : وهل يكون عندكم كبيراً؟
- هو : الصبيان لا يبيكون، أما البنات... وهل عندكم أنتم بكاء؟
- الطفل الأزرق : كلا، ولا أعرف كيف أبكى.
- هو : صبراً! سنعرف فيما بعد، بماذا تلعب، ما هذه الأجنحة الكبيرة؟
- الطفل الأزرق : هذه؟ إنها من أجل الاخراج الذى سأقوم به فى الأرض.
- هو : أى اختراع هو؟ هل اخترعت شيئاً؟
- الطفل الأزرق : نعم، أفلا تدري؟ حين أحلّ بالأرض ينبغى لى أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة.
- هو : أهو سىء لذيذ أكله، أم سىء له ضجيج؟
- الطفل الأزرق : كلا، لا حسّ له.

- هو : يا للخسارة..
- الطفل الأول : إننى أسغل به كل يوم، وأكاد الآن أنجزه، هل تريد أن تراه؟
- هو : طبعاً، أين هو؟
- الطفل الأزرق : هناك، بين عمودين، يمكنك أن تراه من هنا.
- [يقترب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كفه]
- الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضاً؟
- هو : نعم، وما هو؟
- الطفل الثانى : الوصفات الأربع والأربعون لإطالة الحياة، إنها فى هذه الزجاجه الزرقاء.
- طفل ثالث : [يخرج من الحشد] أما أنا فأسلط نوراً لا يعرفه أحد [يسطع جسمه بنور عجيب] أليس هذا بغريب؟
- طفل رابع : [يشد تيلتيل من ذراعها] تعالْ لكى ترى الآله الى اخترعها، إنها تخلق فى الهواء كأنها طائر بلا جناح.
- طفل خامس : صبراً صبراً، تعالوا أولاً لتروا اختراعى أنا، إنه يكشف الكنوز المخبوءة فى القمر.
- [يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل ويمتيل ويناسدهما كل واحد منهم بالدم برؤيه احمراده أولاً، ويختلط الأصوات فيقول صوب «إنه أحمل اختراع» ويقول صوت «إنه أعجب اختراع» ويقول صوب «إنه متشكل من السكر» ويقول

صوب « إن سر اختراعى هو فى بساطته » ويقول صوب « لقد
سرفوا مئى فكرى »

وفى هذا الضحيج يشدون تيلتيل وميتيل إلى ناحيه المعامل
الرورى حيث يذور كل طفل آله المدهشة فتدور فى حو أرق
عجلات وأسطوانات وترويس وأشياء عجيبه لم تجد لها اسماً إلى
اليوم، كأنها فى عالم من صنع الخيال، آلات كثيرة عريه مجهوله
السر تنطلق ويحوم أعلى البهو أو ترحف على الأرض حول
الأعمده على حين يشغل بعض الأطفال الرورى بسط لعائف
الخرائط والرسوم وتقلب صفحات الكتب وإراحة الستار عن
تقائيل زرى ونباول زهور ضحبه وفواكه هائله الحجم وكأنها من
ياهوت ورمرد.

الطفل الأزرق : (وهو رازح غب حمل زهره زرقاء صحبه) انظروا إلى
أزهارى.

هو : ما هذه الأزهار؟ لا عهد لى بها.

الطفل الأزرق : إنها من زهور الربيع.

هو : مستحيل، إنها كبيرة كعجلة الفطار.

الطفل الأزرق : وما أزكى عطرها؟

هو : [يشمها] هائل جداً.

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل إلى الأرض.

هو : متى إذن؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة، وأربعه سهور، وتسعة
أيام.

[ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان عنقوداً عجيباً من
العنب، حاتنه في حجم الكمثرى وكأنه ثريا مللورية ضخمة]

أحد الطفلين : وما رأيك في فاكهتي؟
هو : أهو عنقود من الكمثرى؟
الطفل : كلا، إنه عنقود من العنب، وسيصبح كل عنب
هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمرى، فقد
اكتشفت السرّ.

طفل آخر : [ينوء بحمل قفص به تفاح في حجم الطيخ] انظرنى أنا.
هل ترى تفاحى؟
هو : إنه بطيخ لا تفاح.
الطفل : كلا، إنه تفاحى، وهو ليس أفضل ما عندى،
كل تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين
الأحياء، فقد اهديت إلى السرّ، وسأكون
بستانى الملك صاحب الأفلاك التسعة.

هو : الملك صاحب الأفلاك التسعة؟ أين هو؟
الملك : [يتقدم بحيلة، عمره أربع سنوات فيما يبدو] لا يكاد
يملك الوقوف على ساقيه الصغيرتين المعوجتين،
هو أنا.

هو : ولكنك غير كبير السنّ.
الملك : [بلهجة ملؤها الجذّ والعتاب] غير أن كل الذى
سأفعله سيكون كبيراً.

- هو : أى سىء ستفعل ؟
 الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماويه.
 هو : [ملحاً فى السؤال] حقاً ؟
 الملك : كلها ستصبح أعضاء فى الاتحاد ما عدا
 المسترى وأورانوس ونيبتيون فهى على بعد
 مهول يجلب عن الفياس.
 هو : سىء بديع.
 طفل أزرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟
 هو : أيهم ؟
 الطفل : هناك، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود.
 هو : وما خبره ؟
 الطفل : إنه سيهب الفرَح للأرض.
 هو : وكيف ؟
 الطفل : بأفكار لم تتولد بعد.
 هو : وهذا الطفل السمين الذى يدس أصبعه فى أنفه،
 ماذا سيفعل ؟
 الطفل : سيكسف النار التى تستمد منها الأرض دفئها
 إذا ما وهنت حرارة الشمس.
 هو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل
 العناق وقد شدَّ كل منهما على يد الآخر. هل هما
 أخ وأخت ؟

الطفل : كلا، إنها طفلان نحن في حيره من أمرهما، إنها هما العاسقان.

هو : وما معنى عاسق؟

الطفل : لسب أدري، هكذا سمعها الدهر، من قبل السحريه بهم، لا عمل لها طول اليوم إلا ببادل النظرات والقبلات وتهداب الوداع.

هو : ولماذا؟

الطفل : لأنها لن ساح لها فيما يبدو أن ننزلا إلى الأرض معاً.

هو : وهذا الطفل أبو الخدين الموردين الذى ممص

إبهامه وقد بدت عليه إمارات الجدّ. من هو؟

الطفل : إنه - فيما يبدو - المكلف بمحو المظالم من على وجه الأرض.

هو : حقاً؟

الطفل : يقال إنه عمل ساق.

هو : وهذا الطفل الأسفر الذى ممسى وكأنه لا يرى

شيئاً، هل هو مصاب بالعمى؟

الطفل : لم يصبه للآن ولكن سببصيه فيما بعد، تأمله

جيداً، إنه فيما يبدو المكلف بالانتصار على

الموت.

هو : ماذا سيعمل؟

الطفل : لست أدري على وجه النقص، ولكن يقال إن عمله سيكون هائلاً.

[يسر تيلتل إلى أطفال مائس عند فواعد الأعمده، وفوى الدرح وعلى المفاعد]

هو : وكل هؤلاء النائمين، وما أكر النائمين هنا، ألن يكون لهم عمل؟

الطفل : إن ذههم هو الذى يعمل الآن.

هو : من أجل ماذا؟

الطفل : إنهم لا يدرون بعد، ولكن ينبغي لهم أن منحوا الأرض شيئاً ممنوع علينا هنا أن نخرج إلى الأرض وجعبتنا فارغة.

هو : ومن الذى يمنعكم؟

الطفل : إنه الدهر الذى بفف بالباب وسنرى حين يفتحه أنه لا نرفق بنا.

[طفل بحرى من مؤجره الهوى يسو الحسد].

الطفل : أهلاً يا تبليل.

هو : عجباً، كيف عرفت اسمى.

الطفل : [وهو يلهب ويرشو تلتيل وميتل بملاب حارة] أهلاً

بكما، كيف حالكما، نعال يا تبليل عانقنى، وأنت أيضاً يا مييل، ليس من العجيب يا تبليل أن أعرف اسمك إذ أننى سأكون

أخاك، لم أسمع إلا الآن بمقدمك، كنت في نهاية
البهو منتغلاً بجمع أفكارى وحزمها، قل لأبى
إننى مستعد.

هو : كيف؟ أعازم أنت على المجئ عندنا؟

الطفل : طبعاً، السنة القادمة، في عيد الفصح، أرجوك أن

لا تعذبنى كثيراً أثناء طفولتى بينكم، ويسعدنى
أن استطعت عناقكما مقدماً، وقل لأبى أن يصلح
المهد، هل الأحوال عندكم طيبة؟

هو : لا بأس بها، وأمى طيبة القلب جداً.

الطفل : والطعام؟

هو : أنت وبختك، وقد تأكل في بعض الأيام فطائر

حلوة، أليس كذلك يا ميتيل.

هى : فى الأعياد وأمنا هى التى تصنعها بيدها.

هو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك. ما الذى ستأتى

به إلينا؟

الطفل : سأتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة، والسعال

الديكى والحمى القرمزية.

هو : كفاية كفاية، نم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد

ذلك؟

الطفل : بعد ذلك سأرجل.

هو : لم يكن هناك إذن داع للمجئ.

- الطفل : وهل لنا خيار؟
- [يعلو في هذه اللحظة ثم ينتشر صوب اللورى له دذبة متصلة
قوية ينبعث فيها يدوس الأعمدة والأبواب العميقة وقد غمرها
نور أُنْد سطوعاً].
- هو : ما هذا؟
- الطفل : هذا هو الدهر، إنه يوسك أن يفتح الأبواب.
[يشيع الهرج والمرج بين الأطفال، يترك أغلبهم آلاهم
وأعمالهم، النائم منهم يستيقظ، ويحول الجميع أعضارهم نحو
الأبواب العميقة ثم يمتربون منها].
- بسمّة النور : [وقد عادب إلى تيلتيل] هيّا نحاول الاختفاء وراء
الأعمدة، إذْ ينبغي أن لا يكتشف الدهر
وجودنا هنا.
- هو : من أين ينبعث هذا الصوت؟
- الطفل : إنه الفجر وقد أوشك أن يطلع، إنها الساعة التي
ينزل فيها إلى الأرض كل طفل سبولد اليوم.
- هو : وكيف ينزلون؟ هل هناك سلّم؟
- الطفل : سترى، انظر إلى الدهر، إنه يسند المزلاج.
ومن هو هذا الدهر؟
- الطفل : إنه رجل شيخ، ينادى الأطفال النازلين.
وهل هو شرير؟
- الطفل : كلا، لكنه لا يسمع لنا. قولاً فإنه رغم التوسّل

يصد كل راغب في النزول إذا لم يكن قد أتى دوره.

هو : وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟
الطفل : على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا إذا حرمانا من النزول للأرض. غير أننا حين نزل نسعر بمسحة من الحزن.. انظر انظر، هذا هو الدهر يفتح الأبواب.

[تفتح الأبواب على مصاريعها ببطء، وتصل إلى الأسماع من بعيد ضجة الأرض كأنها أغغام موسيقية].

الدهر : [في هيئة شيخ له لحية طويلة يحمل سجلاً وساعة رملية، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف أشعره بيض وذهبية لسفن راسية على أرصفة معقده من أنفاس الفجر الندي، يتكلم وهو على عتبة الباب] هل استعدّ كل من دُف ساعه ؟ [يهرع إليه أطفال زرو وهم يشقون الحشد من كل جانب].

الأطفال : مستعدون، مستعدون، مستعدون.

الدهر : [في صوب أجش عضوب، يقول للأطفال وهم يمرون أمامه استعداداً للنزول] واحداً واحداً، لقد تقدم منكم عدد أكبر مما ينبغي، الحال لا يتغير، ولكن هيهات أن يستغفلى أحد، [يصد طعناً] ليس هذا دورك، عد، فموعدك غداً، وأنت كذلك مله، إن موعدك بعد عشر سنوات، ماذا ؟ أراع آخر

يريد النزول، إنه الثالث عشر ولا يلزمنا إلا اننا عشر فقد انقضى عهد الرعاة، وهذا حشد من الأطباء، سبق أن نزل منهم أكثر مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا بالسكوى. وأين المهندسون؟ هناك حاجة لرجل أمين بينهم، رجل واحد، يكون بمثابة المعجزة في الأرض، فأين هو هذا الرجل الأمين؟ [يشير إلى طفل قائلاً] أنت؟ [تعيد هزة من رأس الطفل إنه يقول نعم] ولكنك نحيف، ولن تعيش طويلاً وأنتم [مشيراً إلى أطفال يتزاحمون على النزول] أنتم هناك، لا تسرعوا هكذا، [إلى طفل] وأنت ماذا ستحمل للأرض؟ لا شيء؟ يدك خلو؟ إذن لا نزول لك، عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئاً حتى ولو جريمه كبيرة إذا شئت، أو عدوى وباء، فالأمر لا يعنيني، وسيان عندي هذا وذاك، ولكن لا بد أن تحمل لهم شيئاً إن أردت النزول، [يقع بصره على طفل يدعمه الآخرون للأمام وهو يغالهم بجهد] وأنت ماذا بك؟ أنت تعلم حق العلم أن الساعة ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم، فأنت من يجب عليه النزول.

: إنه لا يريد النزول يا سيّدنا.

الأطفال

الدهر : كيف؟ لا يريد النزول؟ أين محسب نفسه هذا
 المسخ؟ ألا يعلم أن لا سقاعة ولا سفيح هنا؟
 [إلى الطفل] هيا هيا، فليس لدينا وقت.
 الطفل المتأبى : لا. لا. لا أريد، أحب أن لا أولد، أفضل البقاء
 على النزول هنا.

الدهر : لا دخل هنا لحبك أو لكرهك، إذا أزعج
 الساعة فليس منها مفر، هيا، إلى الأمام،
 أسرع...

طفل آخر يتقدم : دعوني أمر، سأخذ دوره، فقد سمعت أن أبوي
 عجوزان وأنها ينتظرانني منذ أمد طويل.
 الدهر : دعنا من هذا، فالساعة هي الساعة، والدهر هو
 الدهر، لو أصغت لكم لما فرغت، هذا يريد
 وذاك لا يريد، هذا متعجل، وذاك متباطئ [يريح
 عن عتبة الباب كل الأطفال المتزاحمين عليها] لا تقربوا
 كثيراً يا أولاد، إلى الورا كل فضولي، من لم
 يأت دوره لا شأن له بما وراء الباب، أنتم الآن
 تتلهفون على الخروج وحن يجيء دوركم إذا
 بكم تنكصون في خوف انظروا، ها هم أربعة
 أطفال يرتعون كورقة في مهبّ الريح [إلى طفل
 لم يكدهم بالخروج حتى عاد أذراحه] ماذا بك؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجربتين
اللتين سأرتكبهما فى الأرض.

طفل آخر : ونسيت أنا القمقم الذى وضعت فيه الفكرة
الى ستبر للناس طريقهم.

الطفل البالى : ونسيت أنا البذرة الى ستطرح أجمل
الكمرى.

الدهر : أسرعوا وأتوا بها، لم يبق أمامنا إلا اثنان

وسبعون نانية، إن سفينة الفجر مهز سراعها
دلالة على أنها ستعجلنا، إذا تأخرتم أفلعت
دونكم ولم تولدوا، هيا هيا، انزلوا إلى السفينة

[عسك بطفل يحاول المروى من بين ساعيه ليركب السفينة]

ماذا أفعل بك؟ لقد عيل صبرى، هذه نالت

مرة محاول فيها أن تولد قبل دورك احذر أن

تفع يذى عليك مرة أخرى وإلا سيكون

انتظارك أبدياً، ويكون مقامك فى جوار أخى

الأزل، وأنت تعلم أنه مقام عصبى، دعونى

الآن لعملى، هل نحن جميعاً مستعدون؟ هل كل

واحد منا فى مكانه؟ [تستعرض نظراته الأطفال الذين

جمعوا على الرصيف أو جلسوا فى السفينة] ينقصنا واحد،

يختبئ كما يساء فى لا يُدّ واجده رغم الزحام،

فهيها أن يستغفلنى أحداً فهيها، أنت هناك،

أنت الذى يسمونه بالعاشق، قل وداعاً
لعسيفتك وتعال [زوج العشاق وهما فى عناق طويل، لكل
مهما وجه محقق يائس يتقدمان نحو الدهر ويركبان أمامه].

البنت : دعنى يا سيدى أرحل معه.
الولد : دعنى يا سيدى أمس معها.
الدهر : مستحيل، لم يبق أماننا إلا ثلاثماية وأربع
وتسعون ثمانية، وليس لأحد منكم خيار هنا.
البنت : سيدى، سيكون نزولى إلى الأرض بعد فوات
فرصة اللقاء.

الولد : لن أكون هناك حين تنزل هى.
البنت : لن تتاح لى رؤيته بعد اليوم.
الولد : سيعيش كل منا فى الأرض وحيداً.
الدهر : كل هذا لا يعنينى، قدما التماسكنا إلى الحياة
أما أنا فأجمع وأفرق تنفيذاً للأوامر، (بمسك
بالولد ويقول له: تعال.

الولد : لا. لا. خذها هى أيضاً.
البنت : [تشبث بتياب الولد] دعه لى، دعه لى.
الدهر : رشادكم! إننى لا أقوده للموت بل للحياة [يجر
الولد هائلاً له: تعال تعال].

البنت : [بعد يدها يائس نحوه] اجعل لى علامة، علامة، فل
لى كيف ألقاك؟

الولد : سأحبك إلى الأبد.
البنات : سأكون سقيمه من الحزن، وهذه هي علامتي
التي ستعرفني بها.
[تسقط وتظل منظره الأرض]

الدهر : تجملّي، فهذا أفضل لك، والآن قد انتهينا [يسطر
إلى ساعته الرملية] لم يبق أمامنا إلا نلّاب وستون
ثانية.

[يشند آخر هرج ومرج للأطفال الراحلين والباقيين، تبادل
لعناى الوداع فى عجله «إلى اللعاه يا بير» - «إلى اللعاه
يا جان» «هل أخذت كل ما يلزمك؟» - «نشر بأفكارى» -
«ألم تنس شيئاً» - «لا تنس أن تلغاني هناك» - «سأهتدى
إليك» - «إياك أن تعتمد فكرتك» - «احذر أن تميل كثيراً
وأنت تظل من حافه السفينة على الفضاء» - «أبعث لنا
أخبارك» - «أخبرنا هل الحال طيب هناك» - ستجدنى فى
لعاثك - «سأولد على عرش النخ النخ»].

الدهر : [وهو يهز منجله ومفاتيحه] كفى كفى، رفعت السفينة
أنجرها وأوشكت على الإقلاع.

[مر شراع السفينة تم يفتفى، ونسمع نهليل راكبيها وهى
متباعدة. «الأرض» الأرض، إلى أراها إنها جميله «إنها مضيقه،
إنها كبيرة، ثم تبعث وكأنا من فرار سحيق أعنية تأى من بعد
كلها مرج وترقب]

هو : [إلى سمة النور] ما هذه الأغنية؟ إنها لبس

فما يبدو من غناء الأطفال الراحلين، فالصوت
مختلف.

بسمه النور : نعم، فهذه هي أغنية الأمهات المتطلعات للقاء
الأطفال.

[يعلو الدهر الأنوار العتيقة ثم يلتفت ليلقي آخر نظرة على
الهدوء فإذا به يباحاً تلتيل وميتيل وسمه النور]

الدهر : [في دهسه وغصب] ما هذا؟ ماذا تفعلون هنا؟ من
أنتم؟ لماذا لو نكم غبر أزرق؟ من أين دخلتم؟
[يتقدم إليهم مهدداً بحمله]

بسمه النور : [إلى تلتيل] لا تردّ عليه، إن الطائر الأزرق
معى، أخفيه تحت وساحى، فلنهرب من هنا، أدر
الماسه وسرى أنه سيعجز عن افتتاح أنرنا.
[يسلكون من الأعمدة إلى اليسار ويغرحون]

[ستار]

الفصل السادس

المنظر الحادى عشر الوداع

[المسرح مثل حدارًا يشعه باب صعر، الوقت . طلوع الفجر، يدخل تيلتيل وميتيل
وسمة النور والرغيف ومع السكر والبار واللين].

بسمه النور : ما هذا المكان فى تخمينك؟ سنعجز عن الإجابة
ولا ريب؟

تيلتيل : طبعًا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم
أره من قبل؟

بسمه النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير؟
هو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمه النور : ألا يذكرك هذا الباب بسىء؟
هو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربًا من

الدهر.

بسمه النور : ما أغرب حال الناس حين يعيشون فى
الأحلام، يدهم أمامهم يرونها ولكنهم
لا يعرفونها.

هو : من الذى يحلم؟ أهو أنا؟
 بسمه النور : لعلّه أنا، من يدرى، ومع ذلك فهذا الجدار يسوّر
 بيتنا أنت رأيتّه مرارًا منذ مولدك.

هو : تفولين إننى رأيتّه مرارًا؟
 بسمه النور : صح النوم، هذا هو البيت الذى غادرناه ذاب
 مساء منذ عام فى مل هذا اليوم، لا قبل
 ولا بعد.

هو : عام كامل؟ ثم ماذا حدث؟
 بسمه النور : لا تجحظ عيناك من الدهسه كأنها بحيرتان من
 الياقوت، إنه هو البس، بب والدك.

هو : [يعترب من الباب] نعم، أظنّه هو، نعم، بخيل إلى،
 هذا الباب الصغير، عرفت الآن مزاجه، هل
 سأجد أهلى داخله؟ هل نحن الآن بالمرب من
 أمى؟ أود أن أدخل فورًا، وأعانمها تواء.
 بسمه النور : انتظر لحظة، إنها غارهان فى سباب عميق.
 ينبغى أن لا نوظفها فجأه، ثم أن الباب
 لا ينفتح إلا إذا دقت الساعة.

هو : أية ساعة؟ وهل سطول انتظارى؟
 بسمه النور : كلا مع الأسف، ما هى إلا دقائق قليلة.
 هو : ألا يسعدك الدخول معى؟ ماذا بك يا بسمه

النور، أنك نساحبه اللون حى لبفال إبك
مريضة.

بسمه النور : أنا بخير با بنى، ولكنى أحس بمسحه من الحزن
لأننى سأفراقكم.

هو : تفارقيننا؟

بسمه النور : لا مفر من ذلك. لم يعد لى ما أعمله هنا. لقد
حال الحول، فإن الجنيه ستعود وتطالبك بالطائر
الأزرق.

هو : ولكن الطائر الأزرق لس معى، فإن طائر عالم

الذكريات قد اسودّ لونه، وطائر عالم الغد قد
احمر لونه، وطيور فحمة اللبل قد ماتت ولم
أستطع اقتناص طائر الغابه، هل الذنب ذنبى
إذا بدلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من
يدى وهل ستغضب الجنيه، وماذا عساها تقول؟
بسمه النور : فعلنا كل ما قدرنا عليه، لا مفر من الاعفاد
بأن الطائر الأزرق لا وجود له إذ أنه ببدل
لونه إذا دخل الففص.

هو : وأين الففص؟

الرغف : ها هو ذا يا سيدى، لقد كلفت بحمله والحرص

عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئه
بالأخطار، والآن وقد انتهت مهمتى فإنى أعبد

إليك سليماً محكم الإغلاق كما تسلمته، [يتخذ لهجة
الخطيب] والآن، باسم جميع الحاضرين أستاذكم
في أن أضيف كلمتين.

: لم يأذن له أحد بالكلام. النار

: سكوت. سكوت. الماء

: هذه المقاطعات الخبيثة من عدوٍ حقير أو من
منافس حقوق (يرفع صوته) لا تمنعني من أداء
واجبي حتى النهاية، لذلك، نيابة عن الجميع
أقول..

: من أذنك أن تتكلم نيابة عني، أليس لي لسان؟ النار

: [مستراً] نيابة عن الجميع أقول، تعبيراً عن
عاطفة لا يمنعها اضمارها من أن تكون صادقة
وعميقة، أننا نودع الآن الصبيين الصغيرين
اللذين اختارهما القدر، يعد أن تمّ اليوم
مهمتنا، فإذا قلنا لها اليوم وداعاً فإنما نعبر عن
حزننا ومودتنا وتقديرنا المتبادل...

: ماذا؟ تقول وداعاً؟ أتركتنا أنت أيضاً؟ هو

: لا مفر من ذلك مع الأسف، نعم، سأفارقكما
ولكنه فراق في الظاهر، فلا يجدر إلا أن آذانكم

لن تسمعنني أتكلم.

: لحسن الحظ! النار

- الماء : سكوت. سكوت..
- الرغيف : [لا يبالي بالمقاطعة وفي لهجه حاده] إنني أنجاهل هذه المقاطعة، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعي أتكلّم، لن تروني فيها بعد نابضاً بالحياة، ستعمي عيونكم عن رؤية سريرة الأسياء، ولكني سأكون هناك دائماً، في صندوق الخبز، وعلى الألواح وعلى المائدة، بجانب قدر الحساء، فأني بن أطعمة الانسان - أن جاز لي الفول - أسدها اخلاصاً له وأقدمها صحبة.
- النار : مهلا. مهلا وأنا؟
- بسمه النور : رسادكم، الوقت يمر، والساعة تونسك أن تدق، حينئذ تدخلون عالم الصمت فاسرعوا بمعانفة الصغيرين.
- النار : [تسرّع إليهما] أنا أولاً، أولاً أنا [تعانفهما بحراره وعاطفة ملتهمة] وداعا ياتيلتل، وداعاً يا ميتيل، وداعا يا عزيزي، اذكراني إذا حذب ذات يوم أن احتجتها إلى من يشعل لكما ناراً..
- هو : أيّ أي، إنها تحرقني.
- هي : وتلهب أنفي.
- بسمه النور : رسادك يا نار، بعض هذا الاندلاق! إنك لا تعانفين مدفئة..

الماء : يا لها من غيبه.
المرغف : وقليله الأدب.
الماء : [تقرب من الصيبي] عناقي لكما كله ود ولا أذى منه.

النار : احرسا فإنها ستبللكما.
الماء : إنني عطوف رفيقه، سائغة للساربن.
النار : وما قولك في الغرمي؟
الماء : أوصيكما بحب النافور، وأصغيا إلى خير الجداول فإنني سأكون هناك.
النار : أهو كلام أو طوفان؟
الماء : فإذا جلستما مساءً على ضفاف الجداول، والغابه هنا مليئة بها - فأصيحها لها السمع لتفهم ماذا تريد أن تقوله لكما، إن الدموع تخنقني ومنعني عن الكلام.

النار : لا يطابق حالها قولها.
الماء : واذكراني إذا رأيتم الإبريق، وستجداني أيضاً في الكون، والبئر، والمرس، والصنبور.
قمع السكر : [وهو يبالغ بطمه في الرفه والتحمل] وإذا بقي ركن ولو صغير في ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتي كانت أحياناً حلوة، لكما، لا أستطيع أن أقول أكبر

من ذلك، فإن الدموع غر موصوفة لطبعي،
وإذا سقطت على قدمي أذابتها.

: يا منافق!

الريغيف

: [مقلدة صوت الباعة] سكر نبات، مليس، كراميلًا.

النار

: وأين اختفى تيلو وتيليت. ماذا يفعلان؟

هو

[تسمع صرخات عالية تبعث من القهوة].

: [في انزعاج] هذه تيليت تنهته، هي في سدة من
الأم.

هي

[وتدخل الهرة حريًا، انتفش شعرها وتلد، تمزقت ثيابها، تصع
مدنيًا على حدها كأنما تنوح من أصراسها، تتوالى لها تهديدات
لا تحل من غضب، والكلب يزقها ويخطها برأسه ويده
وقدمه].

: [وهو يصرب الهرة] خذي أيكفك هذا أم تريدين
المزيد خذي.. خذي.

الكلب

[سمة المور تيليتل وميتيل يسارعون إلى فصلهما: تيلو!
أحسنت؟ المحب لك أرقد ألا تنتهي؟ من يصدق؟ كفى
كفى] [يفصلون بين الاثنين همة].

بسمه النور : ما هذا؟ ما الذي حدث؟

: [تباكي وتقسع الدموع] إنه هو الذي اعتدى غلي

الهره

يا سيدني بسمه النور، لقد أهانني وشتمني
ووضع المسامير في حسائي وشد ذيلي وانهال

- الكلب : علىّ ضرباً وأنا لم أفعل له شيئاً.
[يقلدها ساخراً] لم أفعل له شيئاً! [يعيظها بوضع كفه على أذنه وتلعيب أصابعه] لا يهينى الآن سىء، فقد ضربتك، وضربتك ضرباً موجعاً، وسأضربك.
هى : [تأخذ المرة في حصها] تيليت يا مسكينة. أرى موضع الألم، إننى سأبكي أنا أيضاً..
- بسمة النور : [تزجر الكلب] مما يزيد فى حماقتك أنك اخترت لحظة هى فى ذاتها مؤلمة لتعرض علينا هذا المشهد المنسين، ألا تعلم أنها لحظة الوداع؟
الكلب : [وقد هذا حاة] أهو وداع للصبيين؟
- بسمة النور : نعم، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد إلى عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما.
الكلب : [تندّعه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرمى على الصبيين ويرشقها بقلات حارة هوجاء] كلا، كلا، أبداً أبداً، سأظل أكلمهما، أنت تفهمنى الآن يا مولاي، أليس كذلك؟ نعم. نعم. سأقول لك كل سىء، وستقول لى كل شىء، لن تسكو بعد من سوء أدبى، وسأتعلم القراءة والكتابة ولعب الدومينو، وسأكون دائماً نظيفاً، ولا أسرق شيئاً من المطبخ. أتريد أن أريك لعبه من ألعاب المدهشة؟ أتريد منى أن أعانق المرة؟

هى : [للهه] وأنت يا تيلس، ليس عندك ما تقولينه
لى ؟

الهه : [وعد أخرج وهى تنكتم بياتها] سلفيان منى الحب
ما دمها جديرين به.

بسمه النور : الآن جاء دورى يا عزيزى لأقبلكما للهه
الأخيرة.

[تيلس وميتيل يتشبهان ببياب بسمه النور، كلا كلا، يا سبه
النور ابهى هبا معنا، أونا لن يعترض وأما سنقول لها إنك
كنب فى غاية الطيبة معنا

بسمه النور : لا أستطيع مع الأسف فإن هذا الباب موصد
دوننا وينبغى لى أن أفارقكما.

هو : وأين تذهبن وحدك ؟
بسمه النور : غير بعيد با عزيزى، سأكون هناك.. فى عالم
الصمت.

هو : لا. لا. لا أريد فراقك، سنذهب معك، وسنقول
هذا لأمى.

بسمه النور : لا تبكيا يا عزيزى، ليس لى ميل ما للهه من
صوت، فليس عندى إلا ضيائى وهو سىء
لا بسمعه الإنسان. ولكنى سأظل ساهرة على
هذا الإنسان إلى الأبد، واذكرا دائمًا أننى هى
من تكلمكما فى كل شعاع من القمر، وفى كل

بسمعة من نجم، في كل فجر يبرز، في كل
مصباح بوفد، في كل خاطرة خيره بريئة في
فلبيكها، [تدب الساعة حلف الحدار ماى دقات] انصبا،
دفن الساعة، فوداعاً، الباب ينفتح، ادخلا،
ادخلا، مع السلامة، مع السلامة.

[تدفع الصين عبر الباب الصغير الذى ينفتح ثم يعلق
عليها مسح الرعيف دموعاً مغلقة، أما قمع السكر والماء
فينحرطان في البكاء ثم يتفرق الجميع سراعاً كأنهم يهربون
ويخرجون إلى اليمن وإلى اليسار.

يسمع سائح الكلب من ناحية، ويظل المسرح حالياً برهة
قصيره ثم يشق من الوسط منظر الحدار والباب الصغير
ليكشف عن المنظر الأخير]

المنظر الثاني عشر اليقظة

[هو عين المنظر الأول، ولكن كأنما مست يد سحرية كل الأشياء، الجو والمدران، فإذا بها تم عن الصفاء والبشر والسعادة، يبعد صوء النهار من خصائص الباقدة ويشتر البهجة، تيلتيل وميتيل غارقان في النوم في مهدبها على اليمين في آخر الحجرة، والكلب والهرة وناقى الأشياء تلم الوصع الذي كانت عليه في المنظر الأول قبل دخول الحمية]

[تدخل الأم تيل]

الأم : [وهي ترحر الصيين في حوّ واشراح] هيا هيا، على أقدامكم يا كسالى، ألا تخجلان؟ لقد دوى الساعة النائمة وعلت الشمس أشجار الغابة، يا له من نوم عميق [تنحى وتقلها] على وجناتها صبغة الورد، ويفوح منها عطر الزهور، [تقلها مرة أخرى] ما أسعدنى يا أولادى! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى الظهر وإلا شبيبتهما على الكسل، ثم إني سمعت أن طول النوم مُضر بالصحة، ها هما يستيقظان. ماذا بك؟ [إلى تيلتيل] كأنما عشيبي عيناك.

هو : [وهو يترك عيبه] أمي. أمي، أنت الى أرى..
 الأم : نعم بالطبع، أنا أمك، لم يتبدل وجهي هذه
 الليلة. ماذا بك حتى تنظر إلىّ بمثل هذه
 الدهشة؟ هل انقلب أنفي فأصبح يحته فوفه.
 هو : ما أسعدني برؤيتك، كأنني لم أرك منذ زمن
 طويل. ينبغي أن أعانك فوراً، مره بعد مره،
 أحما أن هذا هو فراسي؟ أحما إني في البيت؟
 الأم : ماذا دهاك، ألم تستنظ بعد؟ هل أنت مريض؟
 دعني أرى. احرح لسانك، هيّا، فم والبس
 بيابك.

هو : عجباً، أرى أنني لا ألبس إلا قمصى.
 الأم : طبعاً، أنت لا تلبس غيره عند النوم، هيّا،
 البس سنرتك وسروالك، إنها هناك فوق المفعد.

هو : هل كنت ألبسها أثناء الرحلة؟
 الأم : عن أيّ رحلة تتحدث؟
 هو : رحلي في العام الماضي.
 الأم : العام الماضي؟
 هو : نعم، في عيد الميلاد، حينما حرحت من البيت.
 الأم : خرجت من البيت؟ إنك لم تغادر هذه الحجرة،
 لقد وضعتك في الفراش أمس وها أنذا أجذك

فيه هذا الصباح، هل رأيت في الحلم كل
ما تفوله لى؟

هو : أنت لا تفهمين، رحلة العام الماضى

حينما خرجت مع ميتيل والجنية وبسمه النور -
على فكره، بسمه النور ست طيبه جدًا - وكان
معنا الرغبة وفتح السكر والماء والنار ولم
ينقطع بينها السجار. هل أغضبك رحيلى، هل
أحزنك كثيرًا، وماذا قال أبى؟ لم أستطع أن
أرفض الرحيل فتركت رسالة أسرح فيها...
: ما هذا الهراء، لا ريب أنك مريض أو أنك
لا تزال غارقاً فى النوم [ترب عليه حمار] هيا،

الأم

استيقظ، هل وعيت لنفسيك؟
: أؤكد لك يا أمى.. صدّقينى، لعلّ المستغرق فى
النوم هو أنت.

هو

: كيف أكون مستغرفة فى النوم، إننى مستيقظة
وأعمل منذ الساعة السادسة، فنظّفت البيت
وأسعلت النار فى المدفأة.

الأم

: اسألى ميتيل وسترين أننى لا أكذب، كم رأينا
من مغامرات؟

هو

: ميتيل أيضًا؟ هذه حكاية طويلة.

الأم

: إنها كانت معى، ورأينا جدّى وجدّتى.

هو

- الأم : جدك وجدتك؟
هو : في عالم الذكريات، كان في طريقنا، هما بين الأموات ولكن صحتها حسنة، وقد صنعت لنا جدتي فطيرة تفاح بديعة ورأبنا أخوتنا روبير وجان ومعه نحلته، ومادلين وبيريت وبولن نم ريكيت.
- هي : ريكيت تحبو ولا تمنسي.
هو : أمّا بولن فدمّلها لا يزال على أنفها.
هي : ورأيناك أنت أيضاً يا أمي مساء أمس.
الأم : لا عجب في ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس.
هو : كلا كلا، إنما رأيناك في فردوس الأرض، وكنت أبهى جمالاً ولكن سبهك لم يتغير.
الأم : فردوس الأرض؟ لست أعرفه!
هو : [يتأملها ويعانها] كنت أمس أبهى جمالاً ولكني أحبك كما أنت الآن.
هي : [تعانها] وأنا أيضاً..
الأم : [وقد رى لها قلبها ولكن الفلق لا يزال يساورها] يا إلهي! ماذا دهاهما، سأفجع فبهما كما فجعنت في أخوتهما، [تزعج فجأة وتنادي] بابا تبل، بابا تبل، تعال سريعاً، أولادنا مرضى.
الأب : ماذا جرى؟

هو وهى : [بحريان إليه ويعلمانه في مرح] هذا هو بابا، هذا هو بابا، صباح الخير يا بابا، هل كانت السنة الماضية سنة رخاء؟

الأب : لم الانزعاج؟ ما السبب؟ لا أراها مريضين، بل هما في أحسن صحة.

الأم : [وعساها ندعان] لا تخدعك الظواهر، فلعلّ حالهما هو حال أخوتها وقت أن فجعنا فيهم. كانوا في أتمّ صحة إلى آخر يوم. سمّ توفاهم الله إلى رحمته، لا أدري ماذا جرى لهما، لقد أرقدنها أمس في الفراش وهما في أحسن حال، ما أيقظنهما هذا الصباح إذا هما في أسوأ حال، أصابهما الهذيان ولا كلام لهما إلا عن رحلة موهومة، رأنا خلالها بسمه النور وجدهما وجدهما، يفولان إنها بين الأموات ولكن صحتهما حسنة.

هو : جدى لا تزال له ساقه الخسبية.

هى : وجدنى لا تزال تسكو من الروماتزم.

الأم : هل سمعت. اجر لتنادى الطبيب.

الأب : لا. لا. وهل هما يحتضران حتى أناديه؟ صبراً

لننظر ماذا سيحدث لهما. (يسمع دق على الباب) ادخل..

- الجارة : صباح الخير، وكل عيد وأنتم جميعاً في صحة وسلامة.
- هو : هذه هي السبت غرباوية.
- الجارة : جئت لأخذ قليلاً من الخطب، لأطبخ عليه حساء العيد، فالجو بارد هذا الصباح، صباح الخير يا أطفال. كيف الحال؟
- هو : يا ست غرباوية، لم أجد لك الطائر الأزرق.
- الجارة : ماذا يقول؟
- الأم : مصيبة يا ست غريبة، انها يهزيان، هذا هو حالها منذ أن استيقظا، لا سك أنها أكلا شيئاً أضرب بها.
- الجارة : طيب يا تيلتيل، ألا تعرف الست غريبة، جارتك الست غريبة؟
- هو : نعم أعرفك، أنت الست غرباوية. أغاضبه أنت منى؟
- الجارة : غرباوية؟
- هو : غرباوية.
- الجارة : تريد أن تقول غريبة؟
- هو : غرباوية، غريبه، كما تسائين، إن كنتم في سك فاسألوا متيل.
- الأم : الداهية السوداء أن ميتيل يهذى أيضاً.

- الأب : كلام فارغ، سينقطع الهذيان وسأناول كلا منها
صفعة على خدّه لتنبهه.
- الجارة : لا تفعل، لا لزوم للصفع، فإنّ خبيرة بهذه
الحالة هي أضغات أحلام تلم بكل من يرفد في
ضوء القمر، وابنتي المريضه حالها هكذا في
أغلب الأوقات.
- الأم : على فكره، كيف حالها الآن؟
الجارة : نصف نصف، إنها لا تفوى على مغادرة الفراش
ويقول الطبيب إنها مسألة أعصاب، ومع ذلك
فإنّ أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى في هذا
الصباح ليكون هديتها يوم العيد. إنها على يقين
من أنه دواؤها الساقى. هكذا يحدها نفسها.
- الأم : نعم، أعلم يقينها هذا، تؤمن أن لا دواء يشفيها
إلاّ عصفور تيلتيل، فهي لا تنفك تطلبه. إذن
يا تيلتيل، ألم تطب نفسك بعد بإهدائه إلى هذه
الفتاة المسكينة؟
- هو : هو لى فكيف أهديه يا أمى؟
الأم : هو لى، هو لى، ولكنك لا تعنى به. بل لا تلقى
عليه نظرة فهو من شدة الحسرة بوسك أن
يموت منذ زمن طويل.
- هو : نبّهتني يا أمى، الآن تذكرت عصفورى. أين

هو؟ ها هو القفص. ميتيل! أترين القفص؟
هو الذى كان فى يد الرغيف. نعم، هو بعينه،
ولكن ليس به إلا عصفورى، فأين الآخر،
الطائر الأزرق، هل أكله عصفورى؟ انظرى
انظرى! يا للعجب، فى القفص طائر أزرق،
وما هو إلا عصفورى، هو بعينه، وإن كانت
زرقتة قد زاد، إنه الطائر الأزرق الذى طالما
سعينا وراءه فلم ننجح فى اقتناصه، على حين
أنه كان موجوداً فى بيتنا طول الوقت، هذا
سوء مدهش، هذا سوء بديع، ميتيل، أترين
العصفور قد عرفنا الآن أنه الطائر الأزرق.
ماذا كانت تقول بسمه النور لو رأيته؟ سأنزل
القفص. [يمس على المعد ويرل القفص ويعطيه للجارة].
ها هو العصفور يا سب غريبة، إن كان فى
زرقتة الآن نقص فإنه سيستكملها فيما بعد،
وسترين، ولكن هيّا، احمليه سريعاً إلى بنتك.
: أجاد أنت؟ حقاً ما تقول؟ تعطيه لى هبه منك؟
من فورك، وبلا عوض؟ رب، كم ستسعد
هديتك ابنتى.

الجارة

: اذهبى بسرعة، فبعض الطيور تبدل أحياناً
لونها.

هو

- الجارة : سأعود لأخبرك بما قالته ابنتي..
[مخرج]
- هو : [يطلق التأمل فيما حوله] بابا، ماما، ماذا فعلتما بالبيت؟ إنه عين البيت ولكنه أكبر جمالاً.
الأب : كيف زاد جماله؟
هو : نعم، كأنما زادت عليه يد بطلاء جديد، وبالرسم والإصلاح، فكل شيء لامع ونظيف، لم تكن هذه حاله في السنة الماضية.
الأب : السنة الماضية؟
هو : [يذهب إلى الواجهة] وهذه الغابة التي أراها، ما أكبرها، ما أجملها، إنها تبدو لعيني كأنها غابة جديدة أراها لأول مرة، ما أسعدني هنا، [يذهب ليفتح صندوق الحزن] أبني الرغيف؟ إنه راقد باطمئنان، ثم أين تيلو؟ مرحباً يا تيلو. والعراك في الغابة. هل تذكره؟
هي : وتيليت عرفتني ولكنها لا تكلمني.
هو : سأكلّم الآن الرغيف، [لمس جبهته] عجباً، لم تعد الماسة معي، فمن الذي أخذ فبعتي الصغيرة الخضراء؟ لا بأس فأني لست في حاجة إليها. [ينظر إلى المدفنة] آه! هذه هي النار. ما ألدّ جوارها، إنها تنز وهي تضحك لتغيظ الماء [يجري

إلى الصور] يا ماء! أهلا بك، ماذا تقول؟ إنها
ماضية في الكلام ولكنني لم أعد أفهمها بوضوح.

: وأين قمع السكر فأني لا أراه.

: ما أسعدني هنا. ما أسعدني.

: وأنا أيضا، وأنا أيضا.

: ماذا بهما ليدورا في البيت هكذا..

: أما أنا فقد أحببت بسمه النور بالأخص، أين

المصباح؟ هل أستطيع أن أضيئه؟ [وهو متماد في

التلفت حوله] كل ما أرى جميل، ما أسعدني!

[يُسمع دق على الباب]

: ادخل.

[تدخل الحارة الست عريضة ممسكة بيد ست صغيرة شقراء مبهمة

الجمال تحض عصفور تيلتيل الأزرق]

: أرايتم المعجزة؟

: من يصدق؟ إنها تمسى!

: تمسى، وتجري، بل ترقص.. حين رأب العصفور

نهضت من فراشها إلى النافذة قفزة واحدة

لتتبين في النور هل العصفور الذى جئت بها هو

حقاً عصفور تيلتيل، وإذا بها تنطلق فجأة إلى

الطريق، كأنها ملاك يطير، لم أستطع اللحاق بها

إلا بعد جهد شديد.

هى

هو

هى

الأم

هو

الأب

الجاره

الأم

الجارة

هو : [يمترب منها وينظر إليها بدهشه] ما أسبّحها بيسمه
النورا!

هى : ولكنها أضال منها جسماً.

هو : حقاً، غير أنها ستتمو..

الجارة : ماذا يقولان؟ ألم يفعلوا عن الهذيان؟

الأم : هما الآن أحسن حالاً وسمراً الأزمنة، وسبسفان
من الهذيان حين يتناولان الفطور.

الجارة : [تدفع انتها لتعاسي تيلتيل] اذهبي إليه با بنى
واسكرية.

[تيلتيل يعلبه المحلل وتراجع خطوه].

الأم : ماذا بك با تيلتيل؟ أتستحي من هذه البنب

الصغيرة؟ قبلها قبلة كبيرة. [يفلها فله صغيره]

قبلها أفضل من هذا. أين جراتك المعهودة؟

قبلة أخرى. ولكن ماذا بك؟ كأنك ستبكي..

[تيلتيل بعد أن يمل الفتاه يخل يظل واهماً أمامها برهة

وحيره، يتبادلان النظرات فى صمت ثم يرب تيلتيل على رأس

العصور].

هو : هل قنعت بزرقته؟

البنب : نعم، أنا راضية به.

هو : رأب طيوراً أسد منه زرقه، أما الطائر الذى

كملت زرقه فلم نستطع اقتناصه رغم ما بذلناه
من جهد.

البنت : لا ضير، فعصفوري جميل.

هو : وهل أكل؟

البنت : لم يأكل بعد، وما أكله؟

هو : كل سيء، حبّ الفمح والأذره والسعبر وفتات
الحبّيز.

البنت : وكيف يأكل؟ فل لي.

هو : بمنفاره، تعالى أريك كيف يأكل.

[تمد يده ليتناول العصور الأرق من يد البنت فتمانع مدبوعة
بغريزه حب التملك ويمتنهر العصور الأرق لحظة ارتناكها
فيفلب ويطيّر]

البنت : [تندّ منها صرحه يائسة] ماما، لقد طار.

[ثم تنخرط في الكاء].

هو : لا تنزعجى، لا تبكى، فأنى سأقتنصه لك من
جديد.

[مخطو نحو مقدمه المسرح، ومحاطب الجمهور - إذا عثر عليه
واحد منكم فليتكرم بإعادته إلينا فكلانا أنا والست الصغيرة
في حاجه إليه لننعم بالسعادة معاً حين نكبر].

[ختام]

١٩٨٧ / ٥٥٥٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٢١٥٢-٣٣٢	الترقيم الدولي

١ / ٨٤ / ٣٦٢

طبع مطابع دار المعارف
 General Office of Publications | GOAL
 Publications Librarians

